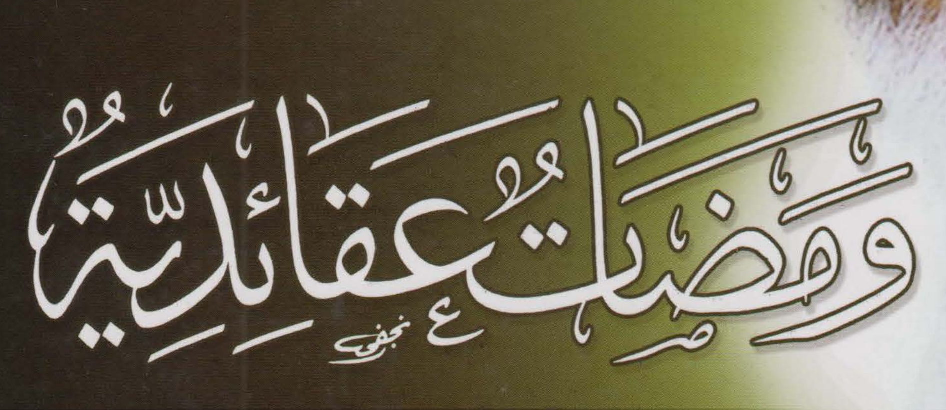


من فكر الإمام الخميني العظيم قدس سره



ومضات عقائدية

من فكر الإمام الخميني (قدس سره)

هوية الكتاب

الكتاب:	ومضات عقائدية من فكر الإمام الخميني رضوان الله عليه
المؤلف:	علي حسين رضي
الناشر:	دار الولاية للثقافة والإعلام
الطبعة:	الأولى ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م
شابك:	٩٧٨٩٦٤٨٣٢٠١٤٥

دار الولاية للثقافة والإعلام، ايران/ قم ـ ص. ب: ٦٦١ / ٣٧١٨٥

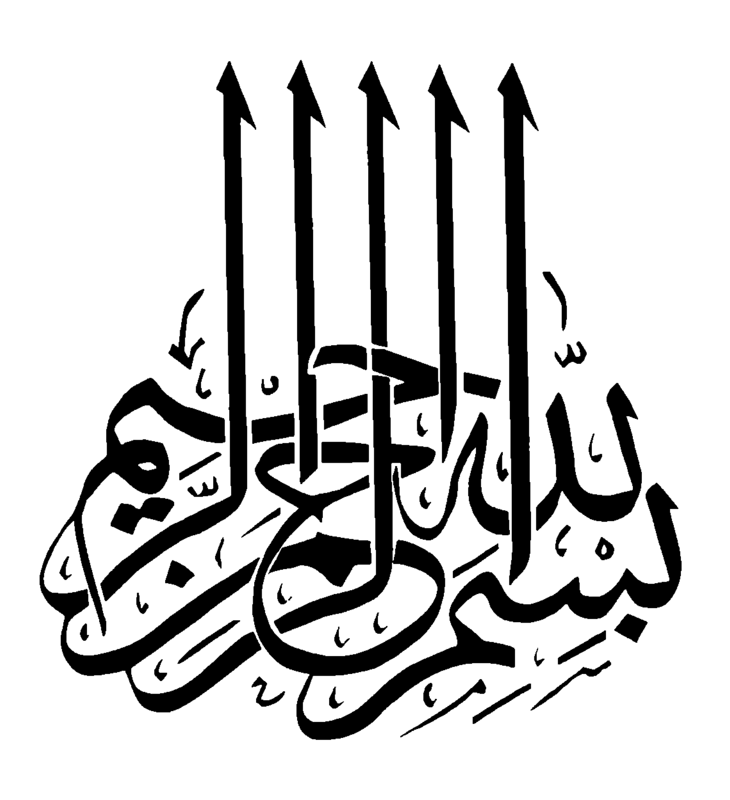
هاتف وفاكس ٧٧٣٨٣٧١ ٢٥١ ٩٨ ٠٠

www.alwelayah.net

alwelayah@alwelayah.net



علي حسين رضي


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطاهرين وبعد...

فهذا مجهود متواضع يمثل مقتطفات من كلام الإمام الخميني العظيم رضوان الله عليه في أغلب أبحاث العقائد الإسلامية، فهو كما اسمه ومضات مختارة في المطالب العقائدية من فكر السيد الإمام رضوان الله عليه.

لماذا الكتاب:

لما كانت الحاجة لتبيين الآراء العقائدية لإمام الأمة رضوان الله عليه بشكل مبسط ومختصر غير مخل بإيصال المطلوب قدر المستطاع، كانت تراودني هذه الفكرة على مستوى التمني، إلى أن وفقني الله عز وجل لتطبيقها على مستوى الواقع الخارجي، والتي أثمرت عن هذا الكتاب، وسوف توافيك أهداف الكتاب ونبذة عنه في الفقرات الآتية.

الكتاب في سطور:

أولا: الهدف من الكتاب ويتضح بما يلي:

١ـ إن الهدف الرئيس للكتاب هو نشر الفكر العقائدي للسيد الإمام رضوان الله عليه وذلك لعدة أسباب منها:

أـ التأثير الخاص للسيد الإمام رضوان الله عليه وما يتركه على العقول والقلوب وذلك لتحقق صفات رجال الله فيه أولا، وموقعية شخصيته العلمية والعملية في العالم الإسلامي على نحو العموم والحوزة العلمية والمذهب الإمامي على نحو الخصوص وما ترتب على ذلك من بروز مدرسة خاصة به لها مميزات وخصائص مثالية في شتى العلوم.

ب ـ إثبات المطالب العقائدية من كلمات السيد الإمام وتوضيح ذلك بما يلي:

١ـ كشف الأثر العقائدي المغيب لقائد الملايين من المسلمين.

٢ ـ رد الشبهات المطروحة من داخل وخارج المذهب على عقائد الإمام رضوان الله عليه والتي جعلت البعض يطعن في عقائده من دون علم ودراية بل بالتناقل المغرض.

٣ـ كما أن تبيين عقائد الإمامية على لسان زعيمهم وقائدهم هو أبلغ حجة على مدعيات الخصم والتي غالبا ما تكون (هذه المدعيات) من دون دليل.

٢ ـ الكتاب يمثل دورة عقائدية متوسطة المستوى في الحجم والمحتوى تراعي المرحلة الشبابية (تشمل ما بعد البلوغ ومرحلة الجامعة والشباب المثقف) ومعدة للتدريس، أي ليست لما قبل البلوغ غالبا (إلا مع بسط المدرس للمطالب) ولا لمناقشة المختصين لآراء ومباني السيد الإمام رضوان الله عليه، نعم قد تذكر بعض الأبحاث للمتخصصين ـ تحت عنوان (فائدة) ـ وذلك تتميماً للفائدة.

٣ ـ ليس الهدف هو استقراء كل كلمات السيد الإمام رضوان الله عليه في كل موضع وذلك لأمرين:

أـ لكثرتها وهي تحتاج لأكثر من كتاب.

ب ـ لعمقها وهي تناسب المختصين، مما يخرج الكتاب عن هدفه المرجو.

ثانيا: منهجية العمل في الكتاب:

١ـ استخراج كلمات السيد الإمام رضوان الله عليه في كل مطلب بحسب الترتيب العقائدي العصري الحديث.

٢ـ يتم اختيار المقاطع بما يناسب الكتاب.

٣ـ يمهد لكلام الإمام رضوان الله عليه بتمهيد توضيحي أو شرح العبارة.

٤ـ يمكن إضافة المطالب التي لم يتم العثور عليها من كلمات السيد الإمام رضوان الله عليه تتميماً للفائدة.

٥ ـ محاولة الجمع بين مخاطبة العقل بالبرهان والقلب بالوجدان خصوصا الأدلة الفطرية وما يتعلق بالمعاد.

٦ـ الكتاب مراجع من قبل مختصين في علم الكلام والفلسفة.

٧ـ أكثرنا من كلمات السيد الإمام رضوان الله عليه في المعاد لما لها من تأثير على النفس وتربيتها إستعداداً للحياة الأخرى، وكثيرا ما كانت هذه الكلمات من دون تعليق لتأتي بأثرها المرجو.

٨ ـ اعتمدنا في كلمات السيد الإمام رضوان الله عليه في مبحث المعاد على ترجمة كتاب المعاد من إعداد مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني رضوان الله عليه، ترجمة: حيدر محمد جواد.

٩ـ اعتمدنا في ترجمة كتاب كشف الأسرار على طريقة التلفيق بين الترجمة المطبوعة من قبل مكتبة الفقيه ودار المحجة البيضاء وبين إعداد مركز باء للدراسات.

١٠ـ أن كلمات السيد الإمام رضوان الله عليه حول الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف هي من ترجمة (دار الولاية للثقافة والإعلام).

١١ ـ لقد مُيِّز كلام السيد الإمام رضوان الله عليه بحجم الخط العريض، وجعل بين معقوفتين [...].

ثالثا: محتويات الكتاب وتركيبته:

أـ الكتاب على ثلاثة فصول وملحقات على النحو التالي:

١ـ الفصل الأول: التوحيد

الباب الأول: إثبات واجب الوجود

الباب الثاني: صفات واجب الوجود

٢ـ الفصل الثاني: العدل الإلهي

الباب الأول: العدل

الباب الثاني: شبهات وردود

٣ ـ الفصل الثالث: النبوة

الباب الأول: النبوة العامة

الباب الثاني: النبوة الخاصة

٤ ـ الفصل الرابع: الإمامة

الباب الأول: الإمامة العامة

الباب الثاني: الإمامة الخاصة

٥ ـ الفصل الخامس: المعاد

الباب الأول: إثبات المعاد

الباب الثاني: منازل الآخرة

ملحقات: ١ـ رسالة التوحيد ٢ـ ملحق خاص بالإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ب ـ توجد فقرة مع نهاية كل درس للمطالعة تتناول قبسة من قبسات حياة السيد الإمام رضوان الله عليه تتميما للفائدة.

ج ـ توجد خلاصة لكل درس مع أسئلة.

وفي الختام لا يسعني إلاَّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور، سائلاً من الله العلي القدير أن يتقبل أعمالنا وأن ينفعنا بمحمد وآله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علي حسين / قم المقدسة

الخميس غرة شهر رمضان المبارك ١٤٢٨ هـ

الفصل الأول

التوحيد

- الباب الأول: إثبات واجب الوجود
- الباب الثاني: صِفات واجب الوجود

الباب الأول: إثبات واجب الوجود

الدرس الأول

تمهيد:

التوحيد هو أساس إعتقاداتنا

إن أساس الدين هو الإيمان بوجود خالق لهذا الكون والوجود، وهو الفارق الجوهري بين الرؤية الدينية والرؤية المادية.

وعلى أساسه إذا ثبت هذا الاعتقاد تثبت جميع الإعتقادات تبعاً وملازمةً، فمسألة التوحيد هي بمثابة المحور والقطب لهذا الدين وهي بمثابة الشجرة والإعتقادات الأخرى هي الأغصان، ومن هذا الأصل تنظم قوانين المجتمعات وعلاقات الفرد وسلوكه فالكل محتاجٌ إلى هذا الأصل وهو أسُّ الأسس. وقد أكد الإمام الخميني قدس سره على ذلك في كلماته:

[إن معتقداتي أنا وجميع المسلمين هي نفس تلك المسائل المطروحة في القرآن الكريم والتي بيّنها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الحق عليهم السلام الذين جاءوا من بعده، وإن أساس جميع تلك الاعتقادات وأهم وأغلى عقائدنا هو أصل التوحيد. وطبقاً لهذا المبدأ فإننانعتقد بأن الذات الإلهية المقدسة وحدها هي التي خلقت هذا العالم وكل عوالم الوجود والإنسان، وإنها مطلعة على جميع الحقائق، وقادرة على كل شيء، ومالكة لكل شيء. ويعلمنا هذا المبدأ أنه يجب على الإنسان أن يخضع للذات الإلهية الحقة فقط، وأن لا يطيع أي إنسان إلا أن تكون طاعته، طاعة للخالق. وطبقاً لهذا الأساس فلا يحق لأي إنسان أيضاً أن يفرض على الآخرين أن يخضعوا له، وأننا نتعلم من هذا الأصل العقائدي مبدأ حرية الناس، وأنه لا يحق لأي إنسان أن يسلب حرية إنسان آخر أو مجتمع معين، فيضع له القانون، أو ينظم علاقاته وسلوكه بموجب علمه وإدراكه الناقص جداً، أو ميوله ورغباته. وإننا نعتقد ـ انطلاقاً من هذا المبدأ أيضاً ـ أن

وضع القوانين من أجل التكامل هو من صلاحية الخالق جل وعلا كما كانت قوانين الوجود والخلق من وضعه عز وجل، ولا يصل الإنسان ولا المجتمعات إلى السعادة والكمال إلا في ظل إطاعة القوانين الإلهية التي بلغنا إياها الأنبياء عليهم السلام، وأن انحطاط الإنسان وسقوطه إنما هو بسبب سلب الحرية منه لسائر الناس. لذا يجب على الإنسان أن يثور ضد سلاسل وقيود الأسر هذه، ويقف بوجه الآخرين الذين يدعونه إلى الأسر، ويحرر نفسه ومجتمعه حتى يكون الجميع عباداً لله وخاضعين له. ولهذا السبب تنطلق قراراتنا الاجتماعية ضد قوى الاستبداد والاستعمار. وأيضاً فإننا نستلهم من مبدأ التوحيد الاعتقادي هذا أن جميع الناس متساوون أمام الخالق، فهو خالقهم جميعاً والكل عبيد له.

فالأصل هو تساوي الناس، وأن التقوى والطهارة من الانحراف والخطأ هي المعيار والقاعدة الوحيدة لامتياز فرد على فرد. لذا يجب محاربة كل ما يستهدف القضاء على التساوي بين أبناء المجتمع، وتحكم الامتيازات الفارغة التي لا أساس لها في المجتمع][1].

وبذلك يقر السيد الإمام رضوان الله عليه بهذه العقيدة التوحيدية أمام العالم المآلف والمخالف ويفصح عما يضمره في قرارة نفسه ويتعبد به، ولا يحتاج لأحد أن يفسر معتقداته من دون دليل ومن دون الرجوع لكلماته ومؤلفاته، كما أنه يصد الباب أمام المتربصين والمغرضين بإعلانه هذا المعتقد الراقي وأنه يدين به لله تبارك وتعالى.

الإسلام والتربية التوحيدية:

إن التعاليم التي جاء بها الإسلام لا تنحصر في جنبةٍ دون أخرى فالتربية والرؤية التوحيدية تتوفر على كل المميزات فكل العلوم ترجع إليها وتنطوي تحتها فلا توجد رؤية غيرها جامعة لكل هذه الخصائص، يشير الإمام الخميني قدس سره إلى هذا المعنى في قوله:

[يعيد الإسلام جميع المحسوسات وكل العالم إلى مرتبة التوحيد. فتعليمات الإسلام ليست تعليمات طبيعية ولا تعليمات رياضية، ولا تعليمات طبية، إنها

---

(١) منهجية الثورة، ص ٣ ـ ٤.

تشمل كل تلك، ولكنها مرتبطة بالتوحيد الذي أمسك بزمامها. فهو يعيد كل الطبيعة وجميع الظلال الظلمانية إلى ذلك المقام النوراني والذي ينتهي بمقام الألوهية.

فالمعنى الذي نبتغيه من العلوم الجامعية، والمعنى الذي نريده من علوم المدارس القديمة ليس هو الموجود الآن في المستوى الظاهر، وإن لمفكرينا نفس هذا المستوى الظاهري، وهو ذو قيمة كبيرة، بَيْدَ أن الإسلام لا يريد هذا.

إن ما يريده الإسلام هو أن ترتبط جميع العلوم ـ سواء العلوم الطبيعية أم غير الطبيعية ـ بالعلوم الإلهية، وتمسك بزمامها، وترجع إلى التوحيد. أي أن يكون لكل علم جانب إلهي. فيرى الإنسان الله عندما ينظر إلى الطبيعة، ويرى الله عندما ينظر إلى المادة، ويرى الله عندما ينظر إلى سائر الكائنات. فالإسلام جاء من أجل إعادة جميع الكائنات في الطبيعة إلى الألوهية وجميع العلوم الطبيعية إلى العلم الإلهي.

وهذا المعنى مطلوب من الجامعات أيضاً، نعم لابد من وجود الطب، ووجود العلوم الطبيعية، والعلاج البدني، إلا أن المهم هو مركز الثقل والذي هو التوحيد. يجب أن تعود جميع هذه إلى جهة الألوهية.. فالإسلام يستهدف في كل شيء ذلك الهدف الأسمى فهو لا ينظر إلى الموجودات الطبيعية إلا من خلال النظر إلى المعنويات، وبتلك المرتبة العالية.

فلو نظر إلى الطبيعة فإنه ينظر إليها على أنها صورة عن الألوهية، وأنها موجة من عالم الغيب. ولو نظر إلى الإنسان، فإنه ينظر إليه بعنوان أنه كائن يمكنه أن يكون كائناً إلهياً][١].

---

(١) الرؤية الكونية في فكر الإمام الخميني قدس سره ص ٢٥ ـ ٢٦.

مفهوم الدين:

لقد ذكروا لمفهوم الدين تعريفات كثيرة منها ما هو ناظر لعموم الدين سواء كان حقا أم باطلا، ومنها ما هو ناظر للأديان السماوية، أما السيد الإمام رضوان الله عليه عرف الدين بما هو منظومة بحيث لا ينطبق عليه إلا الدين الحق وهو ناظر لأساسيات الدين والأصول المهمة، وهو مقتبس مما ورد في الآيات الشريفة والروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

[الإيمان بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله وبيوم القيامة، هو الدين القيم المحكم والمستقيم والحق على إمتداد حياة المجموعة البشرية][١].

وجوب المعرفة:

إن وجوب معرفة الخالق قد يعد من البديهيات الواضحة، وإن غفل عنها البعض بسبب أو بآخر، فهذه الغفلة لا تخرج ضرورة المعرفة عن بداهتها، إلا أننا نشير لأمور هي بمنزلة الأسباب والمنبهات على ضرورة المعرفة، وإن شئت فقل بأنها أدلة إن لم يُسلم بضرورة المعرفة:

أ ـ دفع الضرر المحتمل وجلب المنفعة:

إن من الأمور المسلمة لدى العقلاء هو حساب الربح والخسارة قبل إقدامهم على أي عملية مادية، فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بتحديد المصير؟ فلابد أن يحسب بدقة ومتابعة، فلو لم يسلم بأن هناك يوماً للمعاد، فلا أقل من أن الإحتمال وارد، حتى ولو بنسبة ضئيلة لكن المحتمل والمترقب من النتائج خطير يستحق العناية والبحث.

ب ـ حب الإستطلاع:

وهذه هي الحالة الطبيعية للإنسان ـ ما عدا الشاذ النادر أو المتعمد الفرار من الإستطلاع ـ أفلا يكون (حب الاستطلاع) دافعا للمعرفة والسعي نحو التحقق من صحة وعدم المدعيات العقائدية الموجودة؟

---

(١) الأربعون حديثاً، ح ١١، ص ٢٢٤.

ج ـ شكر المنعم:

وهذا من المسلمات الفطرية بين الناس القائمة على الإحسان لمن أحسن ولو بخدمة بسيطة، فكيف بالمنعم بنعمة الوجود وتدبير أمور الحياة والمعطي كل ما لدى المخلوق من نعم، الظاهرة منها والباطنة، المعلومة والمجهولة؟

خلاصة الدرس الأول:

ـ مبدأ التوحيد يعلم الإنسان أنه يجب عليه أن يخضع للذات الإلهية الحقة فقط، وأن لا يطيع غيره إلا أن تكون طاعته طاعة لله جل وعلا.

ـ تعليمات الإسلام شمولية ومرتبطةٌ بالتوحيد وهو الماسك بزمامها.

ـ طريق الإستقامة يتمثل في الدين القيم المحكم وهو الإيمان بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله وبيوم القيامة.

أسئلة حول الدرس: ؟؟؟

١ـ ذكر السيد الإمام رضوان الله عليه أهم الإعتقادات وأغلاها. ما هو هذا الإعتقاد؟ ولماذا كان أهمها؟.

٢ـ ما هو تعريف الدين لدى السيد الإمام رضوان الله عليه؟

٣ـ اذكر أسباب وجوب المعرفة مع توضيح واحد منها.

للمطالعة

❖ علمنا درساً عظيما:

ذهبت في عصر أحد الأيام برفقةِ أخي المهندس مهدي الثقفي إلى منزل الإمام في جمران، وجلسنا مدة عند السيدة زوجته (وهي أختهما)، ثم استأذنا للذهاب قبيل المغرب، فرغبنا في زيارة الإمام ولو بمقدار السلام عليه وتقبيل يديه، فعرضنا الأمر على السيدة فقالت: لا مانع من ذلك. ثم بعثت مَن يخبر الإمام برغبتنا في زيارته، وكان وقتها في البيت المجاور، توجهنا إليه وقد بقيت إلى موعد الأذان خمس إلى ست دقائق، وكنا نعرف شدة التزامه بإقامةِ الصلاة في أول وقتها وأنه لا يتسامح في ذلك في أي حالٍ من الأحوال، ولذلك شككنا في إمكانية وصولنا إليه قبل دخوله في الصلاة، لكننا قررنا أن نذهب إليه على كل حال ولو لم نستطع أكثر من السلام عند الباب وتقبيل يديه والرجوع.

وبمجرد وصولنا إلى باب البيت فتح لنا السيد الباب بنفسه وقد شمَّر عن ذراعيه وكان واضحاً أنه مستعدٌ لتجديد الوضوء، فاستقبلنا بحفاوةٍ ورحب بنا عند الباب!

ولما رجعنا قلتُ لأخي: هل عرفت عظمة الدرس الذي ألقاه لنا بعمله هذا؟! لقد أعرب عن بالغ الاحترام والتكريم لنا بمجيئِه بنفسه لفتح الباب، هذا أولاً، وثانياً؛ فقد ذكَّرنا - بصورةٍ غير مباشرة، أي باستعداده للقيام بمقدمات الصلاة - أن الوقت هو وقت الصلاة.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحالات العبادية والمعنوية ص ٨٨

الدرس الثاني

إثبات وجود الخالق

علائم الأمر الفطري:

إن من الأبحاث المهمة في علم الكلام هو بحث الفطرة الذي سوف يتكرر في أغلب المباحث وإثبات المطالب، لأجل ذلك سوف نتناول فيه تعريف وماهية الفطرة قبل الخوض في الدليل الفطري، وقد سبقنا السيد الإمام ﵀ في ذلك وبين حقيقة الفطرة ببيان مميز، وقد أفرد ﵀ للفطرة بحثاً مستقلاً في كتابه شرح الأربعون حديثاً[1] حيث شرح حديثاً حول الفطرة شرحاً مفصلاً فجديرٌ بالمطالعة. وتجدر الإشارة هنا إلى مميزات الأمر الفطري وهي:

١ـ أنها ليست بحاجة للتعليم والتعلم.

٢ـ أنها ليست قابلة للتغيير ولا التبديل.

٣ـ أن فطريات كل نوع من الموجودات تتوفر في جميع ذلك النوع، وإن كانت قابلة للضعف والشدة. ومثال ذلك فطرة الإنسان فهي موجودة في جميع أفراد الإنسان ولكن قد تختلف شدةً وضعفا.

فالأمور الفطرية لدى الإنسان يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

الأولى: المعارف والتي هي من لوازم وجود الإنسان.

الثانية: الميول والرغبات التي هي من مقتضى كيفية خلقه.ففطرية معرفة الله تعالى من الفئة الأولى (المعارف) بينما فطرية البحث عن الله تبارك وتعالى وعبادته هي من الفئة الثانية (الميول والرغبات)، وإلى ذلك أشار السيد الإمام قدس سره في حديثه حول علائم الأمر الفطري، حيث قال:

[وتتلخص علائم الأمر الفطري في أربعة:

---

(١) الأربعون حديثاً، ح ١١، ص ٢٢٠.

١ـ إن الأمور الفطرية ذات جذور غريزية في باطن الإنسان وطبيعته البشرية، ولذلك توصف هي بالشمولية والعمومية، فليس هناك أحد من أبناء البشر من يفقدها ويخلو منها.

٢ـ الأمور الفطرية تتحقق في كيان الإنسان بوحي الفطرة وندائها ولا تحتاج إلى تعليم معلم وإن كان نموها ورشدها يحتاج إلى ذلك.

٣ـ كل فكرة أو عمل تكون ذات جذور فطرية، فهي لا تخضع لتأثير العوامل السياسية والجغرافية والإقتصادية، بل هي تعمل وتتحقق بعيدة عن نطاق وضغط هذه العوامل.

٤ـ الدعايات المكثفة والمستمرة ضد الأمور الفطرية يمكن أن يضعفها ويحد من نموها، ولكنها لا تتمكن من استئصالها والقضاء عليها بالمرة.

هذه هي علائم فطرية شيء، وأما الأمور العادية غير الفطرية، فهي:

أـ محلية، خاصة بمكان دون مكان.

بـ تختفي تحت تأثير للعوامل المحيطة.

ج ـ تنشأ وتخضع لتعليم معلم.

دـ نزولها نهائيا بسبب الدعايات المضادة][1].

---

(١) لب الأثر في الجبر والقدر، ص٢٢٩ ـ٢٣٠.

في معنى الفطرة:

[إعلم أن المقصود من «فطرة الله» التي فطر الناس عليها هو الحال والكيفية التي خلق الناس وهم متّصفون بها والتي تعد من لوازم وجودهم، ولذلك «تخمّرت» طينتهم بها في أصل الخلق. والفطرة الإلهية ـ كما سيتبيّن فيما بعد ـ من الألطاف التي خصّ الله تعالى بها الإنسان من بين جميع المخلوقات. إذ أن الموجودات الأخرى غير الإنسان إما أنها لا تملك مثل هذه الفطرة المذكورة وإما أن لها حظاً ضئيلاً منها.

وهنا لابدَّ من معرفة أن الفطرة، وإن فسرت في هذا الحديث الشريف وغيره[١] من الأحاديث بالتوحيد، إلا أن هذا هو من قبيل بيان المصداق، أو التفسير بأشرف أجزاء الشيء، كأكثر التفاسير الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، وفي كل مرة تفسر بمصداق جديد بحسب مقتضى المناسبة، فيحسب الجاهل أن هناك تعارضاً، والدليل على أن المقام كذلك هو أن الآية الشريفة تعتبر «الدين» هو «فطرة الله» مع أن الدين يشمل التوحيد والمبادئ الأخرى.

وفي صحيحة عبد الله بن سنان[٢] فسرت الفطرة على أنها تعني «الإسلام»، وفي حسنة زرارة[٣] فسرت بالمعرفة، وفي الحديث المعروف «كل مولودٍ يولَدُ على الفطرة[٤]، جاءت في قبال «التهوّد» و«التنصّر» و«التمجُّس، كما أن الإمام الباقر عليه السلام في حسنة زرارة المذكورة فسّرها بالمعرفة. وعليه فالفطرة ليست

---

(١) أصول الكافي، ج٢ كتاب الإيمان والكفر، باب فطرة الخلق على التوحيد، ح ١ إلى ح ٥.

(٢) أصول الكافي، ج٢ كتاب الإيمان والكفر، باب فطرة الخلق على التوحيد، ح٢.

(٣) نفس المصدر السابق ح٤.

(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (كل مولودٍ يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) عوالي اللئالي، ج١، الفصل الرابع ح١٨.

مقصورة على التوحيد، بل إن جميع المبادئ الحقة هي من الأمور التي فطَر الله تعالى الإنسان عليها].[١]

* برهان الفطرة على وجود الله تبارك وتعالى:

إن برهان الفطرة في حقيقته دليل وجداني يثبته ويؤيده البرهان العقلي، فهو لا يحتاج لمقدمات برهانية، بل أن مقدماته هي فطرية وجدانية معتمدة على العقل الفطري لا البرهاني، وإنما يطلق عليه لفظة برهان بمعنى الدليل لا بمعنى البرهان العقلي، وإن شئت فقل أنه إطلاق مسامحي.

لقد صاغ الإمام الخميني قدس سره هذا الدليل معتمداً على آراء شيخه وأستاذه الشاه آبادي قدس سره، فأشار لهذا الدليل رضوان الله عليه بقوله:

[اعلم أن المفسرين، من العامة والخاصة، فسروا كلٌّ على طريقته، كيفية كون الدين أو التوحيد من الفطرة. ولكننا في هذه الوريقات لا نجري مجراهم وإنما نستفيد في هذا المقام من آراء الشيخ العارف الكامل (الشاه آبادي) الذي هو نسيج وحده في هذا الميدان][٢].

إن مسألة التوحيد هي من أهم الضروريات فهي تمثل الركيزة والقاعدة لما يحتويه الدين الإسلامي من عقائد وأحكام ومفاهيم إذ لولاها لما قامت للدين قائمة، ولما استطعنا إثبات أي عقيدة أو حكم أو تعاليم، بل لا اعتبار بثبوتها من طريق آخر ـ لو وجد ـ إذ يعتبر إثبات أي معتقد أو حكم من دون طريق التوحيد يعتبر عبثاً، إذ لا ثمرة مترتبة على هذا الإثبات، فلابد من إثبات التوحيد قبل أي أصل، فنذكر الدليل لإثباته من كلام السيد الإمام رضوان الله عليه على هيئة برهانٍ مؤلفٍ من ثلاث مقدمات:

(١) الإنسان مفطور على عشق الكمال:

[إن من الأمور الفطرية التي جبلت عليها سلسلة بني البشر بأكملها، بحيث أنك لن تجد فرداً واحداً في كل المجموعة البشرية عِلى خلافها، ولن تستطيع

---

(١) الأربعون حديثاً، ح١١، ص ٢٢١ ـ٢٢٢.

(٢) الأربعون حديثاً، ح١١، ص ٢٢٤.

العادات والأخلاق والمذاهب والمسالك وغيرها أن تبدلها ولا أن تحدث فيها خللاً، إنها «الفطرة التي تعشق الكمال»، فأنت إن تجولت في جميع الأدوار التي مر بها الإنسان، واستنطقت كل فردٍ من الأفراد وكل طائفةٍ من الطوائف، وكل ملة من الملل تجد هذا العشق والحُب قد جبل في طينته، فتجد قلبه متوجهاً نحو الكمال، بل إن ما يحرك الإنسان ويدفعه في سكناته وتحركاته، وكل العناء والجهود المضنية التي يبذلها كل فرد في مجال عمله وتخصصه، إنما هو نابع من حب الكمال، على الرغم من وجود منتهى الخلاف بين الناس فيما يرونه من الكمال، وبأي شيء يتحقق الكمال ويشاهد الحبيب والمعشوق.

(٢) سعي كل عاشق للكمال نحو كماله وإن كان وهميا:

الكل يجد معشوقه في شيء ظاناً أن ذلك هو الكمال وكعبة الآمال، فيتخيله في أمر معين، فيتوجه إليه ويتفانى في سبيله تفاني العاشق. إن أهل الدنيا وزخارفها يحسبون الكمال في الثروة، ويجدون معشوقهم فيها، فيبذلون من كل وجودهم، الجهد والخدمة الخالصة في سبيل تحصيلها، فكل شخص مهما يكن نوع عمله، ومهما يكن موضع حبه وتعشقه فإنه لإعتقاده بأن ذلك هو الكمال يتوجه نحوه، وهكذا حال أهل العلوم والصنايع. كل يرى الكمال في شيء ويعتقد أنه معشوقه،بينما يرى أهل الآخرة والذكر والفكر غير ذلك...

(٣) السعي نحو الأكمل:

إن الجميع يسعون نحو الكمال فإذا ما تصوروه في شيء موجود أو موهوم تعلقوا به وعشقوه. ولكن لابد أن نعرف أنه على الرغم من هذا الذي قيل، فإن حب هؤلاء وعشقهم ليس في الحقيقة لهذا الذي ظنوه بأنه معشوقهم، وإن ما توهموه وتخيلوه ويبحثون عنه ليس هو كعبة آمالهم. إذ لو أن كل واحدٍ منهم رجع إلى فطرته، لوجد أن قلبه في الوقت الذي يظهر العشق لشيء ما فإنه يتحول عن هذا المعشوق إلى غيره إذا وجد الثاني أكمل من الأول، ثم إذا عثر

على أكمل من الثاني، ترك الثاني وانتقل بحبه إلى الأكمل منـه، بـل إن نيـران عشقه لتزداد اشتعالاً حتى لا يعود قلبه يلقي برحاله في أية درجة من الدرجات، ولا يرضى بأي حد من الحدود.

مثلاً إذا كنت تحب جمال القدود ونضارة الوجوه، وعثرت على ذلـك عنـد من تراه كذلك، توجه قلبك نحوها، فإذا لاح لك جمال أجمل، لا شك في أنك سوف تتوجه إلى الجميل الأجمل، أو أنك على الأقل تطلب الاثنين معـاً، ومـع ذلك لا تخمد نار الإشتياق عندك، ولسان حال فطرتـك يقـول: كيـف الـسبيل إليهما معا؟ولكن الواقع هو أنك تطلب كل جميل تراه أجمـل، بـل قـد تـزداد اشتياقا بالتخيل، فقد تتخيل أن هناك جميلا من كل ما تراه بعينك في مكـان مـا فيحلق قلبك طائرا إلى بلد الحبيب ولسان حال فطرتك يقول:

هل سمعت قط عن وجود الحاضر الغائـب؟

فها أنا في وسط الجموع لكن قلبي في مكان آخر

وقد تعشق ما تتمنى. فأنت إن سمعت بأوصاف الجنة وما فيها مـن الوجـوه الساحرة ـ حتى وإن لم تكن تؤمن بالجنة لا سمح الله ـ لقالت فطرتـك: «ليـت هذه الجنة موجودة وليتهن كُنّ من نصيبي».

وهكذا الذين يرون الكمال في السلطان والنفوذ واتساع الملك، يتجه حـبهم واشتياقهم إلى ذلك. فهم إذا بـسطوا سـلطانهم علـى دولـة واحـدة، توجهـت أنظارهم إلى دولة أخرى. فإذا دخلت تلك الدولة أيضا تحت سيطرتهم، تطلعت أعينهم إلى أكثر من ذلك. فهم كلما استولوا على قطر اتجه حبهم إلى الإستيلاء على أقطار أخرى، بل تزداد نار تطلعـاتهم لهيبـاً. وإذا بـسطوا سـلطانهم علـى الأرض كلها وتخيلوا إمكان بسط سـلطتهم علـى الكواكـب الأخـرى، تمنـت

قلوبهم أن لو كـان بالإمكـان أن يطيـروا إلـى تلـك العـوالم كـي يخـضعوها لسيطرتهم.

وقس على ذلك حال أصحاب الصناعات ورجال العلم وغيرهم، وكل أفـراد الجنس البشري مهما تكن مهنتهم وحـرفهم، فهـم كلمـا تقـدموا فيهـا مرحلـة متقدمة، رغبوا في بلوغ مرحلة أكمل من سابقها، ولهذا يشتد شوقهم وتطلعهـم ولا يخمد.

النتيجة من هذه المقدمات:

إذن، فنور الفطرة قد هدانا إلى أن نعرف أن قلوب جميع أبناء البـشر ـ مـن أهالي أقصى المعمورة وسكان البوادي والغابات إلى شعوب الدول المتحـضرة في العالم، ابتداءً بالطبيعيين والماديين وانتهاءً بأهـل الملـل والنحـل ـ تتوجـه قلوبهم بالفطرة نحو الكمال الذي لا نقص فيه، فيعشقون الكمال الـذي لا عيـب فيه ولا كمال بعده، والعلم الذي لا جهل فيه، والقدرة التي لا تعجز عن شـيء، والحياة التي لا موت فيها. أي أن «الكمال المطلق» هو معشوق الجميع.

إن جميع الكائنات والعائلة البشرية يقولون بلسانٍ فصيح واحد، وبقلبٍ واحد وجهةٍ واحدة: «إننا عاشقون للكمال المطلق، إننا نحبُّ الجمال والجلال المطلق، إننا نطلب القدرة المطلقة، والعلم المطلق».

فهل هناك في جميع سلسلة الكائنات، أو في عالم التصور والخيال، وفي كل التجويزات العقلية والاعتبارية موجودٌ له الكمال المطلق والجمال المطلق سوى الله تقدست أسماؤه مبدأ العالم جلت عظمته؟ وهل الجميل على الإطلاق الـذي لا نقص فيه إلا ذلك المحبوب المطلق؟

فيا أيها الهائمون في وادي الحيرة، والضائعون في صحاري الـضلالات، بـل أيتها الفراشات الهائمة حول شمعة جمال الجميل المطلق، ويا عـشاق الحبيـب

الخالي من العيوب والدائم الأزلي، عودوا قليلاً إلى كتاب الفطرة، وتصفحوا كتاب ذاتكم، لتروا أن الفطرة الإلهية قد كتبت فيه بقلم القدرة ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[١] فهل أن ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢] هي فطرة التوجه نحو المحبوب المطلق؟ وهل أن الفطرة التي لا تتبدل ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[٣] هي فطرة المعرفة؟ فإلى متى توجه هذه الفطرة التي وهبك الله إياها نحو الخيالات الباطلة، نحو هذا وذاك من المخلوقات لله؟

إذا كان محبوبك هو هذا الجمال الناقص، والكمالات المحدودة، فلماذا عندما تصل إليها يبقى اشتياقك ملتهباً لا يخمد، بل يزداد ويشتد؟

تيقظ من نوم الغفلة، واستبشر فرحاً بأن لك محبوباً لا يزول، ومعشوقاً لا نقص فيه، ومطلوباً من دون عيب. وأن لك مقصوداً يكون نور طلعته هو النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤] وأن محبوبك ذو إحاطة واسعة «لو دُليتم بحبل إلى الأرضين السفلى لهبطتم على الله»[٥].

إذن يستوجب عشقك الحقيقي معشوقاً حقيقيا، ولا يمكن أن يكون شيئاً متوهماً متخيلاً، إذ أن كل موهوم ناقص، والفطرة إنما تتوجه إلى الكمال. فالعاشق الحقيقي والعشق الحقيقي لا يكون من دون معشوق، ولا معشوق غير الذات الكاملة (الله) التي تتجه إليها الفطرة. فلازم عشق الكمال المطلق وجود الكمال المطلق. وقد سبق أن عرفنا أنّ أحكام الفطرة ولوازمها أوضح من جميع البديهيات ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٦]][٧].

---

(١) سورة الأنعام: ٧٩.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) سورة النور: ٣٠.

(٥) علم اليقين، ج١، المقصد الأول، الباب الثالث ـ الفصل الخامس.

(٦) سورة إبراهيم: ١٠.

(٧) الأربعون حديثاً، ح١١، ص ٢٢٤ـ ٢٢٨، منهجية الثورة ص ٤ـ٧.

يتضح مما سبق أن السعي نحو الكمال وتحقيق الكمال هو من الأمور الفطرية التي فُطر الإنسان عليها، ومقتضى هذه الفطرة هو السعي نحو معرفة الكمال والأكمل، للوصول للأكمل الذي لا يشوبه نقص وهو الكمال المطلق.

صياغة أخرى لبرهان الفطرة:

ويمكن صياغته في أربع مقدمات:

(١) الإنسان لديه عشقٌ ذاتي للكمال فهو عاشقٌ من ذاته لا لشيء عارضٍ وطارئ عليه.

(٢) كل ما يصل إليه الإنسان في هذه الحياة الدنيا من الكمالات ليس هو الذي يعشقه بالفطرة بدليل عدم ثبات واستقرار النفس لأي كمالٍ في هذه الدنيا، فكلما تحصل على شيء تنصرف عنه وتطلب غيره وكل هذا يكشف على أنه لم يتعين بعد له المعشوق الحقيقي.

(٣) هذا العشق والميل لا نهاية له ولا يرضى القلب بأي حدٍ من الحدود فكلما حصل على كمالٍ يطلب ما هو أوسع منه فمثلاً رجال العلم الذين يرون كمالهم في العلم وأهل الدنيا وزخارفها الذين يحسبون الكمال في الثروة هؤلاء جميعاً عشقهم لا يقف عند حدٍ معين.

(٤) هذا العشق والميل والتطلع والشوق لا يمكن أن يزول ولا يمكن أن يخمد لكونه ذاتياً وإن أمكن أن يضعف.

النتيجة من هذه المقدمات:

إن ذات الإنسان تقول أنا عاشقةٌ للكمال المطلق وأتحرك نحو الكمال المطلق ولازم وجود عشق مطلق هو وجود معشوق مطلق لكون العشق من المقولات الإضافية (أي متقومة بطرفين (كالأبوة فهي متقومة بطرفين وهما الأب والابن))، بعدها نسأل عن مصداق هذا الكمال المطلق فما نجده في هذه الدنيا جميعه محدود وعليه فلا نجد كمالاً مطلقاً في الخارج وبالتالي النفس تسأل أين الكمال المطلق الذي أسير إليه وأتحرك نحوه، وليس هو إلا الله جل وعلا لكونه غير متناهٍ. وهذا الدليل يثبت موجوداً غير محدود مستجمعاً لجميع الكمالات على نحو لا متناهي فهو مالكٌ وقادرٌ وحيٌّ...، وعلى هذا الأساس فإن هذا البرهان يثبت أصل صفة الكمال ودرجتها.

ولكن ينبغي الإشارة إلى أن سالك طريق الكمال المطلق بحاجةٍ لأمرين مهمين:

١ـ اليقظة من نوم الغفلة، والإلتفات إلى نفس الأمر.

٢ـ الإرادة والعزم وبث الحركة.

خلاصة الدرس الثاني:

ـ المبادئ الحقة من الأمور الفطرية التي تخمرت مع الطينة الإنسانية في أصل الخلق.

ـ كل كمال محدود بهذا العالم هو كمالٌ وهمي قابلٌ للتلاشي والإضمحلال.

ـ المعشوق الحقيقي لدى العائلة البشرية برمتها هو الكمال المطلق، ولا كمال مطلق إلا الله تقدست أسماؤه مبدأ العالم جلت عظمته.

؟؟؟

أسئلة حول الدرس:

١ـ اذكر علائم الأمر الفطري.

٢ـ عرف الفطرة.

٣ـ وضح بأسلوبك البرهان الفطري على وجود الله عز وجل.

للمطالعة

❖ نسي الصحفي أسألته وطلب موعظة وإرشادا:

قرأت في إحدى الصحف العلمانية التركية مقالا طريفا لكاتب كان قد أساء القول في الإمام بما استطاع كما هو حال باقي كتاب الصحف التركية قبل انتصار الثورة الإيرانية، ثم حدث له أمر جدير بالملاحظة خلال لقائه بالإمام لإجراء مقابلة صحفية، يقول هذا الكاتب الصحفي: حملت معي قائمة طويلة من الأسئلة البلهاء وأنا اذهب للقاء الإمام من قبيل: كيف سيكون وضع الأقليات الدينية؟ ماذا سيفعلون بالنساء؟ هل قررتم تدمير المصانع؟... لكن هذا الكاتب الصحفي عندما دخل على الإمام أصابته حالة خاصة من التأثر والاضطراب والخجل جعلته يلتزم الصمت ويعرض عن طرح تلك الأسئلة، وكل ما طلبه من الإمام هو أن يقدم له نصيحة وموعظة فيما يرتبط بحياته الخاصة ويرشده، فأوصاه الإمام بأن يتعرف على الإسلام ويقيم مناسكه العبادية.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٣٣٩،٣٨٣

مناقشة الماديين

١ـ نظم العالم ليس صدفة وتلقائياً:

إن دليل النظم من البراهين المهمة (وليس أهمها) المذكورة في إثبات وجود الخالق وكذلك يستفاد منه في إثبات التوحيد، وهو يعتمد على التفكر والتدبر والتأمل في المخلوقات، فهو أحد الأساليب المتنوعة التي أقيمت لإثبات وجود الله تعالى، وهو عبارة عن الأدلة التي تقام عن طريق مشاهدة الآثار والآيات الإلهية في العالم ليصل الإنسان للإنسجام والترابط والتناسب بين الظواهر الموجودة والآثار الكونية، فيكتشف الهدف والتدبير الحكيم، مما يدلل على المنظم الحكيم والمدبر العليم للعالَم، ويتمثل دور هذا الدليل في إيقاظ الفطرة ومخاطبة الوجدان وهو الإنتقال من المعلول إلى العلة الذي يعبر عنه الفلاسفة بالبرهان الإنّي، يتعرض الإمام ﷺ إلى هذه المناقشات، ويشير لدليل النظم إذ يقول:

[إذا تفكر المرء في خلقته هو، على قدر طاقته وسعة علمه: أولا في الحواس الظاهرة التي صنعت وفق المدركات والمحسوسات. إذ أن لكل مجموعة من المدركات التي توجد في هذا العالم، قوة مدركة بأدق ما تكون من الدقة والترتيب المحيرين للعقول.

والأمور المعنوية التي لا تدرك بالحواس الظاهرة، تدرك على ضوء الحواس الباطنية. دع عنك علم الروح والقوى الروحية للنفس، مما تقصر مدارك الإنسان عن فهمها، واتجه بنظرك إلى علم الأبدان وتشريحها وبنائها الطبيعي، وخصائص كل عضو من الأعضاء الظاهرة والباطنة. انظر ما أغرب هذا النظام، وما أعجب هذا الترتيب؟! على الرغم من أن علم البشر لم يبلغ حتى الآن ولن يبلغ حتى بعد مائة قرن إلى معرفة واحد بالألف منه، حسب الاعتراف الصريح ـ بأفصح لسان من جميع العلماء ـ بعجزهم، مع أن جسم الإنسان بالنسبة إلى كائنات الأرض الأخرى، لا يزيد على مجرد ذرة تافهة. وأن الأرض وجميع كائناتها لا تعدل شيئاً إزاء المنظومة الشمسية، وان كل منظومتنا الشمسية لا وزن

لها إزاء المنظومات الشمسية الأخرى، وأن كل هذه المنظومات الكلية منها والجزئية مبنية وفق ترتيب منظم ونظام مرتب بحيث أن أي نقد لا يمكن أن يوجه إلى أتفه ذرة فيها، وأن عقول البشر كافة عاجزة عن فهم دقيقة من دقائقها. فهل بعد هذا التفكر يحتاج عقلك إلى دليل آخر ليذعن بأن هناك موجوداً عالماً قادراً حكيماً، لا يشبه الكائنات الأخرى بشيء، هو الذي أوجد هذه الكائنات بكل حكمة ونظام وترتيب وإتقان؟ ﴿أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

إن كل هذا الخلق المتقن الذي يعجز الإنسان عن فهمه لم يظهر عبثا وتلقائياً! فلتعم عين القلب التي لا ترى الله، ولا تشاهد جمال جميله في هذه الموجودات! وليمحق الذي يبقى في الشك والتردد بعد كل هذه الآيات والآثار. ولكن ما الذي يستطيع عمله هذا الإنسان المسكين المبتلى بالأوهام؟

لو أنك عرضت مسبحتك وزعمت أن حباتها قد انتظمت تلقائياً من دون أن ينظمها منظم، لاستهزأت بك البشرية. والأدهى من ذلك أنك لو أخرجت ساعتك من جيبك وزعمت نفس الزعم أيضاً بالنسبة إليها، ألا يخرجونك من زمرة العقلاء؟ وألا يرميك كل عقلاء العالم بالجنون؟ فإذا وصف الذي يخرج نظام هذه الساعة من قاعدة العلة والمعلول بأنه مجنون، ويجب أن يحرم من حقوق العقلاء، فما الوصف المناسب الذي يجب أن يوصف به من يزعم أن نظام هذا العالم، لا بل هذا الإنسان ونظام روحه وجسمه قد ظهر تلقائياً؟ هل يجب إبقاؤه في زمرة العقلاء؟ ترى أي بله أشد من هذا؟ ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[1] الموت للإنسان الذي لا يحيى بالعلم، بل غارق في بحر الضلالة].[2]

---

(١) سورة عبس: ١٧.

(٢) الأربعون حديثاً ح١٢، ص٢٤٢ـ٢٤٤، منهجية الثورة ص ٧ـ٩.

٢ـ «الممكن» لا يوجد بنفسه:

يبين الإمام رضوان الله عليه دليلا آخر للتوحيد وهو برهان الإمكان ويذكر أن الموجود الممكن لابد له من موجد ـ وهذا الموجِد هو موجود بالذات ـ، ولا يمكن لهذا الممكن أن يوجد نفسه بنفسه وإلا لصار واجبا وليس ممكنا وهذا من واضحات العقل، وقد عرف الموجود بالذات بأنه الموجود الذي لا يمكن سلب الوجود عنه سابقا وكما يستحيل ذلك لاحقا، بخلاف الممكن فإنه الموجود المسبوق بالعدم.

[وهذه حقيقة واضحة يستطيع إدراكها عقل أي إنسان بالفطرة ويفهم أن الموجود الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه مثل هذا الوجود الإمكاني لا يمكن أن يوجد بذاته فهذا الممكن يجب أن ينتهي إلى وجود موجود بالذات أي الموجود الذي لا يمكن سلب الوجود منه وهو الأزلي الذي يستحيل سلب الوجود منه وسائر الموجودات الأخرى ممكنة الوجود والعدم وهذه لا تكتسب الوجود بذاتها فهي محتاجة إلى من يوجدها وهو خارج عنها.

لو فرضنا هذا الفضاء الوهمي الذي ليس بشيء وليس له واقع خارجي أنه فضاء أزلي فلا يمكن أن يتبدل إلى شيء موجود بنفسه أو أن يظهر فيه موجودٌ دون موجد.

وقول أولئك الذين يقولون بأنه كان في الدنيا منذ الأزل فضاءٌ غير متناه (والإشكال في اللامتناهي يبقى قائما)، ثم ظهر بعد ذلك هواء وبخار ومن هذا الموجود «البخار الذي في الفضاء» وُجد شيءٌ آخر وهكذا، مثل هذا القول يخالف الضرورة العقلية التي تنفي تحول شيء إلى شيء آخر بذاته ودون تدخل علة خارجية، فكل شيء يتبدل إلى شيء آخر يحتاج إلى علةٍ خارجية وبدونها محالٌ أن يتبدل، فالماء مثلاً يحتاج إلى علةٍ خارجيةٍ ليصبح ثلجاً منجمداً أو ليصبح ماءً مغلياً وبدون هذه العلة الخارجية يبقى إلى الأبد ماءً لا تصبح درجته تحت الصفر ولا فوقه، فهو محتاجٌ إلى علةٍ خارجية وشيء

خارجي حتى لا يتعفن، وهذا توضيح إجمالي لاحتياج كل معلول إلى علة وافتقار كل ممكن إلى علة].[١]

(١) منهجية الثورة ص٩، تفسير آية البسملة ص ٣٧.

خلاصة الدرس الثالث:

ـ إن كل هذا الخلق الذي يعجز الإنسان عن فهمه لم يظهر عبثاً وتلقائياً بل إنما ظهر على وفق ترتيبٍ منظمٍ ونظامٍ متقن.

ـ الموجود الممكن الوجود لا يكتسب الوجود بذاته، بل إن وجوده منوط بموجودٍ آخر ومتوقف عليه.

أسئلة حول الدرس:

١ـ كيف تناقش المدعى القائل بأن نظم العالم صدفة؟

٢ـ وضح برهان النظم.

٣ـ بالرجوع لكلام السيد الإمام ﵀ اذكر برهان الإمكان بأسلوب مبسط.

للمطالعة

❖ لعل هذا الحكم قد صدر من ناحية إمام الزمان عجل الله فرجه:

في يوم (٢٢) بهمن (١٩٧٩/٢/١١) أمر الإمام أبناء الشعب بالخروج إلى الشوارع ونقض مقررات الحكم العسكري إعلاناً لرفضه لها، فأخبروا آية الله الطالقاني قدس سره بذلك وكنت حاضراً في منزله فاتصل عبر الهاتف بالإمام في مدرسة علوي وظل يتحدث معه ساعة أو نصف ساعة، وكان الإخوة خارج الغرفة وهم يسمعون آية الله الطالقاني يكرر القول للإمام: إنكم يا سيدي لم تكونوا في إيران في الأعوام السابقة، إن هذا الحكم خبيث للغاية لا يتورع عن شيءٍ ولا يرحم صغيراً ولا كبيرا، ألغوا ما حكمتم به من الخروج للشوارع...

كان السيد الطالقاني يكرر باستمرار توضيحاته بشأن خباثة النظام الشاهنشاهي وإجراميته بهدف ثني الإمام عن قراره وحكمه بلزوم خروج الأهالي إلى الشوارع. ثم التفت الإخوة أن السيد الطالقاني قد وضع سماعة الهاتف فجأةً، وجلس في زاوية الغرفة وقد ظهر عليه تأثرٌ شديد! فدخلوا عليه وهم يتصورون أن الإمام قد كلمه بلهجةٍ عنيفةٍ مثلاً ونهاه عن التدخل في الأمر ولذلك ألحوا على آية الله الطالقاني لأن يخبرهم بما جرى فقال قدس سره: لم يقبل الإمام كل ما قلته له بهذا الشأن ولما رأى إلحاحي وعدم اقتناعي قال لي:

«أيها السيد الطالقاني، لعلَّ هذا الحكم قد صدر من ناحية إمام الزمان عجل الله فرجه! ولما سمعتُ منه هذه الجملة ارتعشت يدي فودعته لأنني لم أعد قادراً على الردِّ عليه.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحالات العبادية والمعنوية ص ١٧٦

الباب الثاني: صفات واجب الوجود

الدرس الرابع

صفات الخالق (تبارك وتعالى)

أقسام الصفات:

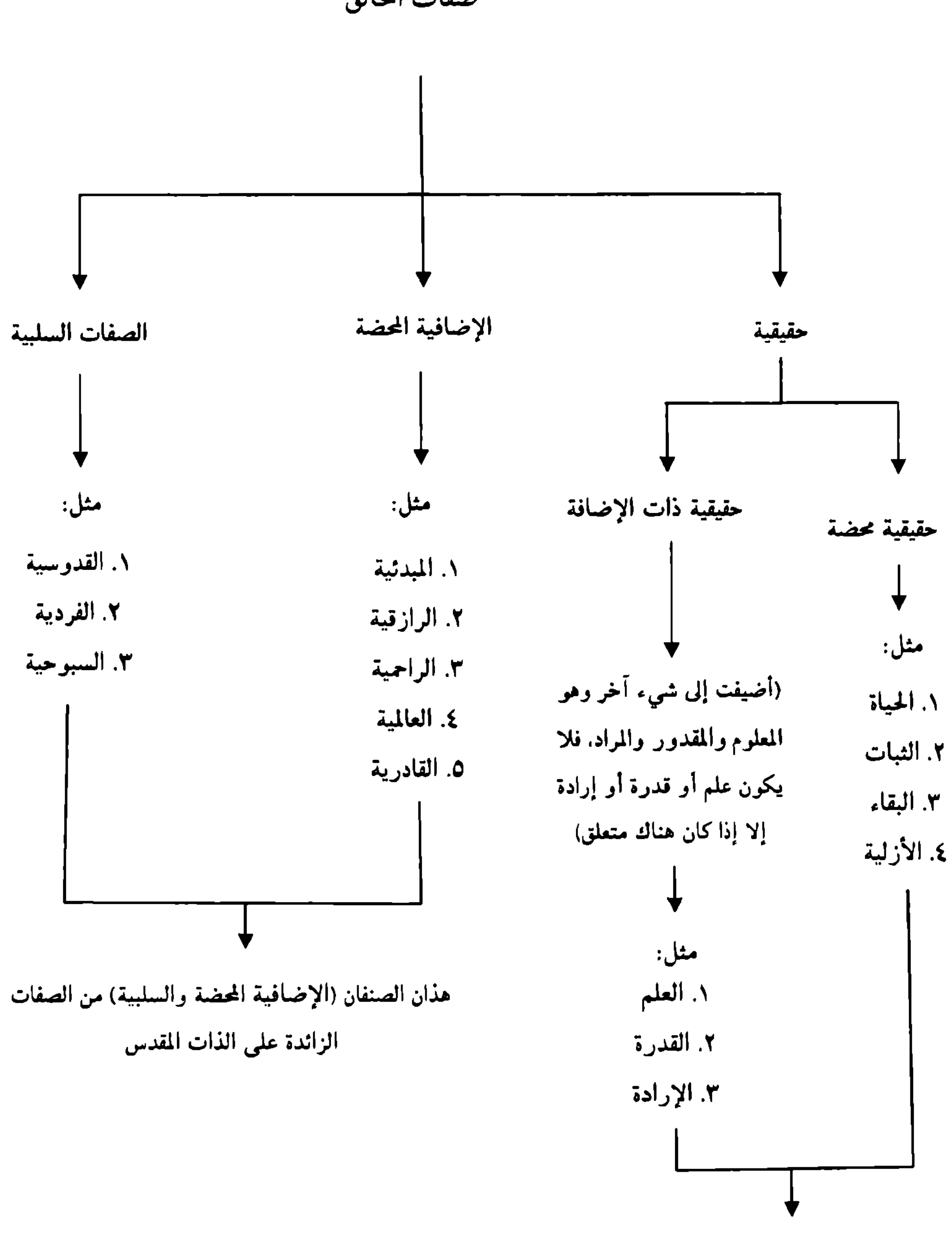
الصفات الثبوتية والصفات السلبية:

لقد قسم المتكلمون صفات الخالق إلى قسمين رئيسين وهما الصفات الثبوتية والصفات السلبية ويطلق على القسم الأول الصفات الجمالية والكمالية لأنها تثبت للخالق الكمال والجمال وكل ما يجب أن يتصف به من كمال، أما القسم الثاني فيطلق عليه الصفات الجلالية والتنزيهية لأنها تنزه الخالق وتقدسه عن كل ما يجب أن يتنزه عنه وتنفي عنه كل نقص.

وقد قُسمت الصفات الثبوتية إلى قسمين، الصفات الثبوتية الذاتية والصفات الثبوتية الفعلية.

أما الفلاسفة فقد قسموا الصفات إلى ثلاثة أقسام حقيقية ـــ وهي على قسمين حقيقية محضة وحقيقية ذات إضافة ـ وإضافية محضة وسلبية فهي على ما هو مبين في الشكل التالي:

تقسيم الصفات عند الفلاسفة



آراء السيد الإمام ﵀ حول صفات الخالق جلّ وعلا:

لقد وقع الخلاف الكبير في بحث الصفات حتى هدرت الدماء بسبب هذا الخلاف ووقع التناحر بين مذاهب الأمة، ونحن لا نحتاج للدخول في هذه المتاهات التي كثيراً ما تكون مضيعة للجهود ومضلة عن الصراط خصوصاً بالابتعاد عن منهج أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، فنقتصر على ذكر بعض آراء السيد الإمام ﭬ على شكل نقاط:

١ـ الله تبارك وتعالى جامع لجميع الكمالات، فكل صفة تكون كمالاً فهي ثابتة له، وإلا ـ إذا لم تكن ثابتة له ـ فهو يحتاج لهذه الصفة ليكون كاملاً، وهذا خلاف كونه واجب الوجود والكمال المطلق الذي لا يحتاج لغيره في كل الأشياء، بل غيره محتاج إليه.

٢ـ من أهم أدلة التوحيد هو دليل الفطرة والذي هو سيال في بقية الأصول ويصلح لأن يكون دليلا لكثير من الضروريات العقلية.

٣ـ عدم إرجاع الصفات الثبوتية لبعضها الآخر أو لصفة واحدة ــ كما أرجع بعضهم الصفات لصفة العلم ـ بل كل صفة ثابتة للواجب من دون الحاجة لإرجاعها لصفة أخرى ولا يستلزم منها الكثرة وهذا مخالف لرأي كثير من الفلاسفة.

٤ـ عدم إرجاع الصفات السلبية لصفة سلبية واحدة.

٥ـ صفات الله عين ذاته وليست زائدة عليه، فالعلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات هي من ذات الله تعالى وليست أمرا عرضياً عليه أو زائداً على ذاته المقدس، وإلا لو كانت زائدة لاستلزم الاحتياج والتركيب، هذا في قبال الأشاعرة الذين اعتقدوا بأن الصفات الإلهية زائدة على الذات فقالوا بتعدد القدماء والتي تسمى بـ(القدماء الثمانية)، وهذا مخالف لتوحيد الصفات.

٦ـ الله تبارك وتعالى منزه عن كل عيب ونقص ولا يتصور فيه ما يدخل عليه النقص ويستلزم الحاجة فهو واحد أحد غير مركب وليس له شريك ولا يرى وليس له جهة، وكل ما يستلزم النقص والحاجة فهو منفي عنه.

٧ـ الميزان في الصفات الثبوتية والسلبية هو أن كل ما يجب أن يكون للواجب من صفة كمال وجمال فهو من الصفات الثبوتية، وكل ما يجب أن ينزه عنه ويستلزم أن لا يكون وجوده وجودا صرفا، وكل ما يؤدي لتركيبه واحتياجه فيجب أن ينزه عنه فهو من الصفات السلبية.

٨ ـ التوحيد يكون من جميع الجهات في الذات والصفات والأفعال والعبادة.

٩ـ إن ما يتوهم منه نقص الله تعالى من القول ببعض المعتقدات المتوهم منها النقص والجهل كالبداء فهو مدفوع ولا يستلزم النقص وسيأتي الكلام عنها مفصلاً.

١٠ ـ إن الشبهات المطروحة في بعض العبادات وخصوصاً على مذهب الإمامية والمتهمين فيها بالشرك ـ كالسجود على التربة الحسينية والتوسل وزيارة القبور وطلب الحوائج وغيرها ـ هي أوهن من بيت العنكبوت وهي مردودة في محلها وسيأتي ذلك في الدروس اللاحقة.

فوائد

الفائدة الأولى:

توحيد الله أمر فطري:

[إعلم أن من الأمور الفطرية التي «فطر الناس عليها» هو النفور من النقص، ولذلك فإن الإنسان ينفر من كل ناقص قد وجد فيه نقصاً وعيباً. إذاً فالفطرة تنفر من النقص والعيب، كما أنها تنجذب إلى الكمال. فالفطرة لابد وأن تتوجه إلى الواحد الأحد، لأن كل كثير ومركب ناقص، ولا تكون كثرة من دون محدودية، مع أن المحدودية نقص وكل ناقص مرغوب عنه من جانب الفطرة وليس بمرغوب فيه. إذاً، أمكن من هاتين الفطرتين «فطرة حب الكمال» و«فطرة النفور من النقص» إثبات التوحيد. بل إن استجماع الله لجميع الكمالات، وخلو ذاته المقدسة من كل نقص، قد ثبت بالفطرة أيضاً. وسورة التوحيد المباركة التي تبين نسب الحق المتعالي وبحسب رأي شيخنا الجليل[1] (روحي فداه) إن

---

(١) آية الله الشيخ الشاه آبادي قدس سره، أستاذ الإمام الخميني قدس سره في العرفان، من أساطين العصر، عرفه القاصي والداني، وكان الجميع يعدّه حجة في عالم الإسلام.

كثيراً ما كان الإمام الراحل، الذي نعدّ كلماته حجة قوية علينا، يعبّر عن إعجابه بالمميزات الروحية لهذا الرجل العظيم، ولا يخفى على أحد حجم التأثير الذي تركه الشيخ في شخصية الإمام ونستطيع القول أن الإمام اكتسب أبعاده العرفانية (أي الجانب المعنوي والعقائدي) في شخصيته من هذا الأستاذ.

الهوية المطلقة التي تتوجه إليها الفطرة، والتي أشير إليها في صدر سورة التوحيد المباركة بكلمة ﴿هُوَ﴾ المباركة، تعد برهاناً على الصفات الست المذكورة بعد ذلك، إذ لما كانت ذات الله المقدسة هوية مطلقة، والهوية المطلقة يجب أن تكون كاملة مطلقة، وإلا لكانت محدودة، ولم تكن مطلقة، فهو مستجمع لجميع الكمالات، فهو (اللَّهُ) وفي الوقت الذي يكون مستجمعاً لجميع الكمالات؛ يكون بسيطاً، وإلا فالهوية لا تكون مطلقة إذاً فهو ﴿أَحَدٌ﴾ ولازم الأحدية هو الواحدية، ولما كانت الهوية المطلقة المستجمعة لجميع الكمالات منزهة عن جميع النقائص التي تعود بأجمعها إلى الماهية، إذاً فتلك الذات المقدسة هي ﴿الصَّمَدُ﴾ وليست جوفاء. ولما كانت الهوية مطلقة، فلن يتولد منها شيء ولا ينفصل عنها شيء، ولا ينفصل هو عن شيء (لم يلد ولم يولد)، وإنما هو مبدأ كل شيء، ومرجع جميع الموجودات بدون الانفصال الذي يوجب النقصان. والهوية المطلقة أيضاً ليس لها كفؤ، إذ لا يمكن تصور التكرار في الكمال الصرف. إذاً فالسورة المباركة (الإخلاص) من أحكام الفطرة ولبيان نسب الحق المتعال][1].

الفائدة الثانية:

الله تعالى جامع لجميع الكمالات:

[إعلم أنه قد ثبت في محلّه، أنّ ما هو من سنخ الكمال والجمال والتمام، فهو راجع إلى عين الوجود وحقيقته، وأن الشيء الوحيد الأصيل الشريف في هذا الكون الذي يكون مصدرا لكل الكمالات ومصدرا لكافة الخيرات هو حقيقة

ولشدة تعلق الإمام بهذا الرجل، كان يجله كثيراً ويولي احتراماً خاصاً له، فكان لا يفتأ في كتاباته بعبارة (الشيخ العارف الكامل روحي فداه)، وفي موضعٍ آخر كان يقول عن أستاذه ـ كلما ذكره ـ: (لم أر إنساناً بهذا القدر).

(١) الأربعون حديثاً، ح١١، ص٢٢٨ـ٢٢٩، منهجية الثورة ص ١٠ـ١١.

الوجود. وذلك أنه إذا لم تكن الكمالات عين حقيقة الوجود، وكانت مغايرة بوجه ما في حاقّ الواقع مع حقيقة الوجود، للزم تحقق أصلين في عالم الوجود ولبعث على مفاسد كثيرة، فكل ما يكون كمالا لا يكون بحسب المفهوم والماهية كمالا، وإنما يكون كمالاً بواسطة تحققه وتحصله في عالم الأعيان، وما هو موجود ومتحقق في حاقّ الأعيان ونفس الأمر هو أصل واحد، وهو الوجود فيعود كل ما هو كمال إلى أصل واحد وهو حقيقة الوجود.

وقد ثبت أن حقيقة الوجود، أمر بسيط من جميع الجهات، وبريءٌ من التركيب بصورة مطلقة، ما دام محافظا وباقياً على ذاته الأصلية وحقيقته الخالصة. وإذا تنزل عن أصالته وحقيقته، لغدا مركبا عقليا أو خارجا حسب مقامه ومنزلته. فهو بسيط ذاتاً ومركب نتيجة طرو أمر غريب عرضي خارج عن ذاته.

وتستفاد من هذا البيان المذكور، قاعدتان شريفتان:

القاعدة الأولى: أن البسيط من جميع الجهات هو بنفسه جميع الكمالات من حيثية واحدة، وجهة فريدة، فمن الحيثية التي بها صار البسيط من جميع الجهات موجودا، يكون عالماً وقادراً وحياً ومريداً، وتصدق عليه جميع الأسماء والصفات الجمالية والجلالية، فهو عالم من حيث أنه قادر، وقادر من حيث أنه عالم، من دون أدنى اختلاف اعتباريٍّ حتى لدى العقل.

وأما تغاير مفاهيم الأسماء، والموضوع له الألفاظ في اللغة، والتي تكون مفاهيم عقلية متصورة على نحو لا بشرط ـ من دون تقييدها بالمدلول البسيط أو المركب ـ أما هذا التغاير فلا يتسرب إلى الحقيقة العينية، ومن الواضح أن المفاهيم المختلفة للكمال، تنتزع من شيء واحد، بل حسب البيان المتقدم (أن بسيط الحقيقة بسيط من جميع الجهات) وعليه لابد من انتزاع كل المفاهيم

الكمالية من حيثية واحدة. وإذا انتزعت مفاهيم الكمال من حيثيات مختلفة ومصادر متعددة كما هو شأن بعض الممكنات، لكان هذا التغاير أمرا عرضيا طارئا وناتجا من تنزل حقيقة الوجود، وتشابكه مع العدم بالعرض.

القاعدة الثانية: أن الكامل من جميع الجهات، وإن ما هو صرف الكمال والخير لابد وأن يكون بسيطاً من جميع الجهات.

وتستفاد أيضاً بالتبع قاعدتان أخريتان هما:

أن المركب مهما كان نوعه، لا يكون كاملا من جميع الجهات، إذ أن النقص والعدم قد تسربا إليه. وأن الناقص لا يكون بسيطاً بصورة مطلقة.

إذن لما كان الحق المتعالي بسيطاً تاماً، وبعيدا كل البعد عما يستلزم الإمكان والفقر والتعلق بالغير، كان كاملاً من جميع الجهات، ومشتملاً على جميع الأسماء والصفات، وحقيقة أصيلة ووجوده صريحا من دون أن يخامره غير الوجود، ويخالط الكمال غير الكمال، فهو وجود صرف، إذ لو تدخل غير الوجود فيه لتحقق شر التراكيب وهو عبارة عن التركيب بين الوجود والعدم. فهو صرف العلم، وصرف الحياة وصرف القدرة، وصرف البصر والسمع، وكافة الكمالات. وعليه يصح كلام الإمام الصادق عليه السلام (والعلمُ ذاتهُ والقدرةُ والسمع والبصر ذاته)[1]][2].

الفائدة الثالثة:

صفات الخالق (عزَّ وجلَّ): بحث صفات الخالق من الأبحاث المهمة التي وقع الخلاف الكبير في تفصيلاتها، وقد نقل إمام الأمة قدس سره كلام الفلاسفة في تقسيم الصفات الإلهية، وعمد إلى آرائهم في ذلك فناقشها بنقد أهل الإختصاص، فركن إلى بعض النتائج المخالفة لهم، وقد تقدمت الإشارة لها، ونحن ننقل البحث برمته لمن أراد الإطلاع.

---

(١) أصول الكافي، ج ١ كتاب التوحيد، باب صفات الذات ح ١.

(٢) الأربعون حديثاً ح٣٦، ص ٦٧٠ ـ ٦٧١.

[«نقلٌ وتحقيق: في كلام الفلاسفة في تقسيم أوصاف الحق عز وجل»]:

إعلم أن الفلاسفة الإلهيين الحكماء، قد قسموا صفات الحق سبحانه على أقسامٍ ثلاثة:

الأول: الصفات الحقيقية. وصنفوها إلى صنفين:

(أ) الصفات الحقيقية المحضة مثل الحياة والثبات والبقاء والأزلية وأمثال ذلك.

(ب) الصفات الحقيقية ذات الإضافة، مثل العلم والقدرة والإرادة. وهذه الصفات قد أضيفت إلى شيء آخر وهو المعلوم والمقدور والمراد فلا يكون علم أو قدرة أو إرادة إلا إذا كان هناك متعلق. وهذان الصنفان من الصفات الحقيقية يعتبران عين الذات.

الثاني: الصفات الإضافية المحضة، مثل المبدئية والرازقية والراحمية، والعالمية، والقادرية وأمثالها.

الثالث: الصفات السلبية المحضة مثل القدوسية والفردية والسبوحية وأمثالها.

ويعتبر العلماء هذين النوعين ـ الثاني والثالث ـ من الصفات الزائدة على الذات المقدس. كما وأنهم يرجعون جميع الصفات السلبية إلى سلبٍ واحد هو سلب الإمكان. وجميع الصفات الإضافية إلى إضافة واحدة هي الموجدية، ويرون بأن مبدأ الإضافات يعود إلى الإضافة الإشراقية والإفاضة النورية ـ صدور المعلول من العلة ـ.

ولا تكون هذه الأقسام: من العينية في الصفات الحقيقية، والزيادة في الصفات الإضافية والسلبية، حسب البيان الذي شرحوه وعلى ضوء البراهين التي أقاموها، بصحيحة عندي. كما لا تتطابق مع الأدلة القويمة الفلسفية، والاعتبار العرفاني الصحيح. وذلك أننا إذا حدثنا في صفات الله سبحانه:

أولاً:

أـ على أساس مفاهيم الأسماء والصفات، وملاحظة المفاهيم المتكثرة، للزم أن لا نجعل صفة من الصفات ـ حتى الصفات الحقيقية ـ عين ذاته المقدس.

ب ـ وإذا جعلنا الذات عين مفاهيم الأوصاف الإضافية أو السلبية، للزم أن يكون الحق سبحانه، إضافة محضة وحيثية سلبية.

ج ـ وكذلك إذا جعلنا الذات عين مفاهيم الصفات الحقيقية، للزم أن يكون الحق عز وجل نفس المفاهيم الإعتبارية والمعاني العقلية، تعالى عن ذلك.

ثانياً: وإذا لاحظنا حقائق الأوصاف ـ لا مفاهيمها ـ والمصداق المتحقق للأسماء والصفات لكانت الأسماء والصفات الإضافية والحقيقية بأسرها عين الذات المقدس، لأن الفرق بين العالمية والعالم، والقادرية والقادر، اعتباري ومفهومي. وإن الأوصاف الإضافية كافة، تعود إلى الرحيمية والرحمانية الذاتيتين، حتى الرازقية والخالقية وغيرهما.

الرابع: وأما إرجاع جميع الصفات السلبية إلى صفة واحدة هي سلب الإمكان، والصفات الإضافية إلى إضافة واحدة هي الموجدية، وعدم إرجاع الأوصاف الحقيقية إلى شيء، فكذلك (أي ليست صحيحة كسابقتها) لأنه:

أـ إذا بحثنا الموضوع على ضوء المفاهيم، لما عادت صفة من تلك الصفات إلى أخرى، لا في الصفات السلبية ولا الصفات الإضافية ولا الصفات الحقيقية.

ب ـ ولو درسنا الموضوع على أساس الحقائق لا المفاهيم، لرجعت جميع الأوصاف على ما هي من الأقسام والأنواع إلى صفة واجبة واحدة][1].

---

(١) الأربعون حديثاً، ح٣٦، ص ٦٧١ ـ ٦٧٣.

في تحقيق عينية الصفات مع الذات المقدس:

[وملخص الكلام أن التحقيق في أوصاف الحق سبحانه في ظل الفلسفة النظرية، يفضي إلى القول:

أولا: **بأن الأوصاف الحقيقية والإضافية:**

أـ على ضوء المفاهيم، متغايرة ومختلفة ولا تكون إحداها عين الأخرى.

ب ـ وعلى ضوء الحقيقة والواقع فإن جميع الأوصاف تعود جميعاً إلى الذات المقدس وتكون عينه. ولكن توجد للأوصاف مرتبتان.

إحداهما: **مرتبة الذات والأوصاف الذاتية، حيث نستطيع أن ننتزع من هذه المرتبة العلم والعالمية والقدرة والقادرية.**

ثانيتهما: **مقام الأوصاف الفعلية، الذي يكون أيضاً من إنتزاع مفهوم العلم والعالمية والقدرة والقادرية.**

ثانيا: **وأما الأوصاف السلبية مثل القدوس والسبوح والأسماء التنزيهية فإنها من لوازم الذات المقدس، ويكون الذات المقدس مصداقاً بالعرض لتلك الأوصاف السلبية، لأن الحق المتعالي كمال مطلق ويصدق عليه سبحانه الكمال المطلق بالذات ـ لا بالعرض ـ لأنه سبحانه أساس الحقيقة وأصلها، ومن لوازمه سلب النقائص، فيكون الكمال مصداقاً عرضياً لسلب النقائص.**

ويرى أهل المعرفة وأصحاب القلوب أن مقام التجلي بالفيض الأقدس مبدءٌ للأسماء الذاتية. وأن مقام التجلي بالفيض المقدس، مبدءٌ للأوصاف الفعلية، ويعتقدون بأن هذا المقام ـ التجلي بالفيض المقدس ـ لا يكون (غيراً) ـ غير الذات ـ كما لا يكون (عيناً) ـ عين الذات ـ].[1]

---

(١) الأربعون حديثاً، ح٣٦، ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

صفة العلم

العلم قبل الإيجاد:

إن صفة العلم من الصفات التي وردت فيها الكثير من الروايات نتيجة الخلاف العظيم الذي وقع في تفاصيل هذه الصفة، فمما وقع الخلاف فيه هو كيفية هذا العلم هل هو إجمالي أم تفصيلي؟ وهل هي عين الذات المقدس أم هي زائدة عليه؟ وهل هو أزلي أم حادث؟ ذهب الفلاسفة والعرفاء ـ وطبقا للروايات ـ إلى أن العلم الإلهي علم تفصيلي أزلي قبل الإيجاد وهو من صفات الذات، وقد ساق السيد الإمام العظيم قدس سره الدليل نحو ما ذكروا وكان مؤداه أن علم الله تعالى بالعلة التامة للموجودات وكذا علمه بقانون الأسباب والمسببات ونتائجها يقتضي علمه بالمسبب قبل وقوعه.

[ومن الأبحاث الشريفة التي أشار إليها هذا الحديث الشريف هو علم الله سبحانه بمخلوقاته في الأزل قبل إيجادها. لقد حصل خلاف عظيم في أصل هذا العلم وكيفيته من أنه يكون على نحو الإجمال أو التفصيل؟ وهل إن هذا العلم يكون زائداً على الذات أو عينه؟ وهل هو قبل الإيجاد أو معه؟ وتفصيل ذلك موجود في كتب الفلاسفة، ونحن نقتصر على التحقيق في هذا الموضوع، ونتجنب عرض الأقوال الأخرى ومناقشتها.

إعلم أنه قد ثبت لدى أصحاب البرهان (الفلاسفة) وأرباب العرفان (العرفاء) بأن هذا الحديث الشريف قد أومأ إلى أن العلم بالمعلوم قد كان في الأزل قبل الإيجاد، وأن هذا العلم عين الذات المقدس، وأن علمه سبحانه تفصيلي وليس بإجمالي حيث قال «والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر»[1] ومن الواضح أن البصر والسمع شهود للمبصر والمسموع بصورة تفصيلية. وأشير أيضاً في هذا الحديث إلى علمه التفصيلي سبحانه عندما يقول عليه السلام «فلما أحدث الأشياء، وكان المعلوم؛ وقع العلم منه على المعلوم... الخ» لأنه سبحانه لم

---

(١) أصول الكافي، ج ١، كتاب التوحيد، باب صفات الذات ح ١.

يجدد علمه بعد الإيجاد، وإنما وقع العلم منه على المعلوم بعد حدوثه. ونحن سنذكر معنى وقوع العلم على المعلوم.

وأما بيان هذا الموضوع الإيماني الشريف على مسلك المحققين من الفلاسفة، فهو أنه بعد أن تبين في الفصل السابق أن الحق سبحانه وجود صرف وكمال صرف، وأن الوجود الصرف مع بساطته ووحدته التامة، جامع لجميع الكمالات، ومستجمع لكمال جميع الموجودات، وأن ما يكون خارجاً عن إحاطته الوجودية، فهو عدم ونقص وقصور، ولا شيئية، وأن نسبة المراتب الأخرى الوجودية إلى ذاته المقدس نسبة النقص إلى الكمال. بعد هذا نقول بأن العلم بالكمال المطلق علم بمطلق الكمال من دون نقص وقصور، ومثل هذا العلم عين الكشف التفصيلي الكلي البسيط، من دون أن يخرج من إحاطة علمه ذرة من الموجودات، أزلاً وأبداً ومن دون أن تتطرق إليه سبحانه الكثرة والتركيب.

وأما على مسلك العرفاء، فهو أن الحق سبحانه وتعالى مستجمع لجميع الأسماء والصفات، في مقام الواحدية، ومقام جمع الأسماء، وأن الأعيان الثابتة لجميع الموجودات، من لوازم الأسماء الإلهية في مقام جمع الأسماء في الأزل قبل الإيجاد، وأن التجلي المطلق للذات سبحانه من مقام الأحدية وغيب الهوية، هو كشف لجميع الأسماء والصفات ولوازمها من الأعيان الثابتة لكافة الموجودات بتجلٍ واحد، وكشف بسيط مطلق. إذن يتم من خلال الكشف العلمي بواسطة تجلي الفيض الأقدس كشف الذات والأسماء والصفات والأعيان، من دون حصول كثرة وتركيب.

وهذان المسلكان في منتهى الإتقان والسداد والرفعة. ولكنه من جهة صعوبتهما وتوقفهما على استيعاب مبادئٍ فلسفية كثيرة وفهم مصطلحات أهل الله وأصحاب القلوب (العرفاء) ومن جهةٍ أنه لولا معرفة تلك المقدمات والأنس

التام والكامل بها، وممارستها وحسن الظن الكامل بالعلماء بالله لما استفيد شيء من هذه الأبحاث؛ بل ازداد التحير، وتضاعف التعقيد. فالأولى اللجوء ـ في توضيح الموضوع ـ إلى بيان سهل قريب إلى أفهام الناس.

فنقول: إن علّية واجب الوجود تعالى شأنه ومبدئيته، تختلف عن علّية الفاعل الطبيعي، حيث إنَّ العلة الطبيعية تركّب المواد الموجودة، وتجزّؤها، مثل النجّار الذي يغيّر القطعة الخشبية، فيزيد قطعة وينقص أخرى، ومثل البنّاء الذي يجمع ويركب المواد الموجودة، ولكن الحق المتعالي فاعل إلهي يخلق الأشياء بإرادته من دون حاجةٍ إلى مواد أولية مسبقة، وأن علمه وإرادته علة ظهور الأشياء ووجودها، فدار التحقق محاطة بعلمه، وتخرج من غيب الهوية عندما يريد الله سبحانه إظهارها ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[١].

يقال إن مثل عالم الأعيان الخارجية بالنسبة إلى ذاته المقدس جل جلاله، مثل الذهن بالنسبة إلى نفس الإنسان، حيث تخلق النفس في الذهن بإرادتها ما تريد، وتظهر ما هو مكنون في غيب الهوية.

فجميع العوالم الموجودة محيطة بعلمه، وتظهر منه، وتعود إليه ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٢].

وبعبارة أوضح: إن العلم بسبب الشيء، وعلّته التامة يستلزم العلم بذلك الشيء، فإن علم المنجم بالخسوف والكسوف في ساعة محددة من يوم معلوم، يكون نتيجة علمه بالأسباب، حيث يرصد حركة الشمس والقمر وحيلولة القمر بين الأرض والشمس، فيحصل له العلم بالكسوف والخسوف. ولو كان رصده دقيقاً لما تخلّف الكسوف والخسوف عن علمه بمقدار ثانية.

---

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

(٢) سورة البقرة: ١٥٦.

ولما كانت جميع حلقات الأسباب والمسببات من هـذا العـالم تنتهـي إلـى الذات المقدس والمبدأ لكل المبادئ، وكان الحـق سـبحانه عالمـاً بذاتـه، وأن علمه بذاته الذي هو سبب لجميع الموجودات، علم بالمسبب أيضا، ولمَا كانت كذلك، كان الله سبحانه عالما بكل الأشياء، وكان علمه بنفسه سببا لظهور وخلق جميع الأشياء.

هذه هي الوجوه المذكورة في المقام لإثبات علمـه سـبحانه بالأشـياء قبـل خلقها وإيجادها، ويستطيع كل واحد حسب نشأته أن يختار وجها منها، رغم أن بعض الوجوه أسد وأوفى بكل المقصود].(١)

صفتي السمع والبصر

معنى سمع الله وبصره:

في هذا المبحث من الصفات الإلهية يشير الإمام قدس سره إلى أمر مهم قد تسالم عليه مشهور الفلاسـفة والمتكلمين وهو أن الصفات الذاتية ترجع لبعضها البعض وأوصلوها إلى ثـلاث صـفات وهـي العلـم والقدرة والحياة، بل أن بعضهم أرجع صفتي الحياة والقدرة للعلم، إلا أن السيد الإمام قدس سره لا يرتـضي هذا الرأي، فهو يرى أن الذات الإلهية المقدسة هي جامعة للصفات الكمالية من دون الحاجـة لإرجـاع بعضها للآخر بل قد تكون هناك محذورات بإرجاع بعضها لبعض، ونحن ننقل ما ذكره قدس سره نصاً:

[من المباحث في باب أسماء الحق سبحانه وصفاته، الـدائرة بـين الفلاسـفة العظام هو إثبات السمع والبصر للحق المتعالي، حيث أرجع جمهـور الفلاسـفة والمتكلمين السمع والبصر إلى العلم. ولكن الشيخ الجليل السهروردي الإشراقي أرجع العلم إلى البصر والسمع(٢)، على ضوء بيان يـسبب ذكـره الخـروج عـن

---

(١) الأربعون حديثاً، ح٣٦ ص ٦٧٤ـ ٦٧٧، منهجية الثورة ص ١٣ ـ ١٦.

(٢) شرح حكمة الإشراق، في علم الحق سبحانه وتعالى ص ٣٥٨ ـ ٣٦٦، راجع الأربعـون حديثاً ص ٦٧٧ الهامش.

الاختصار المنشود في الكتاب[1]. ونحن نتولى بيان المسلك الصحيح والمذهب القويم كي يتضح من خلاله الحق في مطلق الأسماء والصفات.

إعلم أن كثيراً من الفلاسفة والكبار ـ نتيجة الإهمال والغفلة عن بعض الحيثيات ـ اختلفوا فيما بينهم، وأرجع كل منهم بعض الأسماء والصفات إلى البعض الآخر، حيث أن المعروف والمسلم به عندهم تفسير إرادة الحق تعالى بعلمه سبحانه بالمصلحة والنظام الأتم. وإرجاع بعضهم السمع والبصر إلى العلم، وبعضهم الآخر أرجع العلم إلى السمع والبصر.

ولكن هذه الآراء والتوجهات مخالفة لما يستدعيه التحقيق، وناجمة عن إهمال الحيثيات. لأنه إذا كان المقصود من إرجاع الإرادة إلى العلم بالمصلحة، أو إرجاع العلم إلى السمع، أو السمع إلى العلم، هو أن لا إرادة للحق سبحانه، ولا سمع له ولا بصر، وأن له سبحانه العلم. وأن إرادته وسمعه وبصره قد سميت بالعلم، فهذا باطل وتقوّل فظيع على الحق سبحانه، لأنه يستلزم أن يكون الحق المتعالي مبدأ للوجود من دون أن تكون له إرادة واختيار.

مضافاً إلى ذلك: أن المقياس في باب اتصاف الحق سبحانه بالأوصاف الكمالية هو أن تلك الصفة لابد وأن تثبت للموجود بما أنه موجود، حتى تكون الصفة كمالية أي تكون الصفة نفس حقيقة الوجود، ومن كمالات أصل ذات الوجود. ولا ريب أن الإرادة من الصفات الكمالية للحقيقة المطلقة الوجودية. ومن هنا كلما تنزل الوجود نحو المنازل السافلة، كلما ضعفت الإرادة فيه، حتى يصل إلى درجة تسلب منه الإرادة كلياً، ويراه الناس عديم الإرادة، كما هو حال الأمور الطبيعية مثل المعادن والنباتات. في حين أن الوجود كلما سما نحو الكمالات، وتصاعد نحو الأفق الأعلى؛ كلما ظهرت الإرادة فيه أكثر وأقوى، كما نلمس ذلك في تسلسل الموجودات الطبيعية، حيث أنه عندما نتجاوز مقام

---

(١) (أي كتاب الأربعون حديثاً).

الهيولى والجسم والعنصر والمعدن والنبات نظهر الإرادة والعلم. وكلما صعدنا أكثر كملت هذه الجوهرة أكثر، حتى أن الإنسان الكامل يملك إرادة كاملة. ويستطيع أن يحول العنصر إلى عنصر آخر، فإن عالم الطبيعة خاضع لإرادته. فنكتشف بأن الإرادة من الصفات الكمالية للوجود وللموجود بما أنه موجود، ونثبت هذه الحقيقة للذات المقدس الحق من دون رجوع إلى حقيقة أخرى.

وهكذا نجد ـ بعد الدراسات العميقة الجديرة بالإذعان والتصديق ـ أن السمع والبصر من كمالات الموجود المطلق، فإن حقيقة السمع والبصر لا تقوم بالأدوات الجسمية، ولا تكون من العلوم المادية المرتبطة بالآلات والأدوات، وإنما تحتاج النفس إلى الآلات عندما تكون في عالم الطبيعة وترتبط بالبدن، حتى يتم ظهور السمع والبصر. كما أنها في مقام العلم تحتاج أيضاً إلى أداة تدعى بأم الدماغ، لكي يتحقق العلم ويظهر في عالم الملك والطبيعة، وهذا الاحتياج والنقص ينجم عن عالم الطبيعة والملك، وليس من قصور ونقص في العلم والسمع والبصر.

ثم إن السمع والبصر لو تجردا واستغنيا عن المادة، لاستطاعا البلوغ إلى مستوى رؤية حقائق عالم الغيب وسماع كلام الملكوتيين من الملائكة والروحانيين في الملأ الأعلى. كما أن موسى كليم الله في مناجاته كان يسمع كلام الحق، وأن خاتم المرسلين المكرّم كان يتحدث مع الملائكة، ويرى الصورة الملكوتية لجبرائيل، من دون أن تسمع أذن أحد ذلك الحديث ـ حديث النبي ﷺ ـ مع جبرائيل وتبصر عين ذلك المشهد، رغم حضور بعض الناس لدى نزول الوحي على الرسول ﷺ ولكنهم لم يبصروا المشهد[1].

وملخّص القول: أنَّ السمع والبصر من العلوم الزائدة على أصل العلم، وأنهما يغايران حقيقة العلم، ويعتبران من الكمالات المطلقة للوجود ومصدراً لكمالاته.

---

(١) علم اليقين، ج ١، المقصد الثالث، الباب الثالث، الفصل الثاني.

وإن كان مقصودهم من إرجاع الإرادة والسمع والبصر إلى العلم، أو العلم إلى الإرادة والسمع والبصر هو أن حيثية العلم والإرادة في الحق سبحانه حيثية واحدة، وأنه لا حيثيات مختلفة للبصر والسمع والعلم في الحق المتعالي، فهو كلام صحيح وموافق للبرهان، ولكنه لا وجه لاختصاص هذا الكلام بهذه الأوصاف، لأن جميع الأوصاف المتغايرة الكثيرة لذات الحق سبحانه، بل يكون مؤكداً وداعماً لها، لأننا بيّنا بأن الوجود كلما كان أقرب إلى أفق الوحدة، وأبعد من دائرة الكثرة، كلما كان أجمع وأشمل تجاه الأسماء والصفات، إلى أن نبلغ مقام صرف الوجود، والحقيقة البسيطة الواجبة ـ جلت عظمته وعظمت قدرته ـ الذي هو في منتهى الوحدة والبساطة، ومستجمعاً لجميع الكمالات، وجامعاً لجميع الأسماء والصفات، حيث تصدق جميع مفاهيم الكمال ومعاني الجلال والجمال على نحو الحقيقة ـ لا المجاز ـ عليه سبحانه، ويكون صدقها على الذات المقدس الحق، أولى وأجدر بكل معاني ومراتب الأحقية والأولوية من صدقها على غيره سبحانه.

وخلاصة البيان: أن الوحدة كلما كانت في الوجود أقوى وأتم، كلما كان صدق مفاهيم الكمال عليه أوفى، وعدد الأسماء والصفات فيه أوفر. وعلى العكس، كلما كان الموجود إلى الكثرات أقرب، كان صدق مفاهيم الكمال عليه أقل، وكان ما تصدق عليه من مفاهيم الكمال أوهى، وأقرب إلى المجاز ـ دون الحقيقة ـ وكل ذلك من أجل أن الوحدة تساوق الوجود، وتعتبر من كمالات الموجود بما هو موجود، ومعنى مساوقة الوحدة للوجود، هو أن الوجود مع الوحدة وإن اختلفا مفهوماً، ولكن حقيقة الوجود نفس حقيقة الوحدة في الخارج، كما أنه أينما كانت الكثرات كان هناك النقص والعدم والشرّ والضعف والفتور.

ولهذا كلما تهاوى الوجود في منحدر المراتب النازلة كانت الكثرات أكثر من جميع مراتب الوجود. وعليه يتنزه مقام الربوبية وساحته المقدسة جل وعلا

التي تكون صرف الوجود والذي هو صرف الوحدة والبساطة من الكثرة والتركيب. وقد أشرنا سابقاً[1] بأن الوجود، مبدأ حقيقة الكمال، وينبوع الجلال والجمال. فصرف الوجود هو صرف الوحدة وصرف الكمال، وصرف الوحدة هو صرف الكمال أيضاً. وكلما كانت الوحدة في أسمى مراتبها في الموجود، كانت مفاهيم الأسماء والصفات والكمالات بأسرها صادقة عليه، وكان صدق مفهوم كل واحد منها عليه أولى وأحسن. وعلى العكس كل موجود يدنو من الكثرات أكثر يكون نقصه أكثر، وصدق مفاهيم الكمال والأسماء والصفات له أقل، وملاك الصدق وكيفيته أوهن.

فالحق المتعالي يستجمع جميع الكمالات والأسماء والصفات، من دون رجوع إحداها إلى الأخرى، بل يصدق حقيقة كل من الكمالات والأسماء والصفات على الذات المقدس، فكل من سمعه سبحانه وبصره وإرادته وعلمه، يشتمل على مداليله ومعانيه على نحو الحقيقة، ويصدق على الذات عزوجل كل منها حقيقة من دون أن تستلزم كثرة في ذاته سبحانه بوجه من الوجوه. فله الأسماء الحسنى والأمثال العليا والكبرياء والآلاء][2].

ميزان الصفات الثبوتية والسلبية:

بعد أن عرفنا أن الصفات تقسم إلى قسمين ثبوتية وسلبية، يبقى التساؤل، ما هو المعيار في تصنيف الصفات إلى ثبوتية وسلبية؟ وبعبارة أخرى ماهي الضابطة لأن أجعل هذه الصفة من الصفات الثبوتية، وتلك الصفة من الصفات السلبية؟ يذكر الإمام الخميني قدس سره ميزاناً لتشخيص الصفات الثبوتية وتميّزها عن الصفات السلبية وكذا العكس. وملخص هذا الميزان أن كل صفة تصب نحو مجرى الكمال ولا يستلزم منها النقص والتركيب والإحتياج فهي صفة ثبوتية، وكل صفة يشم منها رائحة النقص والحاجة والفقر فهي صفة سلبية.

---

(١) تقدمت الإشارة إليه قبل عدة أسطر.

(٢) الأربعون حديثاً، ح٣٦، ص ٦٧٧ـ ٦٨١، منهجية الثورة ص ١٦ـ١٩.

هذا موجز ما أفاده رحمه الله وإليك بيانه:

[إن المقياس في الصفات الثبوتية للذات المقدس الواجب ـ جل اسمه ـ والصفات السلبية، هو أن كل صفة من الأوصاف الكمالية والنعوت الجمالية التي تعود (لأصل) حقيقة الوجود، وذاته الصرف. من دون أن تتعين بتعين، وتتواجد في عالم دون آخر، تعود لهوية الوجود وذاته النورية، تعتبر من الصفات اللازمة الثبوت والواجبة التحقق للذات المقدس تعالى شأنه، لأن هذه الصفات لو لم تثبت للذات المقدس للزم إما أن لا يكون الذات المتعالي وجوداً صرفاً ومحضاً، أو لا يكون الوجود الصرف محض كمال وجمال. وهذان الأمران باطلان لدى العرفاء والحكماء، كما تقرر في محله.

وإن كل صفة ونعت لا تثبت للموجود، إلا بعد تنزّله إلى منزلة من منازل التعينات، وتقارنه بشكل من أشكال التقييد، وتعانقه بمرتبة من مراتب القصور، وتلازمه مع حد من حدود الوهن والفتور، ومجمل القول إن كل صفة لا تُعد من حقيقة الوجود، بل كانت راجعة إلى الماهية، لكانت من الصفات المسلوبة التي يمتنع تحققها في الذات الكامل المطلق، لأن الذات الكامل المطلق والوجود الصرف كما يكون مصداقاً للكمال الصرف، يكون مصداقاً لسلب النقائص والحدود والأعدام والماهيات.

هذا الكلام وما اشتهر لدى المحققين من أن جميع الصفات السلبية تعود إلى سلب واحد وهو سلب الإمكان، لا يكون سديداً وصائباً لدى الكاتب، فكما أن ذاته المقدس سبحانه يكون مصداقاً ذاتياً حقيقياً لكل واحدة من الصفات الكمالية، من دون أن يرجع بعضها إلى البعض الآخر ـ كما بيّناه سابقاً[1] ـ فكذلك يكون الذات المقدس مصداقاً بالعرض لكل واحد من الصفات السلبية أيضاً.

(١) قد تقدم في مناقشة رأي الفلاسفة، راجع الأربعون حديثاً ح٣٦، ص ٦٧١.

ولا نستطيع أن نقول بأن الأعدام والنقائص حيثية واحدة، وأنـه (لا ميـز فـي الأعدام) لأننا إذا درسنا هذا الموضوع على أساس الواقع ونفس الأمر، فكما أن العدم المطلق حيثية واحدة رغم كونه كل الأعـدام، فكـذلك الوجـود المطلـق أيضاً حيثية واحدة وكل الكمالات، فلا نستطيع إثبات صفة للحق سبحانه، فـي مرحلة اعتبار الأحدية وغيب الغيوب، لا الصفات الحقيقية الثبوتية، ولا الصفات السلبية الجلالية.

وإذا درسناه على أساس مقام الواحدية وجمع الأسماء والـصفات، فكمـا أن الصفات الثبوتية الكمالية متكثرة ومتعددة، كانت الصفات السلبية متكثـرة أيـضا لأن في مقابل كل صفة كمالية صفة ناقصة مسلوبة. فالـذات المقـدس سـبحانه كما يكون مصداقاً للعالم بالذات، يكون مصداقاً لعدم كونـه جـاهلاً بـالعرض. وكما يكون قادراً يكون ليس بعاجز، وكما تقرر في علم الأسـماء، أن للأسـماء والصفات الثبوتية اعتبار المحيطية والمحاطيـة والرئاسـة والمرؤسـية؛ فكـذلك تكون للأسماء والصفات السلبية هذه الاعتبارات بالتبع أيضاً][1].

(١) الأربعون حديثا ح ٣٦، ص ٦٨٢، ٦٨٤، منهجية الثورة ص ١٩ ـ ٢٠.

خلاصة الدرس الرابع:

ـ أمكن من خلال فطرتي (حب الكمال) و(النفور من النقص) إثبات التوحيد.

ـ إستجماع الله جل وعلا لجميع الكمالات، وخلو ذاته المقدسة من كل نقص أمرٌ ثابتٌ فطرياً.

ـ الأوصاف الحقيقية والإضافية على ضوء المفاهيم متغايرةٌ ومختلفة، ولا يمكن إعادة صفة من تلك الصفات إلى الأخرى.

ـ صفات الله تعالى عين ذاته، أمثال الحياة والعلم والقدرة فهي مفاهيم منتزعة من الذات.

أسئلة حول الدرس: ؟؟؟

١ـ كيف يمكن إثبات التوحيد من خلال فطرتي (حب الكمال) و(النفور من النقص)؟

٢ـ ما هو المحذور من القول بزيادة الصفات الإلهية على الذات المقدسة؟

للمطالعة

❖ أنا أيضاً جندي من جنود الإسلام:

بعد أن أطلق سراح الإمام من سجن الشاه كتبت صحيفة الاطلاعات في افتتاحيتها أن علماء الدين قد تصالحوا مع النظام، فخطب الإمام خطبة مطولة في تكذيب هذه القضية. جاء العقيد مولوي رئيس المخابرات في طهران إلى الإمام كي يعتذر، وقد طلب أن يكون اللقاء شخصياً لكن طريقة الإمام عدم عقد أي خلوة مع أي من رجال السياسة سواء كانوا من رجال الدولة أم غيرهم، ولهذا طلب أن يحضر اللقاء عدد من الأشخاص، وكنت أنا من بينهم. بدأ مولوي بالحديث والاعتذار عن الاشتباه الذي حصل، وهنا قال مولوي كلمة يشم منها رائحة التهديد، قال:

«لا تجبرنا على أن نقوم بما تمليه علينا وظيفتنا العسكرية. فجأةً وجه الإمام سبابته إلى صدره المبارك ورد بعصبية: أنا أيضاً جندي من جنود الإسلام، فلا تضطرنا للعمل بما تمليه علينا وظيفتنا العسكرية».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

القيادة ص٣٤

الدرس الخامس

البداء

حقيقة البداء:

البداء لغة[1] هو الظهور بعد الخفاء أو تغير الشيء، وهذا المعنى مستحيل على الله تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا لأنه ملازم للعلم بعد الجهل، إذ من المحال أن يريد الله تعالى شيئا ثم ينكشف له أمر فتتغير إرادته بسبب هذا الإنكشاف والظهور لأنه إما أن يعلم بهذا الظهور مسبقا أو لا يعلم، فإن كان يعلم فلا يصدق عليه ظهور بعد خفاء وإن كان لا يعلم فهو جاهل ناقص تعالى الله عن ذلك علوا وسبحانه تقدست أسماؤه.

إن البداء بمعنى الظهور بعد الخفاء يمكن تصوره لعلم المخلوقات أما علم الخالق فهو مستحيل لإستلزامه النقص والحاجة، فأي معنى للبداء يمكن تصوره لله تبارك وتعالى؟

أولا: يجب أن نقول بأن مفهوم البداء هو حقيقة قرآنية قد أقرها القرآن الكريم في عدة مواطن، وستأتي الشواهد على ذلك.

ثانيا: أنّ الظهور الذي يحصل في أفعال الله عز وجل يكون بلحاظ المخلوقات لا أنه خفي على الله عزوجل ثم ظهر له، وتوضيح ذلك بما يأتي: إن الظهور الحاصل يكون بسبب جهل المخلوقات وخفاء الحكم والمصالح على البشر، فعندما يتبدل أمر ويتغير يظهر لهم خلاف علمهم المسبق، ولكن الله تبارك وتعالى يعلم مسبقا بأنه سوف يحصل تبدل وتغير بما تقتضيه المصلحة والحكمة وهذا ما لخصه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2] إشارة للوح المحو والإثبات الذي يكون في قبال اللوح المحفوظ، فلوح المحو والإثبات هو الذي يقع فيه تغيير وتبديل والله تعالى يعلم بهذا التبديل والتغيير قبل وقوعه وقد سبق علمه أنه سيقع هذا التبديل ويعلم بأسبابه ومصالحه.

---

(١) لسان العرب، ج١٤ ـ فصل الباء الموحدة ـ (البداء).

(٢) سورة الرعد: ٣٩.

ثالثا: إن الروايات الواردة في البداء على أقسام، فبعضها مثبتة للبداء بالمعنى المقبول وهو الظهور للخلق بعد الخفاء عنهم كقول الإمام الصادق عليه السلام: (ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له) وقوله عليه السلام: (إن الله لم يبد له من جهل) وكما عن منصور بن حازم، (قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى قبل أن يخلق الخلق)[1]، بل أن بعض الروايات تحث على الإعتقاد بهذا المعنى، وتذم من لم يعتقد به لأنه نتيجة عدم القول بالبداء بهذا المعنى هو أنه ليس لله تعالى القدرة والحق في التغيير والتبديل، كما أن هناك طائفة من الروايات تذم من يعتقد بأن البداء بمعنى إدخال الجهل على الله تعالى وأنه لم يكن يعلم فعلم، كقول الإمام الصادق عليه السلام: (من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤا منه)[2] وقوله عليه السلام: (من زعم أن الله بدا له من شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم).

يقول الإمام الخميني المقدس رضوان الله عليه:

[ورد في الكافي بسند صحيح أن الله عين قيام القائم في سنة ٧٠ للهجرة، لكن لما قتل الناس الإمام الحسين عليه السلام غضب الله على أهل الأرض وأخره إلى سنة ١٤٠ للهجرة، لكن لما أذاعوا الأمر أجل الله الموعد إلى أجل لم يسمه لنا[3].

وفي رواية أخرى أن الإمام الصادق عليه السلام نصب إسماعيل إماما بعده لكن لما أتى إسماعيل بعمل ما عزله وجعل الإمامة في موسى ولما سئل عن ذلك قال بدا لله في إسماعيل[4].

---

(١) أصول الكافي، ج١، كتاب التوحيد، باب البداء ح ٩ ـ ١٠ ـ ١١.

(٢) بحار الأنوار ج ٤، ح ٣٠٤، ص١١١.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية، باب البداء ص٢٠.

(٤) أصول الكافي ج١ باب كراهية التوقيت، ح١.

هل تصح نسبة البداء إلى الحق؟ وكيف نفسر الروايات التي تشير إلى هذا الأمر؟

كانت مسألة البداء ولسنين طويلة مثار جدل بين السنة والشيعة، وهي من مسائل الفلسفة التي قيل فيها الكثير وجرت حولها المناظرات ولذلك نحن نبحث في هذا المطلب بمقدار ما يناسب هذه الأوراق، ونوكل التحليل العلمي والفلسفي إلى الكتب التي اشتملت عليه كالشفاء للشيخ الرئيس والأسفار لصدر المتألهين ونبراس الضياء للمحقق الداماد وسائر الكتب المؤلفة في هذا الباب[1].

وجميعنا يعلم ـ وقد نص عليه في كتب علماء الإمامية وأعاظم الشيعة من زمان الأئمة إلى اليوم ـ أن البداء بمعنى أن يصمم الله على فعل ثم يعدل عنه هو أمر محال وغير ممكن. وقد ذكر علماؤنا أن من يعتقد ذلك في حق الله كافر، ولا يوجد بين الشيعة طرا من يقول بذلك كما يتوهم.

إن البداء في اللغة العربية بمعنى الظهور، فالله تعالى، ولمصالح معينة يقصر إدراك البشر عن فهمها قد يظهر أمرا يظن الناس أنه مراد الله ولكن الله لا يفعله، وهو لا يكون يريده منذ البداية. فما أكثر ما يحدث في أيام معينة من السنة أن يسمع الرعد ويرى البرق وتغطي الغيوم الشمس حتى يقول جميع الناس أن الله قد بعث لنا برحمته وأرسل المطر، فلا تمضي ساعة حتى تتفرق الغيوم وتنكشف الشمس دون أن تمطر، والله من أول الأمر لم يكن يريد للسماء أن تمطر.

وقد يكون لك ولد عزيز كثير المرح تريد أن تُخوفَه بالضرب وتُظهر له أنك ستضربه فعلاً لكنك تكون قد دبّرت أن يتوسط أحد عندك له. وعندما يتوسط ذلك الشخص لا تضربه. أنت لم تكن تريد ضرب ابنك من أول الأمر ولم تغيّر عزمك وتصميمك إنما أظهرت أنك تراجعت عما كنت تنوي القيام به.

---

(١) أصول الكافي ج ١ باب الإشارة والنص على أبي محمد، ج ١٠.

فالإمام عليه السلام بيّن للناس بأمر الله أن إسماعيل هو الإمام لمصلحة خفية لا نعلمها ثم عرّفهم أن موسى بن جعفر هو الإمام. فظن الجاهلون أن الله بدّل رأيه لكن المسألة أن الله رأى في إظهار الإمامة لإسماعيل مصلحة ثم يبين ما كان يريده من أول الأمر بالإرادة الإلهية الحتمية والتصميم الإلهي الذي لا يتزعزع. وهذا هو أحد معاني البداء الذي لا إشكال فيه أبداً، وهو ظاهرٌ في كثير من الآيات والأخبار. إضافة إلى أن حديث البداء المتعلق بإسماعيل مردود عند علمائنا لأن الأئمة الإثني عشر معرفون بأسمائهم من زمان النبي صلى الله عليه وآله حتى زمان الإمام الصادق عليه السلام عند أصحابهم بالإسم واللقب وهذا أمرٌ ثابت في كتب الأحاديث.

وترتبط بعض الأمور ببعضها البعض أحياناً بحيث إن لم يوجد أحدها يثبت للآخر حكم وإن وجد ثبت له حكم آخر. فلو لم تقع الحرب الأوروبية المدمّرة لكانت المواد الغذائية في إيران متوفّرة وبسعر منخفض لكن لمّا اندلعت الحرب حصل الغلاء وقلّت المواد. وأنت مثلاً تُؤدّب ولدك إذا عصاك لكنه لم يعصك فلا تؤدبه. وهكذا نحن نقول لو لم تقع حادثة كربلاء لقام الحسين بن علي وحكم العالم لكن لمّا وقعت الحادثة تأخّر الأمر بسببها. ولو لم يفش الناس سرّ الأئمة لكان أحد الأئمة قد نهض سنة ١٤٠ وحكم العالم، لكن لّما أفشوا السر تأخّر الأمر أيضاً إلى وقت الظهور. والله كان يعلم من أول الأمر أن واقعة كربلاء ستحدث وأن الناس يفشون الأسرار.

وللتوضيح نذكر مثالاً آخر، كان لديك تصميم على السفر بالقطار إن كان هناك خط سكة حديد بين قم وأصفهان لكن لّما لم يكن الخط موجوداً فأنت سافرت بالسيارة. فهل يُقال أنك تراجعت عما كنت مصمماً عليه أم أن تصميمك هو على حاله لكنه مرتبط بأمر ما لم يحصل لن يُنفّذ؟ إنما يصح أن يُقال أنك تراجعت عن تصميمك إذا كان عزمك أن تسافر بالقطار إن كان هناك

خط سكة ثم تعدل عن السفر به وإن كان هناك خط. إن الله كان يريد أن يكون الإمام زمان كربلاء هو القائم بالأمر لو لم تقع الحادثة المفجعة، لكنه كان يعلم من الأزل أنها واقعة فلا خلل إذاً في التصميم الإلهي ولا نقص في علمه تعالى][1].

شاهدٌ من القرآن:

[والقرآن يحوي الكثير من الآيات من هذا القبيل بحيث يرد عليها الإشكال بلا فرق. وقد أجاب كبار العلماء المسلمين على ما ورد عليها من إشكالات.

يقول تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2].

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[3].

أفهل نقول أن هذا الإله كثير الخيال يصمم اليوم على أمر ليتراجع عنه غداً، ويثبت اليوم أمراً ويمحوه غداً؟! هل أنه ينشر بين الناس يوماً دين موسى ويجعل التوراة كتاب البشر الديني ثم يعدل عن ذلك وينشر دين الإسلام؟! أو أن الله يخلق اليوم جماعة فيندم غداً فيخلق خلقاً آخر ويميت الأوائل؟!

أي إله هذا الذي يُمرض أحياناً ويُعافي أخرى؟ كيف يأمر إبراهيم الخليل بذبح ابنه لكنه عندما يقدم على ذلك يرسل له الفداء، وكيف يعد موسى بن عمران ثلاثين يوماً وعندما تنتهي يضيف إليها عشرة أخرى؟

إن العالم كله مبني على هذه التغييرات والتبديلات، والزمان دائماً عرضة للحوادث اليومية. فهل يُقال أن الله لا علاقة له بهذه الأمور أم أن التصرف في جميع الأمور حقه، والحجر لا يتحرك من مكانه إلاّ بإرادته؟! فحتى تصح هذه الإشكالات، علينا أن نعفي الله من صفة الربوبية!!

---

(١) كشف الأسرار ص ٩٧ ـ ١٠٠، التوحيد عند الشيعة ص ٦١ ـ ٦٤.

(٢) سورة الرعد: ٣٩.

(٣) سورة البقرة: ١٠٦.

إن هذه الإشكالات وأمثالها، قد بُحث عن كل واحد منها في الفلسفة العليا كثيراً وقدمت الأجوبة عليها مع الأدلة الواضحة، والبحث العلمي التفصيلي موكول إلى تلك الكتب][1].

(١) كشف الأسرار ص ١٠٠ ـ ١٠١، التوحيد عند الشيعة ص ٦٤ ـ ٦٥.

خلاصة الدرس الخامس:

ـ البداء في اللغة هو الظهور بعد الخفاء، فمن الكفر أن نطلقه على الله بهذا المعنى لاستلزامه حدوث علمه بشيء بعد جهله به، وهذا محال.

ـ إطلاقنا لفظ (البداء) على الله عز وجل، كقولنا: بدا الله في شأنه كذا، فمعناه أنه ظهر للعباد أمرٌ كان مخفياً عليهم لعدم إطلاعهم على علله وأسبابه ـ ولمصالح معينة ـ لا أن الله جل وعلا ليس لديه علمٌ مسبق أو أنه يصمم على فعلٍ ثم يعدل عنه.

أسئلة حول الدرس:

؟؟؟

١ـ عرف البداء لغة واصطلاحا.

٢ـ هل تصح نسبة البداء لله تعالى؟ وبأي معنى؟

٣ـ كيف نفسر الروايات الواردة في البداء؟

للمطالعة

❖ **كان يستفيد من عمره بالحد الأقصى:**

كان الإمام يستفيد من أبسط فرصة للمطالعة والكتابة أو العبادات الأخرى المذكورة، ولو قسمنا مؤلفاته المطبوعة فقط على أيام عمره المبارك لعرفنا جيداً شدة استفادته من ساعاته بل دقائق عمره، رغم أنه لم يكن من أهل كثرة الكتابة، بل كان يستفيد حتى من النصف ساعة التي خصصها للمشي في الصباح والمساء بتوصيةٍ من الأطباء في الآونة الأخيرة، فخصص لها أدعية وأذكاراً يتلوها أثناء المشي لكي يقرن المشي بالتعبد والذكر، كما كان عادة يتلو ذكري اللعن والسلام الواردين في زيارة عاشوراء مائة مرة لكل منهما أثناء المشي في الأيام التي يقرأ فيها هذه الزيارة.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩

الدرس السادس

شبهات حول التوحيد

الشرك والتوحيد:

معنى الشرك:

ما هو معنى الشرك؟

وأي شرك حاربه القرآن الكريم والإسلام؟

إن للشرك معانٍ متعددة، وهي في قبال أقسام التوحيد، فبعض الأقسام تخرج المعتقد بها عن دائرة التوحيد وهو ما إذا كان شركا ظاهرا، أما البعض الآخر فهو غير مخرج عن التوحيد وهو ما يطلق عليه الشرك الخفي، والكلام هنا في القسم الأول وهو الشرك الظاهر فهو على معان فتارة يكون بالإعتقاد بوجود أكثر من خالق ومبدأ كالمجوسية والثنوية والمزدكية والحرنانيين والنصارى والدهرية من العرب، ومن معاني الشرك هو الشرك في العبادة وهو عبادة أكثر من إله أو عبادة ما ينسب إلى آلهة من صور وغيرها، وعلى هذا المعنى أكثر طوائف المشركين وأهمها طائفتان وهما عبدة الهياكل وعبدة الأصنام، وقد واجه الإسلام هذه الطوائف على أقسامها فجاءت الردود المحكمة في كثير من الآيات الشريفة والروايات المباركة.

[من معاني الشرك الإعتقاد بوجود أكثر من مبدأ واحدٍ للعالم:

فالمجوسية مثلاً كانوا يعتقدون أن للعالم مبدأين، أحدهما هو النور والآخر هو الظلمة، وكانوا يدّعون أن النور قديم وهو أصل الخير والظلمة حادثة وهي أصل الشر.

والثنوية قالوا بأصلين قديمين أزليين متساويين في القدم والأزلية، مختلفان في الجوهر والطبع والفعل والمكان والحيّز والأجساد والأبدان والأرواح.

والمزدكية اعتقدوا بأصلين قديمين أيضاً وجعلوا لكل منهما قوى ومع هذه القوى أعوان وغيرها.

وأما الحرنانيون فهم طائفة من المجوس جمعت بين تثليث النصارى وشرك الثنوية، فقالوا بخمسة أصول للعالم، اثنان منها حيّان فاعلان وهما الله والنفس وثالث منفعل وهو الهيولى ورابع وخامس غير فاعلين وهما الدهر والخلاء.

وأما النصارى فكان قولهم بالتثليث وهو أن الله في الجوهر واحد ولكنه في الأقنوم (وهي كلمة سريانية معناها الأصل) ثلاثة. والأقانيم الثلاثة هي الوجود والعلم والحياة. وذات الله في الأقنوم الأول أب وفي الثاني ابن وفي الثالث روح القدس، واعتقدوا أن العلم تجسَّد وأن عيسى هو ابن الله الوحيد.

وأما العرب زمن الجاهلية، فكان منهم الدهرية الذين اعتقدوا أن الطبع هو المحيي والدهر هو المميت. ومنهم من آمن بالمبدأ والمعاد فقط، ومنهم من آمن بالمبدأ فقط، وأنكر ما سوى ذلك من معاد ونبوة و...

ومن معاني الشرك أيضاً الشرك في العبادة ويعني عبادة أكثر من إله وتقديس آلهة أو صور آلهة، وأكثر طوائف المشركين على هذا الشرك، وفيها طائفتان كبيرتان:

الأولى: أصحاب الهياكل وهم الذين اعتقدوا أنه لا يمكنهم عبادة الله العظيم وأنهم بحاجة إلى واسطة يعبدونها تقربهم إلى الله. فقالوا بالأرواح المجردة واعتقدوا بأنها مدبرة للعالم، ولما أرادوا عبادتها رأوا أنهم لا يرونها دائماً ورأوا الحاجة إلى عبادة موجود يرونه فتوجهوا نحو الهياكل، أي الكواكب السيّارة، فصاروا يعبدونها ضمن طقوس خاصة.

والثانية: أصحاب الأصنام الذين قالوا أن للكواكب شروقاً وغروباً ولا يمكن رؤيتها دائماً. فالتقرّب بها غير ميسور. فرأوا ضرورة صناعة تماثيل على مثال الهياكل، فصنعوا الأصنام وعبدوها لتقرّبهم إلى الهياكل، والهياكل لتقرّبهم إلى الأرواح التي هي أرباب صغار تقربهم إلى الله العظيم.

وكان العرب قبل الإسلام يعبدون الأصنام حيث كان لكل قبيلة منهم صنمٌ خاص. وأهم تلك الأصنام ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر واللات والعزّى ومناة وهبل وإساف ونائلة.. وكانت هناك طوائف أخرى لها اعتقادات أخرى بعضها يهودية وبعضها نصرانية وطائفة من الصابئة وقوم عبدوا الملائكة وآخرون عبدوا الجن واعتقدوا أنهم بنات الله.

وقد واجه الإسلام والقرآن الكريم هذه المعتقدات والعبادات المنحرفة. والآيات التي تعرضت للشرك بكافة أشكاله كثيرةٌ كثيرة، نذكر منها:

في الرد على القائلين بإلهين أو أكثر وفي إثبات التوحيد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[2].

وبهذا المضمون سورة التوحيد وآخر سورة الحشر وكثير من الآيات الأخرى[3].

وفي الآيات التي نزّهت وقدّست الله عن ما نُسب إليه من أوصاف ردٌّ على مذهب الثنوية والمزدكية.

أما في الرد على الدهرية فقد ورد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[4] وبعض الآيات التي ترجع الناس إلى فطرتهم وتدعوهم إلى التفكير يصلح لرد هذه الطائفة.

وقد وبّخ القرآن الكريم في كثير من السور وببيانات مختلفة أولئك الذين أشركوا في العبادة، من ذلك ما ورد في الرد على عبادةً الكواكب:

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٤.

(٣) سورة الحشر: ٢٢ ـ ٢٤.

(٤) سورة الجاثية: ٢٤.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1].

فإبراهيم عليه السلام رفض عبادة الكواكب والقمر والشمس ببرهان الغروب الذي هو أحد خواص الممكن، وقد نقل القرآن برهان إبراهيم عليه السلام من أجل إبطال قول مشركي العرب.

وفي الرد على عبادة الأصنام والأوثان قوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾[3].

وفيها قضية إبراهيم وتحطيمه الأصنام ومحاجته قومه ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

وردّ القرآن الكريم على ادعاءات النصارى في الكثير من الآيات الكريمة، منها:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[5].

---

(١) سورة الأنعام: ٧٦ ـ ٧٨.

(٢) سورة يونس: ١٨.

(٣) سورة الأنبياء:٤٣.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٨ ـ٩٩.

(٥) سورة المائدة: ٧٣.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[1].

وقد أسمع القرآن الكفار خلاصة الأمر في سورة صغيرة هي سورة«الكافرون»: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾][2].

طلب الحوائج من الأموات:

من الشبهات التي يتمسك بها من لم يتعرف على معنى التوحيد والشرك ويبثها بين الملأ إما عنادا أو جهلا هي أن التوسل بالأنبياء والأولياء وغيرهم يعتبر شركاً بالله عز وجل لأنه خلاف ما أمر به سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] والتوسل دعاء لغير الله تبارك وتعالى وهو المدبر وهو القائل ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[4].

والجواب على ذلك من عدة وجوه، منها:

١ـ أنه لا ينطبق على التوسل مفهوم الشرك ليكون أحد مصاديقه، إلا إذا كان لدى المستشكل معنى آخر للشرك نحن لا نعرفه فليبينه.

٢ـ التوسل من الأمور المسلمة لدى المسلمين بشتى مذاهبهم ولم ينكره أحد إلا هذه الفرقة الحديثة العهد والظهور التي لا يقبل بآرائها المسلمون بل ينكرون عليها معتقداتها. أما الشبهات المطروحة على التوسل فقد ردها علماؤنا الأعلام بإحكام وتفصيل.

٣ـ لا أحد يعتقد من العقلاء فضلا عن المسلمين بأن الأرواح ليس لها وجود بعد الموت، بل الثابت بالبراهين بقاء الروح وإحاطتها بهذا العالم لا أنها كما يدعى لا تضر ولا تنفع بل ضرها ونفعها بقدرة الله تبارك وتعالى لا على نحو الإستقلال.

---

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) التوحيد عند الشيعة ص ١١ ـ ١٥.

(٣) سورة غافر (مؤمن): ٦٠.

(٤) سورة البقرة: ١٨٦.

[قد يقال إن الشرك طلب الحاجة من الأموات لأنه لا نفع ولا ضرر من نبي أو إمام ميتين إن هما إلا كالجمادات.

والجواب عن هذا التوهم:

أولا: لم تبينوا لنا معنى الشرك والكفر حتى نعتبر كل ما نريده حسب رأيكم شركا وبعد أن اتضح أن الشرك هو طلب شيء من أحد غير الله باعتبار أنه رب. وما عدا ذلك فليس شركا. لا فرق في ذلك بين الحي والميت حتى أن طلب الحاجة من الحجر والمدر ليس شركا وإن كان عملا لغوا باطلا.

ثانيا: نحن نستمد من أرواح الأنبياء والأئمة المقدسة التي منحها الله القدرة. وقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المحكمة في الفلسفة العليا أن الروح باقية بعد الموت وإحاطة الأرواح الكاملة بهذا العالم هي بعد الموت أرقى. ويعتقد الفلاسفة باستحالة تلف الروح وهي من مسلمات الفلسفة الثابتة من أول ظهور الفلسفة لدى العلماء وأعاظم الفلسفة قبل الإسلام وبعد الإسلام. وتسالمت عليها جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين واعتبرتها من ضروريات أديانها وبديهياتها بل إن بقاء الروح وإحاطتها مسلم عند الفلاسفة الروحيين والإلهيين الأوروبيين أيضا].[1]

السجود على التربة الحسينية:

إن الإشكال العقائدي المتداول عند البعض حول السجود على التربة الحسينية هو استلزامه الشرك. فكيف يتم الرد على هذا الإشكال أو التوهم؟

يمكن ردُّ هذا الإشكال والتوهم بعدة وجوه، منها:

١ـ أن السجود يكون على التربة الحسينية وليس للتربة، وفرق في المقامين بين أن يسجد الساجد لشيء وبين أن يسجد على شيء.

---

(١) كشف الأسرار ص ٥٦.

٢ـ أن السجود على التراب هو من الراجحات والأمور الثابتة لدى جميع المسلمين، والروايات في ذلك كثيرة وهي على طوائف، منها:

الطائفة الأولى: قد روى البخاري في صحيحه وكذا البيهقي وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»[١]، والتراب من الأرض فيصح السجود عليه.

الطائفة الثانية: ما عن كثير من الصحابة[٢] أنهم كانوا يبردون الحصى ويسجدون عليه، فلو كان يجوز السجود على الثوب ما احتاجوا لتبريد الحصى بل فعلهم لا يخلو من لغو وتكلف وقد يكون تشريعا في بعض الأحيان وهذا البيان ذكره غير واحد من علماء العامة منهم البيهقي وابن الأثير في تعليقهم على فعل الصحابة[٣].

الطائفة الثالثة: روايات الأمر بالتتريب.

الطائفة الرابعة: روايات الأمر بحسر العمامة عن الجبهة[٤].

الطائفة الخامسة: سيرة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، بل حتى الصحابة والتابعين هي السجود على الجبهة[٥].

وغيرها الكثير من الروايات.

٣ـ إن مشهور الشيعة عندما تقول بالسجود على التربة الحسينية لا تعني عدم جواز السجود على غيرها بل هي تقول بجواز السجود على كل ما هو من الأرض أو ما أنبتته الأرض عدا ما يؤكل أو يلبس ويمكن مراجعة فتاواهم في ذلك، غاية الأمر أنه ثبت لديهم أفضلية السجود على التربة الحسينية بالخصوص عن طريق الروايات المتظافرة عن خصوصيات هذه التربة وفضلها.

---

(١) صحيح البخاري ج١، باب جعلت ليَّ الأرض مسجداً وطهوراً، سنن البيهقي ج٢، باب أينما أدركت الصلاة فصل، راجع تخريج (السجود) للشيخ داوود سلمان الربيعي ص ٧٩.

(٢) راجع تخريجات (آية الله الشيخ السبحاني دام ظله) السلسلة الفقهية، السجود على الأرض.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

٤ـ إن من يقول بعدم الجواز هو الذي يحتاج إلى دليل ولا يوجد لديه دليل يمكن الإعتماد عليه فالنتيجة هي بطلان كلامه.

٥ـ لا محذور من السجود على التربة الحسينية إلا ما يدعى بأنه شرك وهذا باطل بعد بيان معنى الشرك وقد تقدم، لأن لا أحد من الشيعة يسجد على التربة بقصد عبادتها أوعبادة صاحبها، وحريٌ بالعاقل أن يأخذ معتقدات قوم منهم أنفسهم وعدم الإعتماد على النقولات والمنقولات.

٦ـ إن كان السجود على التربة شركا مطلقا لأنه سجود على شيء فيلزم شرك جميع الساجدين لله ولو على سجاد أو غيره.

[بعد أن تبين معنى الشرك والعبادة نقول: إذا سجد شخص على التربة (الحسينية) أو أي تراب آخر أو أي شيء على أساس أن صاحبه ربٌّ، وعلى أساس عبادة القبر أو صاحب القبر فهو مشرك وكافر. أما إذا سجد على تربة القبر أو غيره لله وطاعة لأمره تعالى، فهذا ليس شركا بأي وجه بل هو عين التوحيد وعين عبادة الله.

إسألوا المئة مليون شيعي[1]، وأكثر من عشرة ملايين من الإيرانيين الشيعة لماذا تسجدون على تربة كربلاء؟ هل تعتقدون أن الحسين بن علي ربٌّ وابن الله، وتعتبرونه في قبال الله ومستقلا في التأثير؟ أتعبدونه؟ فإن أجابكم أحد بالإيجاب أو عثرتم بين الشيعة على من يدعي ذلك فسيكون السجود على التربة شرك وسنسلم. فإن سجود الشيعة على التربة الحسينية هو لله كما يسجد جميع المسلمين على التراب بلا فرق، غاية الأمر أن الشيعة يعتقدون أن في السجود على التربة ثوابا أكثر، وهم يسجدون لله ويطلبون منه الأجر.

---

(١) إشارة إلى عدد الشيعة آنذاك.

إشكال:

قد يقال أن السجود على التربة، بأي نحو كان، شرك.

الجواب:

١ـ بناء على هذا القول يجب أن يكون جميع المسلمين مشركين. لأنهم كلهم يسجدون لله على التراب والحجر والخشب، والكثير منهم يجوز السجود على القماش والمعدن وأشياء أخرى. إذاً، جميع المسلمين مشركون ما عدا الذين لا يصلون أبدا، ولم يشتغلوا بهذه العبادة، فالموحد هو الذي لا يصلي فقط!!

٢ـ لقد أمر الله تعالى بالسجود في آيات كثيرة من القرآن منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] فالله (بحسب الإشكال) أمر المؤمنين بالخروج من الإيمان والدخول في الشرك حتى يفلحوا.

٣ـ قد ذكرنا أكثر الآيات التي تحكي عن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم والآية التي ذكرت بصريح العبارة سجود يعقوب وأولاده ليوسف، فبناء على الإشكال المطروح يكون جميع الملائكة ويعقوب وبنيه بل جميع الأنبياء والأولياء مشركين، لأن الجميع قد يسجدون على شيء من أجزاء هذا العالم من التراب والحجر والخشب بأمر الله!][2] .

---

(١) سورة الحج: ٧٧.

(٢) التوحيد عند الشيعة ص ٤١ ـ ٤٢.

خلاصة الدرس السادس:

١ـ أكثر طوائف المشركين تقول بالشرك في العبادة أي عبادة وتقديس أكثر من إله أو صور آلهة وغيرها.

٢ـ الأمة الإسلامية بتمامها متفقةٌ على أن الشفاعة أصلٌ من أصول الإسلام نطق به الكتاب والسنة النبوية وأحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام.

٣ـ لا فرق في طلب الشفاعة من الشفيع في حين حياته وبعد وفاته، وسيرة المسلمين تكشف عن ذلك، حيث أنهم كانوا يطلبون الشفاعة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده.

٤ـ السجود على التربة الحسينية إطاعةٌ لأمر الله تبارك وتعالى وليس من الشرك في شيء، بل هو قمة التوحيد وعين عبادة الله عز وجل.

أسئلة حول الدرس:

???

١ـ عدد معاني الشرك.

٢ـ ناقش الإشكال التالي (طلب الحوائج من الأموات شرك).

٣ـ لو واجهتك هذه الشبهة وهي أن السجود على التربة الحسينية شرك. كيف ترد على هذه الشبهة بأجوبة متعددة محكمة؟

للمطالعة

❖ يا صبي، سوف أمسك بأذنك وأطردك من إيران:

بعد تمادي الشاه وإصراره على محاربة أحكام الإسلام والقضاء على الحوزات العلمية، قال الإمام الخميني قدس سره في خطاب تاريخي مهم مخاطباً الشاه:

«يا صبي! لا تتلاعب هكذا بالإسلام وأحكامه، ولا تغرّنك أمريكا، فإنك إن واصلت هذه الممارسات فسوف أمسك بأذنك وأطردك من إيران».

كتاب ذكريات مشرقة من حياة الإمام الخميني رحمه الله

الفصل الثاني

العدل الإلهي

- الباب الأول: العدل
- الباب الثاني: شبهات وردود

الباب الأول: العدل

الدرس السابع

العدل

لماذا العدل أصل؟

لا يوجد أحد من الفرق الإسلامية من لا يعتقد بأنّ العدل صفة من الصفات الإلهية، إذ أنها ضرورة قرآنية، فالمنكر لها كافر، فلا يستطيع موحدٌ إنكارها ـ وإن كان منكراً للإعتماد على العقل ـ وإنما وقع الخلاف في تفسير العدل فقد أكد عليه كلٌ من المعتزلة والإمامية (وإن كانوا يختلفون في جزئياته) فجعلوه من أصول الدين بسبب الخلاف الواقع في تفسيره وإلا في واقع الأمر إن العدل يرجع للصفات الإلهية المندرجة تحت مباحث التوحيد، أما الأشاعرة فإنها تؤمن بأن العدل هو كل ما يفعله الله حتى لو كان قبيحا ومخالفا للعقل ـ إستنادا على التحسين والتقبيح الشرعيين ـ فلو أراد الله أن يعاقب المطيع بإدخاله النار ويثيب العاصي بإدخاله الجنة فهو عدل ولا يسأل عما يفعل مع أن هذا الفعل قبيح، فأرادوا تنزيه الله وتقديسه فنسبوا له القبيح، بينما العدلية تستند على التحسين والتقبيح العقليين، فتنزه الله تبارك وتعالى عن فعل القبيح.

لقد أفضى إضافة مسألة الحسن والقبح العقليين وكذلك مسألة أن للأفعال الإلهية أهدافاً وغايات إلى مسألة العدل ومسألة الجبر والإختيار ـ أفضى ذلك ـ إلى تمايز الفرق الكلامية عن بعضها البعض مما جعل صفة العدل ذات خصوصية وأهمية ملحوظة الذي يعطيها الميزة بالبحث مستقلا دون غيرها من الصفات مع وجود الخلاف الشديد والبحث الموسع في بعض الصفات الأخرى كالعلم والكلام وغيرهما.

هذا بالإضافة إلى أن البحث في العدل لعامة الناس وغير مختص بعلماء الكلام والفلاسفة والمتخصصين ـ كما هو حال بقية أبحاث الإلهيات على إختلاف المستويات ـ وذلك لأمرين أحدهما صعوبة الأبحاث والشبهات الأخرى بخلاف شبهات العدل فهي منتشرة بشكل أوسع، الأمر الثاني أن مسائل العدل تقع في دائرة اهتمامات عامة الناس وابتلاءاتهم في حياتهم ومسيرتهم العملية.

معنى العدل:

إعلم أن معنى العدالة التي تبحث في الفقه والأخلاق تختلف عن العدل في علم الكلام التي هي صفة من صفات واجب الوجود، وفي المقام للعدل معنيان:

١- هو وضع الشيء في موضعه وهو معنى الحكمة.

٢- هو إعطاء وإتيان كل ذي حق حقه.

يثبت لغير الغافل أو المعاند أن كلا المعنيين ينطبقان على الحق تبارك وتعالى كما هو مقتضى الأدلة الآتية.

وليس العدل كما قد يتوهم من أنه يعني المساواة، فقد يكون العدل في المساواة وقد لا يكون كذلك، بل ربما أن المساواة هي عين الظلم في بعض الأحيان، فلا تلازم بين العدل والمساواة فقد يجتمعان وقد يفترقان.

الدليل على العدل الإلهي:

١- الفطرة دليل على العدل الإلهي:

التساؤل المطروح هنا هو أنه هل يوجد عاقل ينكر فطرية حب العدل؟ إن بداهة حب العدل التي لا تحتاج لدليل عقلي سوى الرجوع للوجدان بالنسبة للغافل هي من المرتكزات الرئيسية لإثبات العدل الإلهي، فلا تجد أحدا ينكرها إلا أحد ثلاث: مشتبه غافل، أو منكر معاند، أو أنه غير عاقل، فلا يخرج المنكر لفطرية حب العدل وبداهتها عن هذه الحالات الثلاث، ولكل من هذه الحالات أسباب متعددة لسنا في مقام تعدادها.

[إن من الفطرة الإلهية الكامنة في أعماق البشر حب العدل والرضى به، وكراهة الظلم وعدم الانقياد له][1].

---

(١) الأربعون حديثاً، ح ٥، ص ١٤٨.

٢ـ العدل صفة كمال:

إن صفة الظلم من الصفات الدنيئة والهابطة في نظر العقلاء بل العقل، وهي تمثل النقص والحاجة لأسبابه ولو قلنا به لاستلزم احتياج الله عز وجل لهذه الأسباب للظلم فهو غير واجب بل محتاج، ويرتكب القبيح ويكون فعله عبثا خلاف الحكمة، لكن لو كان عادلا فسينسد باب الحاجة والنقص وينزه عن فعل القبيح بل يثبت له الكمال الذي لابد أن يثبت لكونه واجب الوجود، ولصياغة البرهان منطقيا نقول:

العدل من صفات الكمال، والله عز وجل جامع لصفات الكمال، إذا فالله تعالى عادل، وقد تقدم ذلك في مبحث الصفات فراجع.

٣ـ أمر الله عز وجل بالعدل:

لقد أولى الإسلام العزيز العدل أهمية واضحة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فقد عرض القرآن مسألة العدل والظلم بشتى أنواعها ومصاديقها، فتارة يركز على العدل التكويني وأخرى التشريعي وثالثة الأخلاقي، وفي كثير من الأحيان تجده يفصل في العدل الإجتماعي ويشير لفوائده.

لقد أمر الله تبارك وتعالى بالعدل في مواطن كثيرة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، فكيف يأمر بشيء وهو يخالفه أو يكون فاقدا له؟ فإن خالفه فعل القبيح وإن كان فاقدا له استوجب النقص، فإن لم يكن عادلا كان ظالما ولا وسط بينهما.

---

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

نتيجة عدم القول بالعدل:

ثم أنه لو لم نقل بأن الله عادل فسيكون ظالما ـ والعياذ بالله من هذا القول ـ فيلزم أن يكون ناقصا لهذه الصفة الكمالية فلابد أنه محتاج لأسباب الظلم، وهي إما الحاجة للظلم أو التشهي والعبث أو الجهل أو غيرها من الأسباب، وهو منزه عنها تبارك وتعالى بمقتضى كونه واجب الوجود.

التحسين والتقبيح العقليين:

سبق وأن ذكرنا بأن أساس الإختلاف بين العدلية واللاعدلية هو الإختلاف في التحسين والتقبيح وعلى أثرها نشأت الإختلافات في كثير من المسائل الكلامية والأصولية وكذا الأخلاقية وغيرها، فالعدلية تقول بأن التحسين والتقبيح منشؤهما العقل وهو يدرك الحسن والقبح من دون الرجوع للشارع، فالعدل حسن وإكرام الضيف حسن ومساعدة المحتاج حسن حتى لو لم يقل به الشارع، لأن العقل يدرك ذلك، والظلم قبيح وإيذاء الآخرين من دون سبب قبيح. وقد ساقوا الأدلة على ذلك وردوا إشكالات وأدلة الأشاعرة اللذين يمثلون اللاعدلية، أما الأشاعرة فقد ساقوا أدلةَ لذلك، وردها أئمة أعلام الإمامية ولم يستطع الأشاعرة مناقشة أدلة العدلية بشكل منطقي متقن، فمفاد ما قاله الأشاعرة أن الحسن ما حسنه الشارع والقبيح ما قبحه الشارع، وليس للعقل دخل في ذلك، ومن نتائج اعتقادهم بهذا القول هو محذورات باطلة وخطيرة على الإعتقاد بالله عز وجل وتوحيده، منها (أي النتائج) أن الله يمكن أن يفعل ماهو بنظر العقل قبيح ويترك ماهو بنظر العقل حسن، ومنها الجبر... وغيرها من المسائل التي يكون مفادها عدم عدل الله بل ظلمه والعياذ بالله، تقدست أسماؤه عن هذه الأقوال، وجل شأنه عن هذه التخرصات والترهات المحطة من شأنه وعلو قدره. وقد انجرت هذه الشبهات لكثير من العلوم الأخرى ومنها الفقه حتى وقع النزاع بين الإفراط والتفريط من أهل الحديث وأهل الرأي والقياس من المدارس السنية.

أما الإمامية فملخص قولهم أن الحسن والقبح عقليان يدركهما العقل من دون الشرع بل أساس الرجوع للشرع هو الرجوع لهذه القاعدة وإلا استلزم الدور، وقد عدها بعضهم من البديهيات التي يقر بها أتباع جميع الأديان حتى الملاحدة. أما نظرتهم لما يأتي به الشرع، فهي مقبولة على نحو التسليم بالنسبة للأمور القاصر عن إدراكها العقل، ولكن لا يأتي الشرع بما يخالف أساسيات العقل والقواعد العقلية، فلا يفعل القبيح ولا يأمر به ولا يترك الحسن ولا ينهى عنه، نعم يأتي بأمور لا يدركها العقل ولكن لا يأتي بأمور تخالف إدراك العقل.

خلاصة الدرس السابع:

١ـ للعدل معنيان وكلاهما منطبق على الله تبارك وتعالى.

٢ـ العدل الإلهي من الصفات التي أثبتتها الفطرة البشرية.

٣ـ يرجع الإختلاف بين العدلية واللاعدلية إلى مسألة التحسين والتقبيح العقليين.

؟؟؟

أسئلة حول الدرس:

١ـ عرف العدل؟

٢ـ بين أهمية أصل العدل؟

٣ـ هل أن التحسين والتقبيح عقليان أم شرعيان؟ لماذا؟

للمطالعة

❖ العباءة أفضل للمرأة:

عندما عدت من فرنسا كنت لا زلت أرتدي الثوب الفضفاض (المانتو) والسروال. وكنت قد أصبت في منطقة مهران ولذلك كنت أستخدم العصا، وقد زرته بهذه الحالة لكي أقدم له تقريرا فسألني: «أليست لديك عباءة، أقول لأحد أن يشتري لك عباءة». قلت: لا حاجة يا سيدي، لدي عباءة ولكني من الصعب علي أن أرتديها لأنني أصعد الجبل والبندقية على عاتقي وشريط الرصاص مشدود على محزمي، وقنينة الماء معلقة على كتفي وأحيانا أحمل قاعدة البندقية الرشاشة أيضا فقال: «العباءة أفضل للمرأة».

وفور خروجي من محضره تحجبت بالعباءة ولم أتركها إلى اليوم وكنت أرتديها في السابق أيضا ثم أخذت أرتدي حجاب المانتو والسروال، وقد كنت في خدمته في فرنسا بهذا الحجاب مع مقنعة خاصة بي.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الاجتماعية ص٢٩٢ ـ ٢٩٣

الدرس الثامن

الجبر والتفويض

اختيار الإنسان (الجبر والتفويض):

يطلق الإختيار أحيانا على التفويض الذي هو في قبال الجبر، وقد يطلق مقابل الجبر والتفويض وهو مقصودنا في المقام، وفي بحثنا سوف ينصب الكلام على إثبات الإختيار ـ الذي يسمى في الروايات الأمر بين الأمرين ـ وإبطال الجبر والتفويض.

قبل الحديث عن بطلان الجبر والتفويض لابد أولا من تعريفهما وما المراد منهما كي يتبين لنا ما هو المحذور من القول بهما.

في معنى التفويض:

التفويض هو أن الله تبارك وتعالى قد خلق الخلق وأوكل أمورهم لغيره سواء لنفس الخلق أم لمخلوقات أخرى، أما هو فقد عزل نفسه عن التدبير والتصرف مما يستلزم أن يكون الواجب ناقصا ومسلوب الإختيار وفاقدا للقدرة والعلم والحكمة وغيرها من الكمالات، يقول السيد الإمام قدس سره:

[إعلم أن للتفويض معنى مذكوراً في أبحاث الجبر والتفويض وهو أن الحق سبحانه قد عزل نفسه ـ والعياذ بالله ـ عن التصرف القيومي في كل أمرٍ من الأمور من أقصى عالم من عوالم الغيب المجردة حتى منتهى النهايات من عالم الخلق والتكوين، وفوض أمر ذلك إلى موجود سواء كان كاملاً تاماً وروحانياً وصاحب إختيار وإرادة، أم كان طبيعياً مسلوب الشعور والإرادة، يتصرف ـ هذا الموجود ـ بصورة تامة ومستقلة، ومثل هذا التفويض لا يمكن أن يكون لأحد، لا في عالم التكوين ولا في عالم التشريع وسياسة العباد وتأديبهم، وذلك من أجل أن هذا التفويض يستلزم النقص والإمكان في الوجود الواجب، ونفي الإمكان والحاجة في الممكن].

وفي معنى الجبر:

أما معنى الجبر فهو أن المخلوق مسلوب الإختيار في فعله، وكل ما قدره الله له فهو واقع لا محالة سواء شاء أم أبى، فلا دخل لإختياره في تحقق فعله، ويرى الجبري أنه بذلك قد نزّه الله تبارك وتعالى وأثبت له القدرة المطلقة باعتقاده هذا، لكنه قد وقع في محذورات لا يمكن قبولها بأي وجه من الوجوه، فمما يستلزم من كلامه هذا هو نفي قانون الأسباب والمسببات وإلغاء الوسائط، بينما نجد بأن عالم الخلق قائم على قانون الأسباب والمسببات بل يقتضي ذاتاً الوسائط، وقد أكد على ذلك القرآن الكريم عندما يعدد الأسباب والوسائط كالملائكة وغيرهم.

[ويقابل التفويض هذا، الجبر الذي يكون عبارة عن نفي الآثار الخاصة عن مراتب الوجود ونفي الأسباب والمسببات نهائياً، وإلغاء الوسائط بصورة كلية. وهذا أيضاً باطل ومرفوض ومخالف للبراهين المحكمة. وهذا المعنى من الجبر المرفوض لا يختص أيضاً بأفعال المكلفين، بل يعم عالم التكوين والتشريع كما هو المشهور. فإن رفض الجبر والتفويض بهذا المعنى الذي ذكرناه هو سنة الله الجارية في كافة مراتب الوجود، ومظاهر عالم الغيب والشهود. والتحقيق في ذلك خارج عن نطاق هذا الكتاب والروايات التي تنفي الجبر والتفويض إنما تنفيهما حسب المعنى المذكور].[1]

التفويض الممكن والتفويض المستحيل:

يطرح السيد الإمام رضوان الله عليه في هذا البحث أنه يوجد تفويض باطل مستحيل وآخر ممكن، أما الباطل فهو ما تقدم، وأما الثاني فهو من قبيل تفويض الله تعالى للملائكة والأولياء بالتصرفات والتدبير والذي أطلق عليها القرآن الكريم (المدبرات) لقابلياتهم لذلك مع عدم إنفصالهم عن القدرة الإلهية، فعندما تأتي الآيات وتقول أن الملائكة على أصناف ولكل صنف منهم وظائف خاصة، فبعضهم للوحي والآخر لقبض الأرواح وصنف ثالث لأمور الكون وغيرها، كل يعمل بوظائفه ولكن لا على نحو الإستقلال بل هو في طول إرادة الله وقدرته وبأمره، وكما تبين الآيات الشريفة وتنسب قبض

---

(١) الأربعون حديثاً، ح٣١، ص ٦٠٠.

الأرواح تارة للملائكة وأخرى لملك الموت وثالثة لله تبارك وتعالى، فهناك طولية في هذا الفعل، أي لا يمكن الإستقلال عن الله عز وجل ولا يكون في عرضه، بل بقدرته يقدر الملك وبإرادته يريد، ولا يستلزم ذلك الحاجة والنقص لله تعالى عما يصفه الجاهلون الملحدون، وذلك لأن العالم والخلق يقتضي هذا الفعل، ولأن الله قد أراد أن لا يجري الأمور إلا بأسبابها، كما أن القابلية للملائكة موجودة فلا محذور في مثل هذا التفويض.

[لا بد من معرفة أنه لا فرق أبداً في التفويض المستحيل المستلزم لمغلولية يد الله وفاعلية قدرة العبد وإرادته بصورة مستقلة بين الأمور العظيمة أو الحقيرة. كما أن أمر الإحياء والإماتة، والإيجاد والإعدام، وتحويل عنصر إلى آخر لا يمكن أن يفوض لموجود، حتى أن تحريك قشة أيضاً، لا يمكن أن يفوض لا إلى ملكٍ مقرب ولا إلى نبيٍ مرسل ولا إلى كائنٍ ابتداءاً من العقول المجردة القاطنة في الجبروت الأعلى إلى المادة الهيولى الأولى، وإن ذرات الكائنات بأسرها مسخرة تحت إرادة الحق سبحانه الكاملة، ولا استقلالية لها في أي عملٍ أبداً، وإن جميع الكائنات في وجودها وكمالها وحركاتها وسكناتها وإرادتها وقدرتها وكافة شؤونها محتاجة وفقيرة، بل هي فقر خالص وخالص فقر، كما أنه لا فرق أبداً في قيومية الحق، وعدم استقلال العباد، وظهور إرادة الله ونفوذها وتغلغلها في كل شيء بين الأمور الكبيرة والصغيرة.

وكما أننا العباد الضعاف قادرون على الأعمال البسيطة مثل الحركة والسكون وأفعال أخرى صغيرة، فإن العباد المخلصين لله سبحانه الملائكة المجردين، قادرون على أعمال عظيمة من الإحياء والإماتة والرزق والإيجاد والإعدام. وكما أن ملك الموت يقوم بالإماتة، وعمله هذا لا يكون من قبيل إستجابة الدعاء، وكذلك إسرافيل موكل بالإحياء، وإحياؤه لا يكون من قبيل إستجابة الدعاء أو التفويض الباطل فكذلك الولي الكامل، والنفوس الزكية القوية، مثل نفوس الأنبياء والأولياء، قادرة على الإعدام والإيجاد والإماتة والإحياء، بقدرة الحق

المتعال، وليس هذا من التفويض المحال، ويجب أن لا نعتبره باطلاً. ولا مانع من تفويض أمر العباد، إلى روحانية كاملة، تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق، وإرادته ظلال لإرادة الحق، ولا يروم إلا ما يريده الحق، ولا يتحرك إلا إذا كان موافقاً للنظام الأصلح، سواء كان في الخلق والتكوين أم التشريع والتربية.

وملخص الكلام: أن التفويض بالمعنى الأول لا يكون جائزاً في أي مجال من المجالات وأنه مخالف للبراهين القاطعة، أما التفويض بالمعنى الثاني فجائز في كافة الأمور بل إن النظام العام للعالم، لا يقوم إلا على أساس الأسباب والمسببات «أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها»].[1]

في رؤية المفوضة والجبرية:

إن البحث في الجبر والتفويض على أساس أنها مسألة عقلية فهي واسعة جدا وهي أوسع من البحث الكلامي، فهي ترجع لقانون العلة والمعلول والأسباب والمسببات، يبين السيد الإمام قدس سره هذا المعنى، ونحن نرفق كلامه للفائدة:

[إن المسألة بما هي معنونة في مسفورات أهل الكلام فرع من فروع أصل المسألة العقلية ونطاق البحث العقلي أوسع منه بل من بين السماء والأرض كما سيتضح ولعله إليه الإشارة فيما ورد أن بين الجبر والتفويض منزلة أوسع مما بين السماء والأرض، تأمل.

فنقول: هل المعلولات الصادرة من عللها والآثار والخواص المترتبة على الأشياء والمسببات المربوطة بالأسباب والأفعال الصادرة عن الفواعل سواء في عالم الملك أم الملكوت والمجردات أم الماديات وسواء صدرت عن الفواعل الطبيعية كإشراق الشمس وإحراق النار أم الحيوانية والإنسانية أم الآثار والخواص المترتبة على الأشياء كحلاوة العسل ومرارة الحنظل وسواء كان

---

(١) الأربعون حديثاً، ح ٣١، ص ٦٠٢ ـ ٦٠٣.

الفاعل مختاراً أم لا وبالجملة كل ما يترتب على شيء بأي نحو كان هل هو مترتب عليه وصادر منه على سبيل الاستقلال والاستبداد بحيث لا يكون للحق جل شأنه تأثير فيها وإنما شأنه تعالى خلق المبادئ فقط ونسبته إلى العالم كالبنّاء والبناء بحيث يكون بعد الإيجاد منعزلاً عن التأثير والتدبير ويكون الشمس في إشراقها والنار في إحراقها والإنسان في أفعاله والملائكة في شؤونها مستقلات ومستبدات ويكون وجود الباري وعدمه ـ العياذ بالله ـ في فاعلية العبد ومنشأية الموجودات للآثار على السواء وأنه تعالى أوجد العقل مثلا وفوض الأمر إليه أو أوجد المكلف وفوض أفعاله إليه أو أنه تعالى كما هو فاعل للمبادئ فاعل للآثار بلا وسط ولا فاعلية ولا تأثير لشيء من الأشياء ولا علية لموجود بالنسبة إلى غيره ولا خاصية لموجود بل الأشياء كلها منعزلة عن العلية والتأثير والخواص والآثار ولكن جرت عادة الله بإيجاد أشياء عقيب أشياء كالإشراق عقيب وجود الشمس والإحراق عقيب النار والإرادة والقدرة في الإنسان والفعل عقيب الإرادة والعلم بالنتائج عقيب الأقيسة والأشياء كلها على السواء في عدم التأثير لكن الجاهل بالواقع يرى ترتب الآثار على المؤثرات غفلة عن حقيقة الأمر حتى أن قوله كل إنسان حيوان وكل حيوان جسم لا ينتج كل إنسان جسم وكانت نسبتهما إلى النتيجة كنسبة ضرب فعل ماض ويضرب فعل مضارع بالنسبة إليها لكن جرت عادة الله تعالى على إيجاد عقيب الأوليين لا الأخيرتين؟ فالتفويضي يرى انعزاله تعالى عن التأثير مطلقا إلا في المبادئ والجبري يرى انعزال الخلق عنه واستناد الكل إليه تعالى بلا وسط وبنحو المباشرة].[1]

---

(١) الطلب والإرادة، ص ٢٩ ـ ٣١.

* في إبطال المذهبين:

أدلة بطلان التفويض: وصل الكلام لأدلة بطلان التفويض، وهي أكثر ما تكون تخصصية وتحتاج لمقدمات وقد نقلناها لزيادة الفائدة، ولكن نشير لها إشارة.

إن الأدلة المذكورة تركز على عدم استقلالية المعلول عن العلة واستلزامه أن يكون المعلول علة وهو محال، وقد تقدم بيان بعض هذه الأدلة والإشارة لها في بعض المناقشات من السيد الإمام قدس سره لإثبات البطلان بإيجاز مبسط، وسيأتي ذكر بعض الروايات لبطلان كلاً من الجبر والتفويض، ونحن نستعرض أدلة السيد الإمام قدس سره بإيجاز قبل ذكر نصها.

أولا: أن المعلول أو أي موجِد إنما يكون مستقلاً في الإيجاد فيما لو كان علة تامة، أي أنه لا يحتاج إلى العلة في جميع الحالات والأمور ـ ولو كان شرطا ـ، ليصدق عليه أنه قد حقق العلة التامة بنفسه لا أنه محتاج لبعض أجزاء العلة والأسباب لغيره، فإذا احتاج لا يقال له أنه أوجد شيئا على نحو الإستقلال، وفي المقام إيجادنا للأشياء والأفعال لا يكون مستقلا عن قدرة الله تعالى وإرادته وإذنه.

ثانيا: قد تقرر في الفلسفة أن المعلول بالذات لا ينفك عن علته بل يكون مفتقراً لعلته، وإلا ـ لو استغنى عن علته ولو من جهة من الجهات ـ لصار واجباً وهو محال.

ثالثا: الإستقلال في الإيجاد فرع الإستقلال في الوجود، لأن الوجود أشرف من الإيجاد، فمن فقد الإستقلال في الوجود فقد الإستقلال في الإيجاد، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، فلو سلمنا باستقلالية الممكن في الإيجاد فيلزم استقلاليته في الوجود والتالي باطل فالمقدم مثله في البطلان.

فائدة:

[الدليل الأول: أما التفويض فلأن استقلال موجود في الإيجاد إنما يعقل إذا سدت العلة جميع الأعدام الممكنة على المعلول وإلا لم يكن مستقلا فيه فإذا توقف وجود المعلول على ألف شرط وكان في قدرة الفاعل إيجاد ماعدا واحد منها فسد عدم المعلول من ناحية ماعدا الواحد منها لم يكن علة تامة مستقلة ولا فاعلا بالاستبداد والاستقلال في الإيجاد وهذه المقدمة ضرورية لا تحتاج

إلى الإثبات ومن الأعدام الممكنة على المعلول عدمه بعدم فاعله ومقتضيه، وليس في شأن ممكن من الممكنات مجردا كان أو ماديا سد هذا العدم وإلا انقلب الممكن بالذات إلى الواجب بالذات.

الدليل الثاني: وأيضا المعلول بالذات في الفاعل الإلهي أي فاعل الوجود بتمام هويته وحاق حقيقته وذاتيته متعلق ومفتقر إلى العلة ويكون ذاته بذاته عين الافتقار والتعلق وصرف الربط والاحتياج ولو كان شيئا له الافتقار حتى يكون افتقاره زائدا على ذاته وتعلقه بالعلة عارضا على أصل هويته يلزم أن يكون واجبا في وجوده وجوهره وعرضه المعلولية وهو واضح الاستحالة. ومرادنا من المعلول بالذات هو وجود الممكن الذي هو أثر جعل الجاعل، وإلا فالماهيات ليست مجعولة ولا موجودة إلا بالعرض لكونها اعتبارات وانتزاعات من حدود الوجود، والوجود المعلولي ذاته الافتقار والتعلق ولو استغنى في حيثية من الحيثيات ينقلب من الإمكان والافتقار الذاتي إلى الوجوب والاستغناء وهو مستحيل بالضرورة.

الدليل الثالث: وأيضا المستقل في الإيجاد لابد وأن يكون مستقلا في الوجود لأن الإيجاد فرع الوجود ولا يمكن أشرفيته عنه، فالتفويض بمعنى جعل ممكن مستقلا في الفاعلية مستحيل ومستلزم للانقلاب المستحيل سواء في ذلك المجرد والمادي والفاعل المختار وغيره فلا يعقل تفويض الإيجاد والفعل والأثر والخواص إلى موجود.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]].[2]

---

(١) سورة الحج:٧٣ ـ ٧٤.

(٢) الطلب والإرادة ص ٣١ ـ ٣٣.

أدلة بطلان الجبر:

أما أدلة بطلان الجبر فهي مستندة إلى بساطة الواجب على تفصيل فلسفي لأهل التخصص، وقد نقلنا ذلك لتعميم الفائدة أيضاً، ويكفي ما تقدم لغير الملمين بالمطالب الفلسفية، ولكننا نشير إلى بعض الأدلة (لا جميعها) باختصار كما فعلنا بأدلة بطلان التفويض، فنقول:

بما أن للوجود مراتب، وما هو في المرتبة الناقصة يتعلق ويحتاج لما هو أعلى منه، ولا يمكن إنفكاك هذا الإحتياج ـ إلا إذا خرج عن المرتبة الناقصة ـ، والمخلوق موجود ناقص محتاج ومتعلق بالموجود الواجب، إذن فالممكن متعلق بالواجب، ولا يمكن أن ينفصل عنه لحظة من اللحظات.

فائدة:

[وأما إبطال الجبر فمع أن تحقيقه كتحقيق إبطال التفويض على ما هو عليه موكول إلى بيان مقدمات مبرهنة في العلم الأعلى لكن لا محيص عن الإشارة إلى بعض الوجوه منه.

الدليل الأول: منها أن الوجود لما كان أصلا في التحقق وبسيطا لا جنس له ولا فصل ومن ذاته أن يكون ذا مراتب ومشككا بالتشكيك الخاص فلا محالة يتعلق كل مرتبة ناقصة بالمرتبة المتلوة تعلقا ذاتيا غير متجافية عنها بحيث يكون تعلقها بمرتبة أخرى غيرها موجبا ومساوقا للانقلاب الذاتي المستحيل ومقدمات هذا البرهان تطلب من مظانه.

الدليل الثاني: ومنها أنه تعالى لما كان بسيطا في غاية البساطة وجميع صفاته وشؤونه الذاتية يرجع إلى الوجود الصرف البسيط فلا يتصور في ذاته وصفاته التجدد والتصرم والتغير وإلا لانقلب البسيط مركبا والفعلية الصرفة قوة والوجوب بالذات إمكاناً ولازم بساطة الذات والصفات أن ما يصدر منه يكون صادرا من حاق ذاته وتمام هويته وصرف حقيقته فلو صدر المتجددات والمتصرمات عنه تعالى من غير وسط وبالمباشرة والمزاولة يلزم منه التصرم

والتغير في ذاته وصفاته التي هي ذاته وقد تقدم[١] فساد كون الإرادة من صفات الفعل لا الذات فما صدر عنه تعالى لا يمكن أن يصدر من إرادته لا من ذاته أومن ذاته دونها فإنها عين ذاته فإذن صدور المتغير والمتصرم منه تعالى مستلزم لحدوث القديم أو قدم الحادث بالذات وثبات المتغير بالذات.

الدليل الثالث: ومنها أن صدور الكثير بلا وسط عن الواحد البسيط من جميع الجهات مستلزم للتركيب والتكثير فيه وهو خلف وما قيل أن ذلك مستحيل في غير الفاعل المختار وأما هو فله أن يفعل باختياره كل ما أراد فليس بشيء، فإن الاختيار والإرادة عين الذات البسيطة وما صدر عنهما صدر عنها وتحقق الكثرة والتجدد في الإرادة عين تحققهما في الذات وقياس إرادته تعالى وفعله الإرادي وكذا صدور الفعل عنه تعالى على الإنسان مع الفارق وغالب الاشتباهات منشأه هذا القياس الباطل فأين الإنسان الناقص الكثير المتكثر المتغير المتصرم ذاتا وصفاتا ورب الأرباب البسيط الذات والصفات؟! وما قد يتوهم أنه يلزم من ذلك قصور في قدرته تعالى ومغلولية يده فاسد سيأتي ما يدفعه.

الدليل الرابع: ومنها أن حقيقة الوجود ذاتها عين منشأية الآثار ولا يمكن سلب الأثر مطلقاً عن ذاته لمساوقته لسلب ذاته فلا يمكن أن يكون موجود مسلوباً عنه الآثار بل سلب الأثر عن وجود مستلزم لسلبه عن كافة الوجودات حتى وجود الواجب لبساطة حقيقة الوجود واشتراكه المعنوي فتدبر جيدا][٢].

---

(١) الطلب والإرادة ص ١٦.

(٢) الطلب والإرادة ص ٣٣ ـ ٣٥.

خلاصة الدرس الثامن:

١ـ التفويض باطل لإستلزامه الحد من قدرة الله وجعل الممكن واجبا.

٢ـ الجبر باطل لإستلزامه الظلم والجهل وبطلان الثواب والعقاب.

٣ـ التفويض على قسمين مستحيل وممكن.

???

اسئلة حول الدرس:

١ـ بين ما فهمته من معنى الجبر والتفويض؟

٢ـ كيف تجيب على إشكال التفويض للملائكة؟

٣ـ كيف تستدل على بطلان الجبر والتفويض بشكل مبسط ومختصر؟

للمطالعة

❖ **أقبلت عليه الدنيا فزهد فيها:**

مما لا شك فيه أن الحقوق الشرعية والمبرات والنذور والهبات والهدايا الشخصية لم تكن ترسل إلى أي مرجع بمقدار ما كانت ترسل إلى الإمام الخميني خاصة بعد انتصار الثورة، لكن كثرتها لم تحدث أدنى تغيير في معيشته وشؤون حياته الخاصة، يبعده عن حياة الزهد والإقتداء بالسيرة العلوية التي كان يتمسك بها، ويمكنني القول أن ما من شخص أقبلت عليه الشهرة والرئاسة والدنيا ومتاعها مثلما أقبلت على الإمام وما من شخص زهد فيها واجتنبها مثله.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٩٢

الدرس التاسع

الأمر بين الأمرين

في بيان المذهب الحق (الأمر بين الأمرين):

بعد تبين بطلان الجبر والتفويض واستحالتهما، وبيان أئمة العصمة والطهارة (عليهم السلام) للمذهب الحق أنقذنا الله من متاهات الجبر والتفويض وانحرافاتهما، ـ فقد جاءت الروايات مفصلة لهذا الإعتقاد، وردت الشبهات والإشكالات المتوهم منها الجبر أو التفويض ـ وسهل الإلتفات لمعنى الأمر بين الأمرين، إذ لا يمكن إنكار قدرة الله تبارك وتعالى وتأثيره، وفي نفس الوقت لا يمكن إنكار إختيار الإنسان، فتكون النتيجة أن الإنسان مختار في أفعاله بقدرة الله عزوجل أي أنه غير مستقل في فعله، وليس مجبوراً عليه.

يقول إمامنا الراحل (قدس سره):

[في بيان المذهب الحق وهو الأمر بين الأمرين والمنزلة بين المنزلتين وفيه طرق:

منها: أنه بعد ما علم أن التفويض وهو استقلال الممكن في الإيجاد والفاعلية والجبر وهو سلب التأثير عن الموجود ومزاولته تعالى للأفعال والآثار مباشرة وبلا وسط مستحيلان. اتضح سبيل الأمر بين الأمرين وهو كون الموجودات الإمكانية مؤثرات لكن لا بالاستقلال وفيها الفاعلية والعلية والتأثير لكن من غير استقلال واستبداد وليس في دار التحقق فاعل مستقل سوى الله تعالى وسائر الموجودات كما أنها موجودات لا بالاستقلال بل روابط محضة ووجودها عين الفقر والتعلق ومحض الربط والفاقة تكون في الصفات والآثار والأفعال كذلك فمع أنها ذات صفات وآثار وأفعال لم تكن مستقلات في شيء منها كما تقدم برهانه[1] فمن عرف حقيقة كون الممكن ربطا محضا عرف أن فعله مع كونه

---

(١) تقدم في بطلان أدلة التفويض.

فعله فعل الله سبحانه فالعالم بما أنه ربط صرف وتعلق محض ظهور قدرة الله وإرادته وعلمه وفعله وهذا عين المنزلة بين المنزلتين والأمر بين الأمرين ولعله إليه أشار في قوله وهو الحق: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾[١]. حيث أثبت الرمي من حيث نفاه فقال: «رميت وما رميت»، فإن الرمي كونه منه لم يكن بقوته واستقلاله بل بقوة الله وحوله، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ﴾[٢]. فأثبت المشيئة لله من حيث كونها لهم لا بأن يكون المؤثر مشيّتين أو فعلين بالاشتراك بل بما أن مشيّة الممكن ظهور مشيّته تعالى وعين الربط والتعلق بها].

في شرك التفويضي وكفر الجبري[٣]:

تبين الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام كيفية شرك التفويضي وكفر الجبري، حيث أعطى التفويضي صفات الله للمخلوق بينما الجبري حط من مقام الخالق، وما أكثر الروايات في بيان بطلان الجبر والتفويض، فمن أراد فليراجع الكافي والتوحيد وعيون أخبار الرضا وبحار الأنوار وغيرهم.

[التفويضي أخرج الممكن عن حده إلى حدود الواجب بالذات فهو مشرك والجبري حط الواجب تعالى عن علوّ مقامه إلى حدود بقعة الإمكان فهو كافر، ولقد سمى مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام القائل بالجبر كافرا والقائل بالتفويض مشركا على رواية صدوق الطائفة قدس سره كما عن عيونه[٤] والأمر بين الأمرين هو الطريقة الوسطى التي للأمة المحمدية صلى الله عليه وآله وهي حفظ مقام الربوبية وحدود الإمكانية.

---

(١) سورة الانفال: ١٧.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠، وسورة التكوير: ٢٩.

(٣) لا يخفى أن مقصود السيد الإمام رضوان الله عليه ليس الشرك والكفر مقابل الإسلام بل الكلام في مراتب الشرك والكفر كما صرح به في غير موضع إلا أن يكون إقرار التفويضي أو الجبري بالشرك أو الكفر فيكون مشركا أو كافرا. انظر تعليقة السيد الإمام رضوان الله عليه على العروة الوثقى الثامن من النجاسات المسألة الثانية، الطهارة ج٣ ص٤٦٢ ـ ٤٦٣.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، الباب ١١، ح٤٥.

الجبري ظلم الواجب حقه بل الممكنات حقها والتفويضي كذلك والقائل بالأمر بين الأمرين أعطى كل ذي حق حقه.

الجبري عينه اليمنى عمياء فسرى عماه منها إلى اليسرى، والتفويضي عينه اليسرى عمياء فسرى منها إلى اليمنى، والقائل بالمنزلة بين المنزلتين ذو العينين.

الجبري مجوس هذه الأمة[١] حيث نسب الخسائس(الخبائث ــ خ ل) والنقائص إلى الله تعالى والتفويضي يهود هذه الأمة[٢] حيث جعل يد الله تعالى مغلولة ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٣] والقائل بالأمر بين الأمرين على الحنفية الإسلامية].

في معنى إستناد الأفعال لله تبارك وتعالى:

قد يتبادر للأذهان إشكال، وهو أننا كيف نوفق بين أن ننسب الأفعال لله تبارك وتعالى فيكون هو الفاعل وفي نفس الوقت ننفي الجبر عن الإنسان ونثبت له الإختيار؟ فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين اللذين يظهر من الوهلة الأولى أن بينهما تناقض؟

لرفع هذا الإشتباه لابد من توضيح أمر مهم، وهو أن هذين الأمرين ليسا من جهة واحدة بل من جهتين مختلفتين، فلو كانتا من جهة واحدة للزم التناقض، أما لو تغيرت الجهة فلا يوجد تناقض ووحدة موضوع من جميع الجهات، وبعبارة أوضح أن نسبة الأفعال لله تبارك وتعالى بلحاظ أنه المؤثر الوحيد في الوجود وهو الخير المطلق فينسب له الخير الصادر من المخلوقات، أما شرورهم وسيئاتهم فلا يمكن نسبتها لله تعالى بشكل مطلق لإستلزامها النقص والقبيح وهو منزه عنها، وبصياغة فنية نقول أن فعل العبد إما خير أو شر، والأول (الخير) إما أن يسند لله فقط أو للعبد فقط أو كليهما، والأول (الإسناد لله فقط) باطل لإستلزامه الجبر، والثاني (الإسناد للعبد فقط) فباطل أيضا لإستلزامه التفويض ونقص الواجب، فيبقى الثالث (الإسناد لكليهما مع أولوية الله بالعمل) وهو الصحيح لأن الله مصدر الخير والفعل باختيار العبد.

---

(١) التوحيد، باب ٦٠، ح ٢٩، وفي المصدر (القدرية مجوس هذه الأمة).

(٢) لم أعثر عليه في مصادر الحديث.

(٣) سورة المائدة: ٦٤.

أما فعل الشر من العبد فإما من الله أو من العبد فقط أو كليهما مع أولوية العبد، والأولانِ (من الله أو من العبد فقط) باطلان لأنه يدخل على الواجب النقص وفعل القبيح والثاني يستلزم استقلال العبد، فيبقى الثالث وهو من كليهما مع أولوية العبد، فملخص ما سبق أن أفعال العباد إن كانت خيرا فتنسب لله أولا وبالذات وللعبد ثانيا وبالعرض، وإن كانت شرا فتنسب للعبد أولا وبالذات ولله ثانيا وبالعرض.

وكل هذا يتوافق مع مذهب الأمر بين الأمرين طبقا لروايات أهل بيت النبوة عليهم السلام دون غيرهم من المذاهب الأخرى.

[مع أن أثر كل ذي أثر وفعل كل فاعل منسوب إلى الله تعالى وإليها كما عرفت لكن خيراتها وحسناتها وكمالاتها وسعاداتها كلها من الله وهو تعالى أولى بها منها.

وشرورها وسيئاتها ونقائصها وشقاواتها ترجع إلى نفسها وهي أولى بها منه تعالى فإنه تعالى لما كان صرف الوجود فهو صرف كل كمال وجمال وإلا يلزم عدم كونه صرفا وهو يرجع إلى التركيب والإمكان.

وأيضا يلزم منه أن يكون في التحقق أصلان: الوجود ومقابله مع أن مقابله العدم والماهية وحالهما معلومة فهو تعالى صرف الوجود وصرف كل الكمالات والصادر من صرف الوجود لا يمكن أن يكون غير الوجود والكمال والنقائص والشرور لوازم ذوات المعاليل من غير تخلل جعل لعدم إمكان تعلقه إلا بالوجود وهو نفس الكمال والسعادة والخير.

فالخيرات كلها مجعولات ومبدأ الجعل فيها هو الحق تعالى، والشرور التي في دار الطبيعة المظلمة من تصادمات الماديات وضيق عالم الطبيعة وكلها ترجع إلى عدم وجود أو عدم كماله. والأعدام مطلقا غير متعلقة للجعل، بل المضافة منها من لوازم المجعول وتضائق دار البوار وتصادم المسجونين في سجن الطبيعة وسلاسل الزمان فكلها ترجع إلى الممكن.

فبما أصابك من حسنة وخير وسعادة وكمال فمن الله وما أصابك من سيئة وشر ونقص وشقاء فمن نفسك[(١)] لكن لما كانت النقائص والشرور اللازمة للوجودات الإمكانية من قبيل الأعدام المضافة والحدود والماهيات كان لها وجود بالعرض وما كان كذلك فمن عند الله لكن بالعرض فالخيرات من الله بالذات ومنسوب إلى الممكنات بالعرض والشرور من الممكنات بالذات ومنسوبٌ إليه تعالى بالعرض فحينئذ يصح أن يقال كل من عند الله فإنه لولا الإيجاد والإفاضة وبسط الخيرات لم يكن وجود ولا حده ولا طبيعة ولا ضيقها. ولعل تغيير الأسلوب وتخلل لفظة (عند) في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ﴾[(٢)] للإشارة إلى المجعولية بالعرض.

تمثيلٌ:

والمثال يقرب من وجه لا من جميع الوجوه.

ـ إذا أشرقت الشمس على مرآةٍ ووقع النور منها (من المرآة) على جدارٍ، فنور الجدار ليس من المرآة بذاتها لعدم وجود النورِ لها، ولا من الشمس مباشرة أي بلا واسطة ولا قيد، بل هو نور الشمس الذي حلَّ في المرآة، فمن نظر إلى المرآة غافلاً عن الشمس يزعم كون النور للمرآة، ومن نظر إلى الشمس غافلاً عن المرآة يزعم كون النور من الشمس بلا واسطة، ومن كان ذا عينين يرى الشمس والمرآة، يرى أن النورمن المرآة ومع ذلكَ يحكم بأن النور ـ وما هو من طبيعته ـ للشمس بالذات وللمرآة بالعرض، ومع ذلك لولا الشمس وإشراقها لم يكن نور ولا واسطة، فالنور وحده من عند الشمس].[(٣)]

---

(١) سورة النساء: ٧٩.

(٢) سورة النساء: ٧٨.

(٣) الطلب والإرادة ص ٤٠ بتصرف.

تأييدات نقلية على مسألة (الأمر بين الأمرين):

إن المؤيدات النقلية لمسألة الأمر بين الأمرين كثيرة في المقام، ولا يقال بأن مذهب الأمر بين الأمرين مخالف للقرآن الكريم أو لم يأت به كتاب الله تبارك وتعالى، حتى يقال أنه مذهب مبتدع لم يقل به أحد، بل هو ما أقره القرآن الكريم وأكد عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

[وهي أكثر من أن يذكر، فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مشحونة بذكر هذه اللطيفة الربانية والحقيقة الإلهية تصريحاً وتلويحاً، تنصيصاً وكناية.

«الآيات»:

فمن الآيات مضافا إلى ما قدمنا من قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2] وقوله تعالى ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ...﴾[3].

الآيات الواردة في قضية الخضر وموسى عليهما السلام[4] فإن فيها إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة.

والآيات التي وردت فيها نسبة التوفي تارة إلى الله تعالى فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[5] وأخرى إلى ملك الموت فقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[6]. وثالثة إلى الملائكة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ﴾[7].

---

(١) سورة الأنفال: ١٧.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠، التكوير: ٢٩.

(٣) سورة النساء: ٢٩.

(٤) سورة الكهف: من ٦٥ إلى ٨٢.

(٥) سورة الزمر: ٤٢.

(٦) سورة السجدة: ١١.

(٧) سورة الأنفال: ٥٠.

والآيات التي تنسب الإضلال تارة إلى الله تعالى فقال: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾[١]. وأخرى إلى إبليس فقال: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[٢].

وثالثة إلى العباد فقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾[٣]. وقال: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٤].

وأنت إذا كنت ذا قلب متنور بنور فهم القرآن بعد تطهيره من أرجاس التعلق بالطبيعة فـ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٥] لوجدت هذه اللطيفة في آيات لا يمسها العامة فهذا قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦] قصر جميع المحامد عليه تعالى وأرجع كل محمدة إليه فلولا أن كل كمال وجمال كماله وجماله بالذات وبحسب الحقيقة لم يكن وجه لصحة هذا القصر ولو أضفت إلى ذلك ما عند أهل المعرفة من أن قوله ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ متعلقٌ بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ترى أن المحامد من كل حامد إنما يقع باسم الله، فباسمه يكون كل حمد لله تعالى فهو الحامد والمحمود.

هذه شمةٌ من الآيات ذكرناها أنموذجة لغير ما ذكر.

«الروايات»:

وأما الروايات من طريق أهل بيت الوحي والتنزيل عليهم السلام فكثيرة جدا، جمع المحقق البارع الداماد ـ جزاه الله عن الحقيقة خيرا ـ شطراً منها[٧] فقال في آخر الإيقاظ الرابع من الإيقاظات:

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٢) سورة القصص: ١٥.

(٣) سورة طه:: ٧٩.

(٤) سورة طه: ٨٥.

(٥) سورة الواقعة:٧٧ ـ ٧٩.

(٦) سورة الفاتحة:٢.

(٧) الإيقاضات، الإيقاض الرابع، ضمن القبسات: ص ٩٤ ـ ١٣٣ الميرداماد.

«وإذ أحاديث هذا الباب كثيرة وفيما أوردناه كفاية للمتبصر، فلنكتف الآن بما حواه هذا الإيقاظ، وذلك اثنان وتسعون حديثا» انتهى.

فمن شاء فليرجع إليها وإلى الكتب الناقلة لأحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام.

فالآن نتبرك بذكر رواية صحيحة منها هي ما رواه الشيخ الكليني في جامعه (الكافي) عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام قال الله عز وجل:

«يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي أديت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعا بصيرا قويا ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[١] وذلك (وذاك) أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني وذاك أنني لا اسأل عما أفعل وهم يسألون[٢].

ولقد شرحنا هذا الحديث شرحاً وافيا في الأربعين[٣].

وأنت إذا تأملت ما تقدم منا ترى أن الروايات الشريفة متوافقة المضمون غير متعارضة الحقيقة وإن كان الجاهل يزعم الاختلاف فلا منافاة بين قول أبي عبد الله عليه السلام في رواية أبي بصير: «من زعم أن الخير والشر إليه فقد كذب على الله»[٤] وقوله عليه السلام «من زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله عن سلطانه».[٥]

---

(١) سورة النساء: ٧٩.

(٢) أصول الكافي ج١، باب المشيئة والإرادة ح٦.

(٣) الأربعون حديثاً، ح٣٥، ص ٦٥٨.

(٤) أصول الكافي ج١، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين ح٦.

(٥) أصول الكافي (نفس المصدر السابق ح٦) / التوحيد، باب نفي الجبر والتفويض ح٢، وفي المصدر (من سلطانه).

وكذا بين ما ورد «أن الشر ليس إليه والخير بيديه»[١] وما ورد من أن الخيرات والشرور كلها مما أجرى الله تعالى على يدي العباد[٢] إلى غير ذلك][٣].

سلطنة الحق على الأمر والخلق:

لاشك ولاريب أن كل ما في الوجود هو تحت السيطرة الإلهية والقوة القاهرية لله تبارك وتعالى فلا أحد ينازعه فيما يريد وما يأمر، فهو القادر القاهر القهار، فلا أحد ينازعه في ملكه له الأمر والخلق.

[هو غالبٌ على كل الأشياء قاهر عليها، وجميع سلسلة الوجود مسخرٌ بأمره: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[٤]، مقهور تحت قهاريته بلا عصيان، مخذولٌ تحت قدرته بلا طغيان؛ وله السلطنة المطلقة والمالكية التامة والغلبة على الأمر والخلق؛ وحركة كل دابة بتسخيره، وفعل كل فاعل بأمره وتدبيره][٥].

القرآن ونفي إستقلال الموجودات:

قد يتوهم من بعض الآيات أنها في صدد نفي أفعال النبي ﷺ وما يأتي به من آيات ومعجزات، بينما هي في بيان أمر آخر يثبت مراتب التوحيد الراقية وهي بأن لا أحد مؤثر في الوجود على نحو الإستقلال ودون حاجة لله تبارك وتعالى، بل لابد لله من الإمداد الإلهي ليتم ما يريد، فإن لم يأته الإمداد فلا يتحقق ما يرمو إليه.

[آية ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾[٦] لا تريد أن تنفي المعجزات التي هي آية النبوة وآية صدق النبي ﷺ بل هي في صدد إسماع العالمين إحدى آيات التوحيد وقدرة خالق العالم بأن لا أحد يملك القيام بأي عملٍ على نحو

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٠٢/ كنز العمال ج١١: ص ٤٣٤.

(٢) أصول الكافي ج١ ـ باب الخير والشر ـ.

(٣) الطلب والإرادة ص ٤٢ ـ ٤٦.

(٤) سورة هود: ٥٦.

(٥) شرح دعاء السحر ص ٩٣.

(٦) سورة الأعراف: ١٨٨.

الإستقلال ولا يمكن لأحد أن ينفذ شيئاً من نفسه من دون إمداد غيبي وإستناد إلى الله تعالى. والأنبياء عليهم السلام الذين هم مثل الإنسان الأعلى هم أيضاً لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً... المضار والمنافع التي تلحق العالمين إنما هي بتقديرات إلهية ويد القدرة الإلهية التي لا تُرى، حيث أن مالك النفع والضر بالإستقلال هو. وإذا حوّل موسى العصا ثعبانا وأبرز للعالم يداً بيضاء فهذا ليس من آثار قدرته. وإذا أحيى عيسى الأموات وشفى العميان فهذا ليس من قدرته هو، وإذا شق الرسول صلى الله عليه وآله القمر كما دلت عليه الآية الشريفة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[1] فذلك بالقدرة الإلهية غير المتناهية لا قدرته الذاتية. وكل بشري أوحى الله إليه قد أعطي بإذن الله وقدرة الله إتيان الأعمال العظيمة التي يعجز عنها البشر][2].

---

(١) سورة القمر: ١.

(٢) كشف الأسرار ص ٧٠ ـ ٧١.

خلاصة الدرس التاسع:

١ـ الحق في المسألة هو لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين.

٢ـ مذهب الأمر بين الأمرين مؤيد من الآيات والروايات.

٣ـ القرآن ينفي استقلالية الموجودات في أفعالهم وتصرفاتهم بل في وجودهم أيضا.

???

اسئلة حول الدرس:

١ـ ما هو المذهب الحق في مسألة الجبر والتفويض؟ وما هو معناه باختصار؟

٢ـ بين شرك التفويضي وكفر الجبري.

٣ـ كيف تفسر استناد الأفعال لله عز وجل؟ وهل يستلزم من ذلك الجبر أو النقص لله عز وجل؟

المطالعة

❖ منزل زعيم بلد الخمسين مليونا:

خلال إقامته في باريس، كان الإمام يعيش في منزل صغير مساحته (٦٠) مترا مربعا ثم سكن في «مدرسة علوي» في بداية عودته إلى طهران، ثم في بيت ذي طابق واحد يشتمل على بضع غرف صغيرة في قم، ثم سكن في بيت بسيط استأجره في منطقة جمران، وقد زاره مراسل وكالة رويتر ووصفه بقوله: إن المنزل الذي زرته هو محل إقامة زعيم بلد يتجاوز عدد نفوسه الخمسين مليونا، والمنزل بسيط وبسيط للغاية، فيه غرفة واحدة عزل قسم منها بستارة لتكون غرفة نوم (الإمام) الخميني، ووضع في القسم الآخر منها كرسي مغطى بقطعة قماش بيضاء، وهذا هو أهم أثاث المنزل، على رفوف المنزل تجد نسخة من القرآن الكريم ومرآة، ومجموعة من الكتب، وجهازي مذياع وتلفاز.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٦٠

القضاء والقدر

القضاء والقدر من الأبحاث التي تطرح ضمن أبحاث الأفعال الإلهية، ولما له من منافع جمة وآثار إيجابية تعود على الحياة العملية للإنسان، كما أن الخلاف العظيم الذي وقع في تفصيلاته أعطاه ميزة أخرى وأهمية مرموقة في الأوساط العلمية بين الفلاسفة والمتكلمين.

فائدة:

مراتب القضاء والقدر في النشآت المختلفة:

[اعلم أن للقضاء والقدر مراتب، تختلف الأحكام فيها بحسب تلك المراتب والنشآت: منها: مرتبة الحقائق التي تقدر في حضرة العلم بالتجلي بالفيض الأقدس، تبعا لظهور الأسماء والصفات، ثم تقدر وتثبت في الأقلام والألواح العالية بحسب الظهور بالتجلي الفعلي، ولا تحدث في هذه المراتب تغييرات وتبديلات. فالقضاء الحتمي الذي لا يبدل هو الحقائق المجردة الواقعة في حضرات الأعيان والنشأة العلمية النازلة في الأقلام والألواح المجردة.

وبعد ذلك (الخيال المنفصل) و(خيال الكل) وهو الذي يسميه الحكماء الإشراقيون (عالم المثل المعلقة) وفي هذا العالم تكون التغييرات والإختلافات ممكنة الوقوع في تلك الحقائق بل أنها لابد أن تقع.

وتلي ذلك، التقديرات والحسابات التي تجريها الملائكة الموكلة بعالم الطبيعة، فللقدر في هذا اللوح تغييرات دائمية وتبدّلات مستمرة، بل إنه يكون عبارة عن صورة سيالة وحقيقة متصرمة ومتدرجة. فالحقائق في هذا اللوح تتعرض للشدة والضعف، والحركات للسرعة والبطء والزيادة والنقصان.

ومع ذلك فإن الوجهة الإلهية والجنبة الغيبية لنفس هذه الأشياء، والتي هي جهة التدلي إلى الحق وصورة ظهور الفيض المنبسط والظل الممدود، وحقيقة العلم الفعلي للحق تكون ثابتة ولا مجال للتغيير والتبديل فيها أبدا][١].

وقوع التغييرات والتبديلات في لوح القدر العيني:

لماذا هذا البحث؟ وقع الكلام في هل أن الله عز وجل يغير ويبدل في القدر أم لا؟

إن نفي التغيير والتبديل يحد من قدرة الله عز وجل، بينما إثبات التغيير في القدر يثبت له القدرة المطلقة، ولا يستلزم الجهل أو الاحتياج، وقد مر في بحث البداء بيان ذلك.

ذكر السيد الإمام قدس سره فيما سبق وقوع التغييرات والتبديلات في القدر. ولكن متى يقع هذا التغيير والتبديل؟ هل هو في اللوح العلمي وهو عبارة عن العلم الذي يكون منشأ لحدود ومقاييس الأشياء أم في اللوح العيني الذي هو عبارة عن نفس تعيّن وجود ومقاييس وجود الأشياء من حيث إنتسابها إلى واجب الوجود؟ ذهب مشهور الحكماء للأول (اللوح العلمي)، أما السيد الإمام قدس سره فقد ذهب للثاني (أي أن التغييرات تقع في لوح القدر العيني).

[وخلاصة القول: فالحكماء يعتقدون أن جميع التغييرات والتبديلات وزيادة الآجال وتقدير الأرزاق تقع في لوح (القدر العلمي) وهو (عالم المثال).

وفي رأيي أنها تقع في لوح (القدر العيني) الذي يمثل محلا لنفس التقديرات، وتتم التغييرات والتبديلات بيد الملائكة الموكلة به][٢].

---

(١) آداب الصلاة ص ٤٥٨.

(٢) آداب الصلاة ص ٤٥٩.

التغيير والتبديل في عالم الطبع بيد إمام الزمان ﷺ:

بناء على ما تقدم من إمكان وقوع التبديل والتغيير، فلا مانع من التمسك بما ورد من أن التبديلات والتغييرات تقع في ليلة القدر الشريفة على يد حجة الله تعالى بإرادة الله عز وجل وقدرته، فكيف لا يقع على يديه التغيير وهو قطب رحى الوجود وهو من أهل بيت ورد في حقهم كما في الزيارة الجامعة (المطيعون لله القوامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون بكرامته... وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم..) فحريٌ بنا أن نتعرف ـ ولن ندرك ـ مقامات المعصوم من كلام المعصوم.

[وإستناداً لما تقدم، فليس ما يمنع من وقوع تغييرات وتبديلات في عالم الطبع في مثل ليلة القدر، وهي ليلة التوجه التام للولي الكامل وظهور سلطته الملكوتية بواسطة النفس الشريفة للولي الكامل ﷺ والإمام في كل عصر والقطب في كل زمان عليه السلام، وهو اليوم حضرة بقية الله في الأرضين سيدنا ومولانا وإمامنا وهادينا الحجة بن الحسن العسكري أرواحنا فداه.

فهم يجعلون أيا شاءوا من أجزاء الطبيعة بطيء الحركة وأيا شاءوا منها سريع الحركة، أو يوسعون أي رزق أرادوا ويضيقون أي رزق شاءوا، فهذه الإرادة إرادة الحق وظل وشعاع الإرادة الأزلية وتابعة للأوامر الإلهية، كما هو الحال مع ملائكة الله الذين لا يتصرفون من تلقاء أنفسهم. فتصرفاتهم جميعاً بل وتصرفات ذرات الوجود كافة هي تصرفات إلهية ومن هذه اللطيفة الإلهية الغيبية ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[1]]. [2]

---

(١) سورة هود: ١١٢.

(٢) آداب الصلاة ص ٤٥٩.

الإطلاع على القدر وتكليف الإنسان (وكون الإنسان مكلفا):

لعل من الأمور المهمة العملية هو هذا التساؤل المتبادر لدى الأذهان وهو ألا يكون الإطلاع على أسرار القدر وما سوف يجري وما هي أسبابه مانعاً من أداء التكليف؟ الجواب هو لا طبعاً لأن مجرد العلم بسر قدرٍ ما لا يعني تعطيل الوظيفة الشرعية والأحكام الإلهية لأن تطبيق الأحكام الشرعية هي جزء من القدر الذي له أسرار قد تكون مخفية علينا، يقول الإمام المقدس رضوان الله عليه:

[ليس الإطلاع على سر القدر مانعا عن الدعوة وإجراء أحكام الشريعة فإن ذلك أيضا من سر القدر، فعين العاصي يقتضي العصيان ويقتضي إجراء الحد عليها، وعين النبي يقتضي الدعوة وتبليغ الحجة، فالنبي يبلغ الحجة بمقتضى عينه الثابتة والعاصي يعصي بمقتضى عينه الثابتة ويقتضي عينه إجراء الحدود عليه][١].

القضاء والقدر سر من الأسرار الإلهية:

لقد وقع الخلاف في القدر، فبين مشرق ومغرب، ولكن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام قد بينوا لنا معالم القدر وما هي حقيقته في كثير من المواضع، بخلاف ما اعتقده الآخرون في القدر، فيأتي أمير المؤمنين عليه السلام ويفصح عن شيءٍ من هذه الأسرار.

[ومن تلك العلوم التي تنكشف على قلبك بالإطلاع على المصابيح الماضية يظهر سر من أسرار «القدر». فإن القوم قد يقولون فيه أقوالا لا ترضى، ويذهب كل من مذهب لا يرتضى. وقد ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام خلاف ما توهموا، ونقضت أحاديث المعصومين عليهم السلام ما غزلوا. كما في كتاب التوحيد لشيخنا صدوق الطائفة قدس سره، عن الأصبغ «بن» نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر:

(ألا إن القدر سر من سر الله وستر من ستر الله؛ وحرز من حرز الله؛ مرفوع في حجاب الله؛ مطوي عن خلق الله؛ مختوم بخاتم الله؛ سابق في علم الله؛ وضع

---

(١) تعليقات على شرح فصوص الحكم، نقل عنه عدل الهى از ديدگاه امام خمينى، ص ٦٥.

الله العباد عن علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم؛ لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية، ولا بقدرة الصمدانية؛ ولا بعظمة النورانية، ولا بعزة الوحدانية؛ لأنه بحر زاخر خالص لله تعالى؛ عمقه مابين السماء والأرض؛ عرضه ما بين المشرق والمغرب؛ أسود كالليل الدامس؛ كثير الحيات والحيتان؛ يعلو مرة ويسفل أخرى؛ في قعره شمس تضيء؛ لا ينبغي أن يطلع إليها إلا الله الواحد الفرد؛ فمن تطلع إليها، فقد ضاد الله عزوجل في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن ستره وسره، وباء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير[(١)]))[(٢)].

صدق ولي الله. ولعمر الحبيب، إن في هذا الحديث الذي صدر من مصدر العلم والمعرفة أسرارا لا يبلغ عشرا من أعشارها عقول أصحاب العرفان، فضلا عن أنظارنا القاصرة وأفكارنا الفاترة!...][(٣)] .

---

(١) إشارة إلى الآية ١٦ من سورة الأنفال.

(٢) التوحيد ـ باب ٦٠ ـ حديث ٣٢ ص ٣٧٢.

(٣) مصباح الهداية ـ مصباح ٣٧ ـ ص ٣٢ ـ ٣٣.

خلاصة الدرس العاشر:

١ـ وقوع التغيير في القدر يكون في اللوح العيني.

٢ـ الإطلاع على القدر لا ينافي أداء التكليف.

٣ـ القدر سرٌّ من أسرار الله جل وعلا.

أسئلة حول الدرس:

؟؟؟

١ـ التغيير والتبديل في العالم بيد إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. ألا يستلزم من ذلك التفويض المرفوض؟

٢ـ هل يتنافى الإطلاع على القدر مع أداء التكليف؟

٣ـ حاول أن تستخرج بعض الكلمات القصار من كلام أهل البيت عليهم السلام عن القضاء والقدر. مع حفظها.

المطالعة

❖ **عرف المجاهدين وعشقهم:**

اتصلنا بمكتب الإمام بعيد بدء عمليات «الفتح المبين» المظفرة وطلبنا موعدا لمتطوعي قوات التعبئة الذين سجلوا للإسلام وأمته إفتخار هذا الفتح العظيم، لكي يحظوا بزيارة والدهم الإمام، فتمت الموافقة فورا على تلك الزيارة: وتم إعداد الوسائل اللازمة لنقل جند الإسلام بملابسهم الحربية والأشرطة الخاصة التي يعصبون رؤوسهم بها، من منطقة العمليات إلى حسينية جمران، وفي بداية اللقاء تحدث الأخ محسن الرضائي القائد العام لقوات حرس الثورة فرفع الشكر للإمام على إهتمامه بجند الإسلام ورعايته لهم، وقدم التبريكات لسماحته نيابة عن جميع جند الإسلام بمناسبة الإنتصار العظيم الذي حققته هذه العمليات المظفرة، ثم بدأ الإمام خطابه الذي كان يقطعه باستمرار في بدايته إرتفاع أصوات الحاضرين بالبكاء شوقا وعشقا، لقد طغت حالة ملكوتية عرفانية خاصة على حسينية جمران، سكت الإمام عدة دقائق وهو يتأمل في حماس وحال أولاده المجاهدين، ثم قال: «نحن نفتخر باستنشاق الهواء الذي تستنشقونه...»، وهنا علت أصوات بكاء الحاضرين وهم يسمعون هذه الكلمات المفعمة بروح تواضع هذا العظيم تجاه جند الإسلام، وحقيقة الأمر أن الإمام عرف جيدا جند الإسلام وعشقهم مثلما أنهم عرفوه وعشقوه.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الاجتماعية ص١٨٤ ـ ١٨٥

الباب الثاني: شبهات وردود

<u>الدرس الحادي عشر</u>

شبهات وردود

الخير والشر:

إن حقيقة الخير والشر مخلوقان لله تبارك وتعالى، وهذه الرواية هي أحد الأحاديث المشيرة إلى هذا المعنى، ولكن وقع الخلاف في معناها، فهل نحتاج إلى تأويلها أم لا؟ ذهب المحدث العلامة المجلسي قدس سره للتأويل بينما ناقشه السيد الإمام قدس سره في ذلك، وقال في ما هو نتيجته أننا لا نحتاج للتأويل.

[بالسند المتصل إلى ركن الإسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن محبوب وعلي بن الحكم، عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن مما أوحى الله إلى موسى عليه السلام وأنزل عليه في التوراة: أني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقت الخير وأجريته على يدي من أحب، فطوبى لمن أجريته على يديه، وأنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقت الشر وأجريته على يدي من أريده، فويل لمن أجريته على يديه»[1]...

قوله: (الخير) قال محقق المحدثين المجلسي قدس سره في ذيل هذا الحديث الشريف: (والخير والشر يطلقان على الطاعة والمعصية وعلى أسبابهما ودواعيهما وعلى المخلوقات النافعة كالحبوب والثمار والحيوانات المأكولة والضارة كالسموم والحيات والعقارب وعلى النعم والبلايا. وذهب الأشاعرة إلى أن جميع ذلك من فعله تعالى. والمعتزلة والإمامية خالفوهم في أفعال العباد

---

(١) الكافي، ج١ ـ كتاب التوحيد ـ باب الخير والشر ح١.

وأولوا ما ورد في أنه تعالى خالق الخير والشر بالمعنيين الأخيرين ـ ثم قال ـ وأما الحكماء فأكثرهم يقولون (لا مؤثر في الوجود إلا الله)، وإرادة العبد معدة لإيجاده تعالى الفعل على يده فهي موافقة لمذاهبهم ومذاهب الأشاعرة ويمكن حمله على التقية)[١] انتهى كلامه رفع مقامه.

إن الخير والشر في موارد استعماليهما يكونان بمعنى الكمال والنقص في الذات أو الصفات وفي الوجود وكمالاته، وأن جميع ما هو خير بحسب ذاته، فهو عائد إلى حقيقة الوجود وإذا أطلق على غيره، فهو من أجل الوجود. كما أن الشر بالذات، هو عدم الوجود أو عدم كمال الوجود، وإطلاقه على غير ذلك مثل الموجودات المؤذية والحيوانات الضارة، فإنما هو إطلاق بالعرض والمجاز لا بالذات والحقيقة. ولو تصورنا هذا الموضوع مع مبادئه ومنطلقاته، للزم أن يكون تصديقه ضروريا، رغم وجود البرهان السديد أيضا على ذلك.

وما قاله المحقق المجلسي قدس سره في موضوع «خلق أفعال العباد» من أن الإمامية والمعتزلة قد خالفوا الأشاعرة، وأنهم قد قاموا بتأويل الآيات والأحاديث التي تنسب الخير والشر إلى الحق سبحانه. ففيه بعض الملاحظات: إذ أن مخالفة الإمامية والمعتزلة، للأشاعرة القائلين بالجبر، الذاهبين إلى مسلك مخالف للعقل والبرهان والوجدان، هذه المخالفة تكون صحيحة ولكن لا وجه لتأويل الآيات والأخبار، على مذهب المعتزلة القائلين بالتفويض الذي يكون أسوأ وأشنع من مذهب الأشاعرة.

وكذلك لا يحتاج الشيعة رضوان الله تعالى عليهم، الذين استناروا بنور هداية أهل البيت العظام عليهم السلام، واختاروا بسبب بركة أهل بيت الوحي والعصمة عليهم السلام مسلك الحق الموافق للآيات الكريمة، والبراهين المتقنة والمطابقة مع مذهب العرفاء الشامخين ومسلك أصحاب القلوب، هؤلاء لا يحتاجون إلى تأويل هذه

---

(١) مرآة العقول، ج٢ ـ كتاب التوحيد ـ باب الخير والشر ح١ ص ١٧٢.

الأخبار والآيات الكثيرة، وخاصة التأويل الذي عرضه المحدث المذكور قدس سره والذي يعتبر مرفوضا وغير ممكن. بل إن الإمامية وأئمتهم عليهم السلام، لا يعزلون إرادة الحق سبحانه عن أي فعل من أفعال العباد، ولا يرون تفويض أي أمر من الأشياء إلى العباد.

وأما ما ذكره في نهاية كلامه: (أكثر الحكماء يقولون بأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، وهذا يتطابق مع مذهبهم ومذهب الأشاعرة).

فإن هذه الكلمة «لا مؤثر في الوجود إلا الله» صحيحة لدى أكثر الحكماء، بل لدى جميع الحكماء وأهل المعرفة بل يقولون إن من لم يذعن لهذه القضية من الفلاسفة، لم ينفذ نور الحكمة في قلبه، ولم يشعر عمق قلبه بالمعرفة ولكن ليس معناها أن إرادة العبد من الأمور المعدة لإيجاد الحق سبحانه، الفعل في العبد، كما هو واضح لدى أهل العلم والفلسفة.

وقوله (ويوافق مع مذهب الأشاعرة) غير صحيح فإن من الغرابة بمكان عطف مذهب الأشاعرة على مذهب الحكماء، لوجود البعد الشاسع بين مذهب الحكماء ومذهب الأشاعرة، ولا تجد حكيما محققا لم يطعن في مذهب الأشاعرة ولم يخالفه.

وأما ما ذكره (يمكن حمل هذه الأخبار على التقية) فتتوجه نحوه الملاحظات التالية:

أولا: لا مجال لمثل هذا التوجيه، لأن ظواهر الأخبار تتوافق مع مذهب الحق والبرهان القويم.

ثانيا: إن هذه الأخبار تتطابق مع آيات كثيرة من القرآن الكريم، ولا معنى لتوجيه الآيات والأخبار الموافقة لها على التقية.

ثالثا: لا توجد أخبار تتعارض مع هذه الأخبار، حتى نحملها على التقية التي تكون من الموجودات في باب التعارض، إذ يمكن الجمع بينها وبين ما يدل على أن الإنسان فاعل للخير والشر.

رابعا: إن هذه الأخبار تنسجم حسب زعمه مع مذهب الأشاعرة الذي لم يعتنقه الغالب من الناس فلا مسوغ لحمل الأخبار على التقية.

خامسا: إن المرجحات لدى تعارض الخبرين لا تجري على الموضوع الذي نحن فيه من المسائل العقائدية كما هو واضح][1].

إشكال وتوهم:

قد تقدم تأكيد الروايات الشريفة على بطلان الجبر والتفويض وإثبات الأمر بين الأمرين، وهذا حديث آخر يبين المطلوب، وبه تردُّ إشكالات وتوهمات سبق وأن ذكرت ومرت الإجابة عنها ونعيد ذكرها في الشبهات بجواب الإمام الرضا عليه السلام وما استفاده السيد الإمام قدس سره من هذه الرواية.

[بالسند المتصل إلى عماد الإسلام والمسلمين محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: (قال الله يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أديت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعا بصيرا قويا، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أني أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، وذاك أنني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون)[2]...

أشار الإمام الرضا عليه السلام في هذا الحديث الشريف بكل وضوح إلى مسألتي الجبر والتفويض والمذهب الحق وهو الأمر بين الأمرين، والمنزلة بين المنزلتين، الموافق لمسلك أهل المعرفة، وأصحاب القلوب، لأنه أثبت المشيئة والقوة للعبد، وفي نفس الوقت جعلها مشيئة الحق سبحانه. قائلاً: «يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي أديت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي» فلا تنتفي عنك الأفعال والأوصاف والوجودات بصورة مطلقة،

---

(١) الأربعون حديثاً ح ٣٩ ص ٧١٠ ـ ٧١٤، للمزيد راجع المصدر المذكور ص ٧١٥.

(٢) أصول الكافي، ج١ ـ كتاب التوحيد ـ باب المشيئة والإرادة ح٦.

كما لا يثبت لك كل تلك الأمور بصورة مطلقة. إنك شئت، ومشيئتك قد فنيت فيّ ومشيئتك مظهر مشيئتي وتعينك مظهر تعيني. وتنهض بقوتك على طاعتي ومعصيتي، مع العلم بأن قوتك وقدرتك مظهر قدرتي وقوتي.

ولما كان هناك توهم إشكال واعتراض: وهو أنه بناءاً على هذا العرض المذكور تنسب إلى الحق المتعالي النقائص والرذائل والمعاصي أيضاً كما تنسب الكمالات والفضائل.

أجاب ﷺ على هذا الزعم على أساس فلسفي برهاني وذوقي عرفاني، من أن الحق عز وجل لما كان كمالا صرفاً وخيراً محضاً وعين الجمال والبهاء، كانت الكمالات والخيرات من ناحيته، بل إن نظام الوجود حقيقته في عالم الغيب والشهود، عين الكمال وأصل الجمال والتمام. وما يعود إلى النقص والرذيلة والشر والوبال فهو عائدٌ إلى العدم والتعين ومن لوازم الماهية. غير مجعول ومفاض من الحق سبحانه. بل إن الشرور الحاصلة في عالم الطبيعة وهذه النشأة الملكية الضيقة نتيجة التضاد بين الموجودات، وضيق هذا العالم، وإن التضاد بين الكائنات لا يكون مجعولاً. فما هو من الخيرات والكمالات والحسنات فمن الحق، وما هو نقص وشر ومعصية فمن الخلق. كما قال ﷺ: «ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك».

إذن إن جميع أنواع السعادة الدنيوية والأخروية، وجميع أنواع الخير المُلكية والملكوتية قد أفيضت من ينبوع الخير والسعادة. وإن كافة أنواع الشقاء الدنيوي والأخروي وشرور هذا العالم والعوالم الأخر من القصور الذاتي للموجودات ونقصها. وما هو المعروف أن السعادة والشقاء لا يكونان مجعولين بجعل الجاعل، بل أنهما ذاتيّ الأشياء، فلا أساس له بالنسبة إلى السعادة لأنها مجعولةٌ ومفاضة من قبل الحق المتعال، إذ أن كل ذاتٍ من الذوات أو ماهيةٍ من الماهيات لا يكون سعيداً بل هو هلاكٌ محض.

وأما بالنسبة إلى الشقاء، فلأن الشقاء التام راجعٌ إلى حيثية الماهية وهي غير مجعولة، لا لأنها ذاتية بل لأنها أدون من مرتبة الجعل، فلا يتعلق بها الجعل. وأما الحديث المعروف «السعيد سعيدٌ في بطن أمه، والشقي شقيٌ في بطن أمه»[١] فله معنىً آخر يعود إلى العلم بالأسماء والصفات ولا يناسب المقام ذكره][٢].

إشكال:

قد تكرر هذا الإشكال بصياغاتٍ متعددة وقد مر الجواب عليه مفصلاً، ونعيده بصياغة أخرى بقلم السيد الإمام قدس سره.

[وبعد هذا البيان الصحيح المستدل[٣] نواجه شبهةً مظنونة أخرى وهي أننا حسب البيان المذكور عزلنا الكائنات الموجودة عن الخير والسعادة، عندما ربطناها بالحق المتعالي وهذا من الجبر المرفوض. وجعلنا الشر والشقاء من الإنسان وعزلناها عن القدرة الواجبة وهذا من التفويض المستنكر، وذاك الرفض وهذا الإستنكار ثابتان على مذهب العرفاء وعلى ضوء الأدلة الفلسفية فكيف يتم التوفيق بين الكلام السابق وما يلازمه من الجبر أو التفويض؟

فأجاب الإمام قدس سره حسب الدليل المذكور في الكلام الذي قلناه. وتحقيق ذلك أنَّ الحق المتعال أولى بالحسنات من العباد وهم أولى بالسيئات من الذات المقدس للحق، وفي إثبات هاتين الأولويتين، إثبات الانتساب إلى الطرفين.

أما بيان أولوية الحق سبحانه في الخير من عباده، فلأجل أن نسبة الخير إلى مبدإ المبادئ نسبة وجودية بالذات، فإن الخير ذاتي الوجود وهو في الواجب عين الذات، وفي الممكن بالجعل والإفاضة، وعليه يكون مصدر إفاضة الخير

---

(١) التوحيد، باب السعادة والشقاوة ح٣.

(٢) الأربعون حديثاً ح ٣٥، ص ٦٥٨ ـ ٦٦٢.

(٣) البيان المتقدم.

من الواجب تعالى، ولكن مرآة ظهوره، ومظهره يكون الممكن. وتلك النسبة الظاهرية والمفيضة، أتم من هذه النسبة المظهرية والقابلية.

وأما في السيئات والشرور فيكون الأمر معكوساً رغم صحة الانتساب إلى الطرفين لأن ما يفاض من الحق يكون خيراً، ويلازمه تخلل الشر على أساس الانجرار والتبعية فتكون نسبة الشر إلى الحق بالعرض وإلى الماهية بالذات لنقصانها وقصورها.

وقد تولت الآية الكريمة بيان هاتين النسبتين. فعندما تتحكم الوحدة وتتلاشى الكثرات والنقائص يقول سبحانه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ﴾[1] ولدى مراعاة الكثرات بالعرض والوسائط يقول عز وجل: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾[2]][3].

وجود الشرور والنواقص والبلايا في العالم:

إن وجود كل هذه الشرور، والإخترام (الموت المبكر) والهلاك والأمراض والحوادث الغريبة المهلكة والحيوانات المؤذية والكوارث الطبيعية (أمثال السيل والزلزلة) وغير ذلك من المصائب والمتاعب الإجتماعية (أمثال الحروب وألوان الظلم المختلفة) وغير ذلك من المصائب والآلام الموجودة في هذا العالم المادي الطبيعي، كيف يتلاءم هذا كله مع العدل الإلهي؟

الجواب: في الواقع أن مثل هذه الأمور التي تحدث في هذا العالم المادي الطبيعي، وفي هذه الهاوية الضيقة المظلمة، إنما تنشأ من التضاد والتزاحم والاصطدام الحاصل بين الموجودات، هذا التضاد الحاصل من جراء نقص هذه النشأة وضيق المحل والمقر للموجودات.

---

(١) سورة النساء: ٧٨.

(٢) سورة النساء: ٧٩.

(٣) الأربعون حديثاً ح ٣٥، ص ٦٦٢ ـ ٦٦٣.

وإن الكمال والخير في الحقيقة مجعولٌ ومتعلق أولاً وبالذات لله تبارك وتعالى، وإن تخلل الشرور والمضار وغيرها في القضاء الإلهي يكون ثانياً وبالعرض والتبع والإنجرار. وقد أشارت الآية الكريمة التالية في القرآن الكريم ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ إلى المعنى الأول ـ (أن الله تبارك وتعالى مصدر الخير والكمال وأنهما منسوبين ومجعولين إليه عز وجل بالذات، وأشارت الآية الكريمة ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ إلى المعنى الثاني ـ (وهو أن الشرور والنقائص مجعولة ومنسوبة إلى الله تبارك وتعالى بالتبع والعرض)، ووردت في الآيات الشريفة وأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام إشارات كثيرة إلى هذين الاعتبارين، ومن تلك الأخبار هذا الحديث الشريف الذي يحتوي على هذه الجملة (خلقت الخلق وخلقت الشر)][1].

[إذن إن جميع أنواع السعادة الدنيوية والأخروية، وجميع أنواع الخير المُلكية والملكوتية قد أفيضت من ينبوع الخير والسعادة. وإن كافة أنواع الشقاء الدنيوي والأخروي وشرور هذا العالم والعوالم الأخر من القصور الذاتي للموجودات ونقصها][2].

مفهوم البلاء وأنواعه:

إن البحث في البلاء من الأبحاث المثمرة العملية، وذلك لما له من بالغ الأثر على الحياة البشرية، بل لتحديد المصير في كثير من الأحيان، فعندما يعتقد المكلف بأن البلاء امتحان يثاب على الصبر عليه ويعاقب على الجزع والإعتراض، ويربط كل ما يحصل له من مشاكل وهموم بالقدر الإلهي وتكون لديه علاقة غيبية مع الله تبارك وتعالى، مع ضميمة اطلاعه على الآثار التربوية للبلاء، فإن كل ذلك يساعده في حل كثير من مشاكله، ويزيده علاقةً بالله وقرباً منه عز وجل، فلا يكون قاصر النظر على الماديات التي هي من أهم مشاكل هذا العالم المملوء بالتزاحم والمزاحمات، بل يكون بعيد المدى، واسع

---

(١) الأربعون حديثاً ح ٣٩، ص ٧١٦ ـ ٧١٧ بتصرف.

(٢) الأربعون حديثاً، ح ٣٥ ص ٦٦٢.

الأفق، هذا بالإضافة إلى أن البلاء أحد الطرق الناجحة للسير نحو الله تعالى وصعود سلم الدرجات الراقية في معرفة الله ونيل الحظ الوافر من التوحيد العملي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلو كان الإعتقاد على عكس ذلك لكانت نتائجه معكوسة تماماً من العقاب وخلق المشاكل الإضافية وانحطاط الدرجات وقلة المعرفة وغيرها.

[بِسَنَدِنَا المُتَّصِلِ إلى سُلْطانِ المُحَدِّثينَ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الكُلَيْنيِّ قدس سره عَنْ عَليِّ بْنِ إبْراهيمَ، عَنْ أبيه، عَنْ ابْنِ مَحْبُوب، عَنْ سَماعَةَ، عَنْ أبي عَبْدِ الله عليه السلام قالَ: إنَّ في كتاب عَليٍّ عليه السلام: «إنَّ أَشَدَّ النّاسِ بَلاءً النَّبِيُّونَ ثُمَّ الوَصِيُّونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ وَإنَّما يُبْتَلَى المُؤْمِنُ عَلى قَدرِ أَعْماله الحَسَنَة، فَمَنْ صَحَّ دينُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، اشْتَدَّ بَلاؤُه وَذلكَ أَنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيا ثَواباً لِمُؤْمِنٍ وَلا عُقُوبَةً لكافِرٍ وَمَنْ سَخُفَ دينُهُ وَضَعُفَ عَقْلُهُ، قَلَّ بَلاؤُهُ وَإنَّ البَلاء أَسْرَعُ إلَى المُؤْمِنِ التَّقِيِّ مِنَ الْمَطَرِ إلى (قَرارِ) الأَرْضِ» [١]...

... إن «البلاء» هو الإختبار والإمتحان، في الحسن والقبح. كما صرح بذلك أهل اللغة. يقول الجوهري في الصحاح: (والبلاء الاختيار يكون بالخير والشر، يقال أبلاه الله بلاء حسنا وابتلاه معروفا)[٢] ويقول الحق المتعال: ﴿بَلاء حَسَناً﴾[٣] وعلى أي حال إن كل ما يمتحن به الحق جل جلاله عباده يدعى بلاءً أو ابتلاءً سواءً كان بالأمراض والأسقام والفقر والذل وإدبار الدنيا أم بما يقابل هذه الأمور، كأن يُختبر بكثرة الجاه والاقتدار والمال والمنال وبالزعامة والعزّة والعظمة.

ولكن متى ما ذكر البلاء أو البلية أو الابتلاء بصورة مطلقة انصرف وانسبق إلى الذهن من اللفظ، البلاء من القسم الأول..... إن بعث الرسل ونشر الكتب

---

(١) أصول الكافي ج٢، كتاب الإيمان والكفر ـ باب شدة ابتلاء المؤمن ـ ح٢٩.

(٢) الصحاح الجواهري، باب الواو والياء ـ فصل الباء مادة (بلا).

(٣) سورة الأنفال: ١٧.

السماوية لغربلة الناس، ولفصل الأشقياء عن السعداء، والمطيعين من العاصين. ومعنى امتحان الحق المتعالي للناس واختبارهم هو الفصل الحقيقي الواقعي على صعيد الخارج للناس بعضهم عن بعض، لا العلم بالفصل، لأن علم الحق جل جلاله أزلي ومتعلق ومحيط بكل شيء قبل إيجاده.

والحكماء قد أسهبوا الحديث في معنى الإبتلاء والإمتحان. ولا يتناسب نقله في هذا الكتاب. فنتيجة الإختبار بصورة مطلقة ـ ورغم أن الأمرين المذكورين من أهم نتائجه ـ هو فصل السعيد عن الشقي على صعيد الخارج الواقعي][١] .

---

(١) الأربعون حديثاً ح ١٥، ص ٢٨٦، للتفصيل راجع الأربعون ح١٥.

خلاصة الدرس الحادي عشر:

١ـ ينسب الخير لله أولاً وبالذات وللعبد ثانياً وبالعرض، كما ينسب الشر للعبد أولاً وبالذات ولله ثانياً وبالعرض.

٢ـ إن نسبة الخير والسعادة لله عز وجل لا يستلزم منها الجبر المرفوض، كما أن نسبة الشر والشقاء للعبد لا يستلزم منها التفويض المرفوض.

٣ـ وجود الشرور والنقائص والبلايا لا يتنافى مع الحكمة والعدل الإلهيين.

???

أسئلة حول الدرس:

١ـ بين كيفية نسبة الخير لله عز وجل، ونسبة الشر للعبد.

٢ـ (نسبة الخير لله عز وجل تستلزم الجبر المرفوض) كيف ترد هذا الإشكال بالإستعانة بكلام السيد الإمام قدس سره؟

٣ـ كيف ترد الإشكال القائل بأن البلايا والمصائب تتنافى مع العدل الإلهي؟

للمطالعة

❖ ظهر التأثر على وجهه الملكوتي:

ذهب أحد السادة لتفقد مدينة «مسجد سليمان» (جنوبي ايران) إثر القصف الصاروخي الصدامي لها، ولما عاد أخبر الإمام بما نقله له إمام جمعة هذه المدينة، فقال: إثر إصابة أحد الصواريخ العراقية للمدينة والذي أدى الى استشهاد وجرح عدد من الأهالي، بدأت عمليات إخراج الضحايا من تحت الإنقاض وبعد عدة ساعات تم العثور على طفل صغير بقي حياً تحت الأنقاض بصورة عجيبة واستثنائية، كان قد أصيب بعدة جروح وقد علاه الغبار، وكان أول ما قاله عندما فتح عينيه وشاهد مجاميع الإنقاذ حوله هو: حرب، حرب حتى النصر، اللهم إحفظ لنا الخميني إلى ظهور المهدي!

كان الإمام يستمع بدقة للتقرير وهو ينظر إلى المتحدث، وعندما وصل الكلام إلى ما قاله هذا الطفل ظهر التأثر الشديد على وجه الإمام رغم أنه كان يتميز بأن ملامح الصمود والسكينة والعزم الراسخ تغطي أي تأثر داخلي يعتلج في صدره، لقد ظهر التأثر على وجهه الملكوتي وتجمع الدمع حول عينيه، فأطرق بنظره إلى الأرض وأغلق عينيه.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الاجتماعية ص ١٤٥ ـ ١٤٦

الفصل الثالث

النبوة

- الباب الأول: النبوة العامة
- الباب الثاني: النبوة الخاصة

الباب الأول: النبوة العامة

<u>الدرس الثاني عشر</u>

النبوة العامة

بعدما أثبتنا التوحيد والصفات الإلهية يتحتم علينا الأخذ بلوازم ذلك وما يترتب عليه من آثار وتكاليف، فمن أهم آثاره هذان الأثران:

١ـ كيفية شكر المنعم.

٢ـ السعي نحو الكمال.

ولتحقيق كلا هذين الهدفين لابد من وضوح الطريق والسبيل لذلك، وبما أن الإنسان قاصر عن معرفة السبيل فيحتاج إلى من يوصله ويأخذ بيده لنهاية المطاف، فتحديد العلاج من قبل الحكيم العالم، فمقتضى حكمته ولطفه إرسال الأنبياء والسفراء الإلهيين لإيصال الشريعة المقدسة فقد أشار السيد الإمام قدس سره إلى هذا المعنى في مقام الحصول على نتائج من بحث آخر:

[الأولى: هي أن الشريعة ـ وهي الوصفة الخاصة بإصلاح الأمراض النفسية ـ لا توجد إلاّ عند ذات الحق المقدس.

والثانية: هي أن الله تعالى يعلنها ـ الشريعة ـ حتماً. ومعلوم أن مثل هذا الهدف العظيم، وهذا العلم الكامل الدقيق الذي يعجز عن إدراكه أعقل العقلاء، الذي يربط بين المُلك والملكوت وتأثير الصور الملكية في باطن النفس، لا يقع لأحد إلاّ عن طريق الوحي والإلهام. أي يجب أن يكون تعليمه من جانب الحق تعالى. وبديهي، أن جميع أفراد البشر ليسوا خليقين بمثل هذه الهبة، وليست لهم القابلية والقدرة على القيام بمثل هذه المهمة. ولكن يظهر خلال بضعة قرون من يكون جديراً بالاضطلاع بمثل هذا الواجب وتحقيق مثل هذا الهدف العظيم،

فيبعثه الحق تعالى ليبيّن للناس الطريق إلى السعادة والطريق إلى الشقاء، وليعلم الناس كيف يصلحون أنفسهم. وهذه هي النبوة العامة][1].

تعريف النبي:

قبل الكلام في تفاصيل النبوة وخصائصها ينبغي لنا تعريف النبي وتحديد المعيار في كون هذا نبي أو ليس بنبي، فالمعيار هو التنصيب الإلهي وليس نزول الملائكة وعدم نزولها.

[معنى النبوة والرسالة إن الله يختار شخصا لتأسيس الشريعة وتبليغ الناس الأحكام والتشريعات من خلال ما يأتيه بواسطة الملائكة أو بدون واسطة وكل من كان كذلك فهو نبي أي هو المأمور بالتبليغ سواء نزلت عليه الملائكة أم لم تنزل ومن ليس كذلك فليس بنبي سواء رأى الملائكة أم لم يرها فلا ربط إذن بين النبوة وبين رؤية الملائكة][2].

الحاجة للأنبياء:

إرسال الرسل وإنزال الكتب من الأمور الفطرية:

الفطرة من الأدلة التي يمكن الإعتماد عليها في كثير من العقائد الرئيسة، بل نستطيع القول بأن أغلب الإعتقادات ترجع في بعض أدلتها إلى الفطرة، فبعضها من الفطرة وبعضها الآخر من لوازم الفطرة، ومن هذه الإعتقادات الحاجة للأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، يقول إمام الأمة قدس سره:

[... لابد أن نعرف أن من أنواع الفطرة الإلهية ما يكون على (أصل وجود المبدأ) تعالى وتقدس ومنها الفطرة على التوحيد وأخرى على استجماع ذات الله المقدسة لجميع الكمالات وأخرى على المعاد ويوم القيامة وأخرى على

---

(١) الأربعون حديثاً ح ١٢، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) كشف الأسرار ص ١٣١.

النبوة ووجود الملائكة والروحانيين وإنزال الكتب وإعلان طريق الهداية. وهذه الأمور بعضها من الفطرة وبعضها من لوازم الفطرة][1].

انطباق تعاليم الأنبياء مع فطرة الإنسان:

يمر الإنسان في بعض الأحقاب على حالات قد يفقد فطرته بل يقتلها لعوامل نفسية واجتماعية وغيرها، فيفقد الصواب ويصعب عليه الوصول لما يربو إليه من كمال وسعادة، فيحتاج لمن يذكره ما يوافق الفطرة السليمة ويعينه على رفع الحجب والمصاعب للوصول للهدف والغاية، وهذا ما قد أتى به الأنبياء ﷺ فهم خير معين ونعم السبيل للوصول فإنهم لا يأتون بشيء يخالف الفطرة السليمة. لنتمعن فيما يقوله السيد الإمام قدس سره في هذا المقام:

[ثم إن الله تعالى لم يترك الإنسان بفطرته؛ لعلمه تعالى بأنه سيحجب عن الفطرة المخمورة بابتلاءه بالقوى الحيوانية الشهوية والغضبية والقوة الوهمية الشيطانية، وهذه القوى معه منذ فطره؛ لاحتياجه إليها في عيشه وبقاءه شخصا ونوعا، وفي رقاه وسيره وسلوكه إلى الله تعالى، لكن الحنين الجبلي إليها حجبه عن فطرته ومنعه عن سيره، فبعث الله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين تكون أحكامهم على طبق مقتضى الفطرة لرفع الحجب عنها وإعانتها في سيره وسلوكه.

فأحكامهم إما على مقتضى الفطرة الأصلية ابتداءً أو مع الواسطة كالدعوة إلى الله ومعارفه وأسماءه وصفاته وإلى فضائل النفس وكمالاتها وكالصلاة التي هي معراج المؤمن إلى الله تعالى والحج الذي هو الوفود إليه تعالى وأشباهها، أو مقتضى الفطرة التابعة كالزجر عن الكفر والشرك وعبادة الأوثان والتوجه إلى غيره وعن الأخلاق الذميمة والأفعال القبيحة مما تمنع النفس عن الوصول إلى الله والأمر بالتقوى والصوم الذي هو تقوى النفس ويكون لله وهو جزاؤه.

---

(١) الأربعون حديثاً ح ١١، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

وبالجملة: جل أحكام الله تعالى مطابق لمقتضى الفطرة أي مربوط برفع حجبها وإحياء مقتضاها. والمقصود الأصلي والمقصد الأسنى هو المعرفة والوصول إلى باب الله تعالى، كل ذلك من عناياته تعالى على عباده، لتخلصهم عن سجن الطبيعة وإرجاعهم إلى مأوى المقربين ومقر المخلصين. فالتكاليف ألطاف إلهية وأدوية ربانية لعلاج الأرواح المريضة والقلوب العليلة، والأنبياء عليهم السلام أطباء النفوس ومربي الأرواح ومخرجها من الظلمات إلى النور ومن النقص إلى الكمال][١].

الأنبياء، لإخضاع النفس الإنسانية لقانون العقل والشرع:

كما أن ما يأتي به الأنبياء عليهم السلام هو موافق للفطرة فهو موافق للعقل، وتتمثل الحاجة للأنبياء عليهم السلام لإخضاع الإنسان للقوانين العقلية والأوامر الإلهية فيكونوا صمام أمان للنفس الإنسانية من الإنفلات والتمادي في غيها وعدم إطلاق العنان لقواها الشهوانية والشيطانية السيئة.

[لقد جاء الأنبياء عليهم السلام وأتوا بقوانين، وأنزلت عليهم الكتب السماوية من أجل الحيلولة دون الإنفلات والإفراط في الطبائع، ومن أجل إخضاع النفس الإنسانية لقانون العقل والشرع وترويضها وتأديبها حتى لا يخرج تعاملها عن حدود العقل والشرع][٢].

(١) الطلب والإرادة ص ٨٧ـ ٨٨.

(٢) الأربعون حديثاً ح ١، ص ٤٥.

خلاصة الدرس الثاني عشر:

ـ الشريعة ـ وهي الوصفة الخاصة بإصلاح الأمراض النفسية ـ لا توجد إلا عند الله تبارك وتعالى.

ـ لابد للمولى عز وجل أن يعلن الشريعة عن طريق الوحي والإلهام أي يجب أن يكون تعليمها من جانب الحق تبارك وتعالى.

ـ معنى النبوة والرسالة: هو أن الله يختار شخصا لتأسيس الشريعة وتبليغ الناس الأحكام والتشريعات من خلال ما يأتيه سواءاً كان ذلك بواسطة الملائكة أم من دون واسطتهم.

ـ تعاليم الأنبياء عليهم السلام موافقة للعقل الفطري السليم.

???

اسئلة حول الدرس:

١ ـ عرف النبوة مع ذكر المعيار في تحديد النبي؟

٢ ـ هل يمكننا الاستناد إلى الفطرة في إثبات النبوة؟

٣ ـ ورد في كلام الإمام الخميني رضوان الله عليه العبارة التالية:

«جلُّ أحكام الله تعالى مطابق لمقتضى الفطرة». بالإستفادة من كلام الإمام رضوان الله عليه بيّن المراد من هذه العبارة.

للمطالعة

❖ نحن نعمل بتكليفنا الشرعي:

كنت في باريس فجاءني بعض الناصحين يقولون إن الظروف اختلفت، فلا بد من التخفيف شيئاً ما. فقلت: لدينا تكليفٌ شرعي، نعمل به ولسنا مقيدين بضرورة أن نصل إلى نتيجة لأننا لا ندري هل نقدر على تحقيقها أم لا. لكن لدينا تكليف ونحن نعمل بتكليفنا. هكذا أرى بأنه يجب علينا القيام بهذا العمل. فإن تحقق ما نصبو إليه نكون قد قمنا بتكليفنا ووصلنا إلى مرامنا، وإلا نكون قد قمنا بما علينا. وإن لم نستطع فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يستطع أيضاً لكنه عمل بتكليفه ولكنهم واجهوه، وقف أصحابه في وجهه فلم يصل إلى هدفه. هذا ليس شيئاً مهماً. نحن نعمل قدر ما نستطيع.

الإمام في كلام الإمام ص٧٢

الدرس الثالث عشر

طريق إثبات النبوة (معرفة النبي)

(المعجزة)

تعريف المعجزة:

لغة تعني الدليل والعلامة، وكما هو المتعارف لدى العقلاء أن من ادعى دعوى يجب عليه تقديم الدليل لإثبات صحة مدعاه إلا إذا كان بديهياً، وحيث أن ادعاء شخص للنبوة ليس من البديهيات بل من الأمور التي لابد من إثباتها بدليل، فعلى من يدعي النبوة تقديم ما يدل على صدق المدعى وهو ما يطلق عليه في علم الكلام بـ (المعجزة) فلنرى ما هو تعريفها وكيفية إثباتها.

يقول الإمام العظيم قدس سره:

[هل يمكن لنبوة أن تتم بدون معجزة؟ والمقصود من المعجزة الدليل الذي على أساسه نصدق بأن هذا الشخص المدعي للنبوة لم يأت بكلماته من عقله البشري وأنَّ أقواله وأفكاره من الله الذي خلقنا وخلق العالمين. والذي تجب طاعته بحكم العقل وبمخالفته الضرر في الدنيا والآخرة.

لزوم إظهار المعجزة:

والعقل الفطري الموهوب من الله يحكم بأن قبول كل دعوى بلا دليل وبرهان غير جائز ومن يقبل شيئا بلا دليل فقد انحرف عن الفطرة الإنسانية. فلو جاء من يقول: أرسلني الله ببلاغات يجب أن تقروا بها وتعملوا بها وأن لا تأسوا على أرواحكم وأموالكم في سبيلها وضحوا لأجلها بما تملكون ومن يخالف ذلك اقتلوه ودمروا مساكنه وعلى شبابكم أن يتلقوا بصدورهم رصاص البنادق والمدافع ورماح عدوي وعدو كلامي وعليكم تقبل كل ذلك بكل ميل ورغبة وبشاشة وجه. فهل تقولون لنا أن لا نسأله عن الدليل الذي يستند إليه في أن الله

أرسله رسالة وأن هذه هي أقوال الله وأنه كلام سماوي؟ وأنه لو سألناه وأجاب أنه كلام لا يحتاج إلى دليل بل عليكم قبوله وبذل أرواحكم في سبيله فهل يرضى العقل أن نقبل منه من دون دليل؟

أدلة من القرآن:

(وكأن هؤلاء (المنكرين) لم يروا القرآن الكريم ومن دون أي وجه يتباهون على المتدينين ويلصقون أنفسهم بالقرآن أو أنهم رأوه لكن يريدون التحايل بإغفال أقوال القرآن المخالفة لرأيهم بصريح العبارة غافلين عن أنه يمكن أن يفضحهم شخص ما في المجتمع ويخزيهم عند الجميع) وهذا عدد من الأدلة من القرآن ليتضح أن الأنبياء ألقوا دعوتهم إلى الناس مع معجزة ولم يطع أحد نبيا في أي عصر بدون دليل ولم ينحرف عن جادة العقل.

سورة القصص الآيات ٣١-٣٢: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وحتى يصح كلام هذه الحفنة التائهة يجب أن نعتبر هذه الأمور أمورا عادية غير معجزة أو أن ذلك كان اقتراحا في غير محله أعطاه الله لموسى مع عدم احتياج النبوة إليه.

وفي سورة آل عمران الآية ٤٩ التي تقدم ذكرها جاء فيها ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ﴾ فقولوا إذن إحياء الميت وجعل الطين على هيئة الطير طيراً ليس بمعجزة أو أن عيسى أقدم من رأسه على ما لا فائدة فيه حتى لا يتزلزل فكركم ويقال إنكم ذوو فكر جديد جداً. هل معلوماتكم حقا هي بهذا المقدار أم أن الضغوط الفكرية في ميدان الحياة

المادية جعلت أعصابكم مضطربة وقد تم وجه الكلام فوضعتم أنفسكم في هذا اليوم الأسود المنفر والموجب للذل.

وقد أعلن القرآن الكريم في عدة مواضع عن إعجاز نفسه لتمام البشر في تمام العصور وعن عجز البشر جميعاً بل عالمي الجن والإنس عن المجيء بمثله واليوم تشهد ملة الإسلام آية الله هذه بين يديها وهي تعلن لجميع البشر باطمئنان كامل أن هذه علامة نبوة النور الطاهر محمد ﷺ فأي شخص في الدنيا كثير الخوض في العلم والفكر يأتي بمثله فسنسلم له ونتراجع عن أقوالنا.

وفي سورة بني إسرائيل الآية ٨٨: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

وفي سورة هود الآية ١٣: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ والآية ١٤ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ﴾][(١)].

سبب إنكار المعجزة:

قد ذكر السيد الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ سبباً رئيساً لإنكار المعجزة وهو يتلخص في عجز وقصور المنكر عن تقديم الدليل فبإنكاره للمعجزة من الأساس يسد عن نفسه باب المطالبة بالدليل والإعجاز على مدعياته[(٢)].

---

(١) كشف الأسرار ص ٦٨ـ ٧٠.

(٢) كشف الأسرار، ص ٧٦.

الوحي:

الوحي يمثل الواسطة بين الساحة القدسية للذات الإلهية وبين الأنبياء والرسل فعن طريقه تصل التعاليم والأحكام الإلهية للأنبياء وهو على أنواع وقد أشارت لها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[١].

نزل به الروح الأمين:

[قضية إيحاء الوحي وإنزال الكتب إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، من العلوم العالية الربانية التي قلّما يتفق لبشر أن يكشف مغزاها، كتكلّمه تعالى مع موسى عليه السلام].

ولقد أشار إلى بعض أسرارها قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[٤] إلى آخر.

فأشار إلى كيفية الوحي ونزول الكتاب بوجه موافق للبرهان غير مناف لتنزيهه تعالى عن شوب التغيّر ووصمة الحدوث.

---

(١) سورة الشورى: ٥١.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٣) سورة الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٤) سورة النجم: ٤ ـ ١١.

ولعمري إنّ الأسرار المودعة في هذا الكلام الإلهي المشير إلى كيفية الوحي ودنوّ روحانية رسول الله ﷺ إلى مقام «التدلّي» والمقام المعبّر عنه بـ «قاب قوسين» وما يشار إليه بقوله «أو أدنى»، ثمّ تحقّق الوحي، ممّا لم يصل إليه فكر البشر إلاّ الأوحدي الراسخ في العلم، بقوة البرهان المشفوع إلى الرياضات ونور الإيمان][1].

أصناف الملائكة (وظائف الملائكة):

من أنواع الملائكة ملائكة الوحي، فعن طريق الملائكة تكون مهمة الوحي الثقيلة والتي هي في غاية الأهمية. وقد جرت العادة في الأبحاث العقائدية التطرق لبحث الملائكة ونحن نقتفي أثر العلماء الأعلام في ذلك.

إن عالم المخلوقات لا يقتصر على الموجودات المحسوسة، وهذا يتضح جلياً في القرآن الكريم، فهو يذكر أن هناك من الموجودات المخلوقة لله تبارك تعالى لا يستطيع الإنسان إدراكها بما لديه من قوى حسية، ومن تلك الموجودات فئة تسمى بـ (الملائكة)، وبسبب قصور حواسنا وقوانا عن إدراك هذا المخلوق، فإننا عاجزون عن معرفة خصائصه كذلك، إلا ما بينه الله تبارك وتعالى ـ وهو خالقها ـ في القرآن الكريم، وتقسم الآيات المتحدثة عن أوصاف وأفعال الملائكة إلى فئتين: فئة تبين أوصافها العامة، وأخرى تفصل أفعال بعض منها وتذكر خصائصها ومميزاتها.

الملائكة من الموجودات الغيبية التي يؤمن بها الإنسان الإلهي الموحد، فهي موجود ذو خصائص مميزة ووظائف مختلفة فهم جنود الله تبارك وتعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[2]، فلنقرأ معاً ما ذكره سيدنا الإمام قدّس سرّه في مقام أصناف الملائكة ووظائفهم وما هي طبيعة تركيبتهم.

[إعلم أن ملائكة الله على أصناف وأنواع كثيرة كلهم جنود الحق المتعالي، ولا يعلمهم أحد إلا الذات المقدس علام الغيوب ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[3].

---

(١) الطلب والإرادة ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) سورة التحريم: ٦.

(٣) سورة المدثر: ٣١.

صنف منهم ملائكة مهيمون ـ عاشقون ـ مجذوبون، لا يلتفتون نهائيا إلى عالم الوجود، ولا يعرفون بأن الله قد خلق عالما أم لا، وإنما هم مستغرقون في جمال الحق وجلاله، ومنصهرون في كبرياء ذاته المقدس[١]. ويقال بأن كلمة (ن) المباركة في الآية الشريفة ﴿ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٢] إشارة إلى هذا الصنف من الملائكة.

وصنف آخر منهم، ملائكة مقربون ومن سكان الجبروت الأعلى، وهم أنواع كثيرون ولكل منهم شأن وتدبير في العالم لا يكون لغيرهم من الملائكة.

وطائفة ثالثة ملائكة عالم الملكوت الأعلى والجنات العليا، على مختلف أصنافهم وتشتت أنواعهم.

وطائفة رابعة ملائكة عالم البرزخ والمثال.

وطائفة خامسة الملائكة الموكلون على عالم الملك والطبيعة، حيث يتولى كل منهم أمرا ويدبر شأنا، وهذا القسم من الملائكة المدبرين في عالم الملك، غير الملائكة الموجودين في عالم المثال والبرزخ. كما هو مقرر في محله، ومستفاد من الأخبار أيضا[٣].

ولابد من معرفة أنه لا توجد أجنحة وريش وأعضاء أخرى للملائكة على مختلف أصنافهم، فإن الملائكة المهيّمين حتى سكان الملكوت الأعلى منزهون ومبرأون من هذه الأعضاء والأجزاء المقدارية، ومجردون من المادة ولوازمها ومقدارها وعوارضها.

وأما ملائكة عالم المثال والموجودات الملكوتية البرزخية، فمن المحتمل أن تكون في هذه الطائفة من الملائكة، جوارح وأعضاء وأجنحة ورياش وغيرها،

---

(١) علم اليقين، ج١، المقصد الثاني، الباب الثاني ـ الفصل الأول.

(٢) سورة القلم: ١.

(٣) علم اليقين، ج١، المقصد الثاني، الباب الثاني ـ الفصل الأول.

ولما كانوا من عالم المثال والبرزخ، وكان لهذا العالم كمية وكيفية، كان لهذه الطائفة شكل خاص، وجوارح مخصوصة وإن قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[1]؛ و﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[2] يرتبط بهذه الطائفة من الملائكة. ولكن للملائكة المقربين والقاطنين في الجبروت الأعلى، والإحاطة الوجودية القيومية، فهم يستطيعون أن يتمثلوا في كل واحد من العوالم بهيئة وصورة تتناسب مع ذلك العالم. كما أن جبرائيل الأمين، الذي هو من المقربين للساحة المقدسة، وحامل الوحي الإلهي، ومن أعلى مراتب موجودات سكان الجبروت، كان يتمثل لرسول الله ﷺ في شكل خاص دائما، وفي شكل مطلق، مرتين، وفي عالم الملك حيناً وخاصة في صورة دحية الكلبي رضيع رسول الله ﷺ الذي كان أجمل الناس.

ولابد من معرفة أن التمثّل الملكي للملائكة، لا يكون مثيل الموجودات المُلكية، كي يراهُ كل سليم الحس والبصر، بل الجانب الملكوتي للملائكة يغلب الجانب المُلكي. ولهذا لا يراهم الناس جميعاً مع أبصارهم المُلكية، بل يراهُ البعض كما رأى بعض أصحاب رسول الله ﷺ جبرائيل وهو في صورة دحية الكلبي، بعد تأييد من الحق المتعالي، وإشارةٍ من خاتم الأنبياء ﷺ.

ومن هذا المنطلق فأن طلبة العلم والمعارف، والمتوجهين إلى الحق والحقيقة، والسالكين لسبيل رضا الله من الأبناء الروحانيين لآدم صفي الله عليه السلام الذين يكونون مسجوداً للملائكة ومطاعاً لتمام دائرة الوجود، هؤلاء يكونون محل عناية ملائكة الله، ورعايتهم وتأييدهم وإنّ مثل هذا المُلكي الذي تحوّل إلى وجود ملكوتي، وهذا الأرضي الذي أصبح سماوياً قد وطأت أقدامهم، أجنحة الملائكة، فإذا انفتحت عين بصيرته الملكوتية والمثالية لرأى بأنه مستقر على أجنحة الملائكة، وإنه يطوي المسافات بفضل تأييداتهم.

---

(١) سورة الصافات: ١.

(٢) سورة فاطر: ١.

هذا بالنسبة إلى الذين ـ الأبناء الروحانيون لآدم عليه السلام ـ هاجروا من المُلك إلى الملكوت، وإن كانوا لا يزالوا في الطريق.

وأما الذين، لا يزالون يعيشون في عالم الملك، ولم يطرقوا عالم الملكوت، فمن الممكن أن يكونوا محل تأييد ولطف الملكوتيين، حيث يفترشون أجنحتهم تواضعاً لهم وابتهاجاً بهم وبأعمالهم. كما أشير إلى ذلك في هذا الحديث الشريف وفي حديث (عوالي اللئالئ). عن المقداد رضي الله عنه أنه قال: «سَمِعْتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله يَقُولُ: إن الْمَلائكَة لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطالِبِ الْعِلْمِ حَتى يَطَأ عَلَيْها رِضاً بِه»[1].

فعلم أن الخطوة الأولى إلى الله وإلى مرضاته، وضع الأقدام على أكتاف الملائكة، والجلوس على أجنحتهم، ويكون هذا الفرش وهذا الافتراش موجودين حتى نهاية مراتب الدراسة، ونهاية أيام تحصيل العلم والمعارف، ولكن الدرجات تختلف، والملائكة المؤيدين لهذا السالك في سبيل العلم يتبدلون، حسب تبدل المراتب، ويصل مستوى السالك إلى مرحلة، يرفع قدمه من على رأس الملائكة المقربين، ويجتاز عوالم، ويطوي مراتب، لا يستطيع أن يدنو منها الملائكة المقربون، بل يبدي جبرائيل أمين الوحي عجزه عن الوصول إلى تلك الدرجات حيث يقول (لَوْ دَنَوْتُ أنْمُلَةً لاحْتَرَقْتُ)[2].

فلمّا لم يكن هذا الكلام معارضاً للبرهان، بل يوافقه، فلا داعي إلى تأويل جملة ـ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ـ كما صنع الفيلسوف العظيم، صدرٍ المتألهين، مع أنه اعترف وأثبت ملائكة عالم المثال، والتمثلات المُلكية والمَلكوتية للملائكة، في كتبه الفلسفية والعلمية، مع بيان أنيق يختص به][3].

---

(١) عوالي اللئالي، ج١، الفصل السادس، ح٤٤.

(٢) بحار الأنوار ج١٨، أبواب أحواله صلى الله عليه وآله، باب إثبات المعراج، ح ٨٦.

(٣) الأربعون حديثاً ح ٢٦، ص ٤٦٦- ٤٦٨، للمزيد راجع آداب الصلاة ص ٤٧٣.

خلاصة الدرس الثالث عشر:

- إظهار المعجزة دليلٌ لإثبات صدق الأنبياء الحقيقيين في دعواهم.

- العقل الفطري الموهوب من الله تعالى يحكم بأن قبول كل دعوى بلا دليل وبرهان غير جائز، ومن يقبل شيئاً بلا دليل فقد انحرف عن الفطرة الإنسانية.

- سبب إنكار المعجزة دلالةٌ على عدم سلامة العقل وعجز المنكر وقصوره.

- الوحي هو الواسطة بين الله تبارك وتعالى والأنبياء العظام عليهم السلام.

أسئلة حول الدرس:

؟؟؟

١ ـ ما هو المقصود من المعجزة؟

٢ ـ أذكر بعض الأدلة القرآنية على معجزات الأنبياء عليهم السلام؟

٣ ـ عدد أصناف الملائكة؟

للمطالعة

❖ شديد الإلتزام بخصوصيات الأدعية وشروطها:

لعلَ البعض لا يصدق أن الإمام ـ وهو القائد الثوري والسياسي الكبير ـ قد قرأ جميع الأدعية المنقولة في كتاب مفاتيح الجنان! أتذكر أنه طلب مني يوماً نسخةً من هذا الكتاب مكتوبة بحروف كبيرة، فأحضرتها له، وقد طلبت مني إحدى السيدات (من أهل بيته) أن أقرأ الدعاء عند رأسه الشريف فحضرت وتلوت دعاء (العديلة). وقد انتبهتُ أنه وضع علامةً على صفحة من كتاب مفاتيح الجنان، فلما نظرت إليها وجدت فيها «دعاء العهد» للإمام المهدي عجل الله فرجه وقد كتب على الورقة التي جعلها علامة على صفحة الدعاء من تأريخ (٨ شوال) أي أنه بدأ بالتلاوة اليومية لهذا الدعاء من التأريخ المذكور لأن المستحب تلاوته في دورة أربعين يوماً، وقد استمر في تلاوته إلى ذلك اليوم (أي اليوم الذي سبق يوم وفاته) كان الإمام يهتم إلى هذه الدرجة بتلاوة الأدعية مع الإلتزام بخصوصياتها وشروطها.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه
الحالات العبادية والمعنوية ص ٢١٥

صفات النبي

هل هناك صفات تميز النبي المبعوث عن غيره؟ وما هي فائدة هذه المميزات؟ وهل بدونها ينتفي غرض النبوة أم أن عدمها لا يؤثر على أداء النبي الإلهي لوظيفته ومهامه؟

لاشك ولاريب في أن النبي لابد بأن يمتاز بمواصفات تميزه عن غيره من عصمة وعلم وكمالات . وسيأتي الحديث عن كل صفة تباعا.

العصمة:

حقيقة العصمة:

العصمة هي أحد أركان الإصطفاء الإلهي فمع عدم عصمة الأنبياء لا يمكن الإعتماد عليهم لعدم الوثوق واحتمال الخطأ والكذب إما في الإيصال أو في التطبيق، فبدونها يستلزم نقض الغرض من بعثة الأنبياء إذ لا يتحقق الهدف من بعثتهم ولأن العصمة وأفعال الأنبياء مستندة للعلم واليقين فلا يمكن وقوع الخطأ ولا احتمال وقوعه، وقد اختزل صاحب التجريد هذا الدليل في قوله (ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض)[1]، فلابد من تنزيهه عن الخطأ صغيراً كان أم كبيراً، عمداً أو سهواً قبل البعثة أو بعدها، في التبليغ وغيره.

[بالسند المتصل إلى الشيخ الجليل أفضل المحدثين محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن ربعي، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الله عزوجل لا يوصف، وكيف يوصف وقال في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[2] فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصف وكيف يوصف عبد احتجب الله عز وجل

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، المقصد الرابع، المسألة الثالثة ص ٤٧١.

(٢) سورة الأنعام: ٩١.

بسبع وجعل طاعته في الأرض كطاعته في السماء فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(١) ومن أطاع هذا فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني، وفوّض إليه. وإنا لا نوصف، وكيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس وهو الشك. والمؤمن لا يوصف وإن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحات عن وجوههما كما يتحات الورق عن الشجر»(٢)...

... لقد فسر (الرجس) في هذا الحديث الشريف وأحاديث أخرى، بالشك، وفي بعض الأحاديث بجميع العيوب فهم مطهرون عنها. وتبين من الشرح لبعض الأحاديث السابقة(٣)، إن نفي الشك يستلزم نفي العيوب القلبية والقالبية، بل يستلزم العصمة، لأنها ـ العصمة ـ أمر على خلاف الإرادة والإختيار، وإنها لا تكون من الأمور الطبيعية والجبلية، بل هي حالة نفسية، وأنوار باطنية تتفجر من نور اليقين الكامل والاطمئنان التام.

إن مصدر جميع الخطايا والمعاصي التي تصدر من الإنسان، هو النقص في اليقين والإيمان، وإن مراتب اليقين والإيمان مختلفة بدرجة لا يمكن عدها وبيانها. وإن اليقين الكامل والاطمئنان التام الذي يحظى به الأنبياء، والحاصل من المشاهدة الحضورية هو الذي يعصمهم من الآثام. إن يقين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد أبلغه إلى مستوى يقول فيه (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته)(٤).

وملخص الحديث أن الإبتعاد عن الشرك والشك، والتطهير من أرجاس عالم الطبيعة وخبائثها ومن ظلمات التعلق بغير الحق تعالى شأنه، وكدر الإنية، وإزاحة الحجب الغليظة من القلب والحاصلة من الأنانية والتوجه إلى غير الحق

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) أصول الكافي ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب المصافحة، ح ١٦.

(٣) الأربعون حديثاً، ح ٢٥.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ٢٢٤.

سبحانه. إن هذا الإبتعاد والتطهير يجعل صاحبه حسب الإرادة الأزلية، من الأنوار القدسية الإلهية، والآيات التامة الربوبية، والخالصين المخلصين لله سبحانه، كما أن مثل هذا الإنسان يحقق مقاما رفيعا لا يمكن إخضاعه للوصف والبيان، ولا تنال أيادي الآمال قمة جلاله مثله مثل عنقاء مغرب غيب الهوية.

قال الحافظ الشيرازي:

أيها الصياد، إن الطائر العنقاء لا يقع في فخ

فاسحب الفخ فإن الهواء في الشبك](١).

علم الأنبياء ومقاماتهم:

لقد ركزت الروايات بشكل مفصل في علم المعصوم ﴿عليه السلام﴾ وطرقه وكيفياته، وقد ذكرت بأن له مقامات تختلف عن علم ما دون المعصوم، بل أن المعصومين يختلفون في علمهم كماً وكيفاً كل بحسبه، فتشير بعض الروايات إلى طرق تلقي الوحي كما جاء في القرآن الكريم بثلاث طرق: وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا، إما بالإلهام أو الرؤيا أو غيرها من السبل والأساليب. والبعض الآخر يذكر بأن الأنبياء والأوصياء ﴿عليهم السلام﴾ مسددين بروح خاصة أعلى من جبرئيل وهو روح القدس، وكثير من الروايات التفصيلية في مقام بيان علم المعصوم هل هو تفصيلي أم إجمالي؟ ومتى يعلم في أي الأمور؟ كل ذلك قد تناولته الأحاديث الشريفة بتفصيل في علم المعصوم ﴿عليه السلام﴾. ومما قاله الإمام الراحل ﴿قدس سره﴾ ما يلي:

[إعلم أنه لا يمكن معرفة روحانية ومقام خاتم الأنبياء ﴿صلى الله عليه وآله﴾ خاصة، والأنبياء العظام والأولياء المعصومين ﴿عليهم السلام﴾ عامة مع التفكر والتدبر وسير الآفاق والأنفس، لأن هؤلاء الأجلاء منبعهم من الأنوار الغيبية الإلهية، والمظاهر التامة للجلال والجمال وآياتهما الباهرة. وقد بلغوا في سيرهم المعنوي وسفرهم إلى الله الغاية القصوى والفناء في الذات ومنتهى العروج: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾(٢)، رغم أن

---

(١) الأربعون حديثاً ح٣١، ص ٥٩٠، ص ٦٠٥ـ٦٠٦.

(٢) سورة النجم:٩.

أن صاحب المقام بالأصالة هو النبي الخاتم ﷺ، وأن الأنبياء الآخرين السالكين لطرق العروج يبلغون هذا المقام السامي تبعا للذات المقدس للنبي الخاتم ﷺ.

ونحن لسنا بصدد بيان كيفية سير خاتم الأنبياء ﷺ، وبيان الفارق بين معراجه الروحاني ومعراج جميع الأنبياء والأولياء عليهم السلام. وإنما نكتفي بذكر رواية واحدة تتحدث عن نورانيتهم، لأن إدراك نورانيتهم، يفتقر أيضا إلى نورانية باطنية وجذبة إلهية.

الكافي: بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر، إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة. فبروح القدس ـ يا جابر ـ عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب»[١].

وبإسناده عن أبي بصير قال: سألت أباعبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[٢]، قال: «خلق من خلق الله تبارك وتعالى أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده عليهم السلام»[٣].

يفهم من الحديث الأول أن للأنبياء والأوصياء عليهم السلام مقاما شامخا من الروحانية يدعى بـ (روح القدس) ومن خلاله يتمتعون بالإحاطة العلمية القيومية لجميع الكائنات حتى ذراتها الصغيرة جدا، ولا توجد فيها الغفلة والنوم والسهو والنسيان وكافة الحوادث والتغيرات والنقائص الملكية، بل تكون من عالم

---

(١) أصول الكافي ج١، كتاب الحجة، بابٌ فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام، ح٢.

(٢) سورة الشورى: ٥٢.

(٣) أصول الكافي ج١ ـ كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد بها الأئمة عليهم السلام، ح١.

الغيب المجرد، والجبروت الأعظم. كما يستفاد من الحديث الثاني، أن تلك الروح المجردة الكاملة، أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام رغم أنهما أعظم القاطنين في مقام قرب الجبروت][1].

بيان المراد بذنب الأنبياء:

إذا كان الأنبياء عليهم السلام يمتلكون العصمة فبماذا نفسر أنينهم وندمهم في المناجاة والأدعية وطلبهم للمغفرة؟ لقد أجيب عن ذلك بأنها من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) بمعنى أنه في الحقيقة ليس ذنباً يعاقب عليه، ولكن لو قورن مع غيره لكان من الأفضل عدم فعله، وكل ذلك لا يخدش بالعصمة، وإن كان الناس يعتبرون هذا النبي مذنباً، ولكنه عند الله تعالى ليس كذلك، ومن هذا القبيل الآيات الواردة في ذنوب الأنبياء عليهم السلام، وبالنسبة للتوجع في المناجاة والأدعية فهي تعبر عن ألم فراق المحبوب وعن الإشتياق له. وللإمام الراحل قدس سره كلمات عديدة في هذا المجال ولكن اخترنا منها مقطعاً قصيراً يوضح الجواب عن هذه الشبهة.

[إن أكثر أنين الأولياء إنما هو من ألم فراق المحبوب والبعد عن كرامته، كما أشاروا إلى ذلك بأنفسهم في مناجاتهم[2]، على الرغم من أنهم لا يحجبهم حجاب ملكي أو ملكوتي، وقد اجتازوا جحيم الطبيعة الذي كان خامدا غير مستعر[3]، وقد خلوا من التعلق بالدنيا وتطهرت قلوبهم من الخطيئة الطبيعية. إلا أن الوقوع في عالم الطبيعة مما كان يحصل لهم يعد تلذذاً قسرياً طبيعياً حتى وإن كان بأقل قدر، ويكون ذلك من باب الحجاب. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليران على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»[4]][5].

---

(١) الأربعون حديثاً ح ٣١، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧.

(٢) دعاء كميل (فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك) مفاتيح الجنان.

(٣) علم اليقين ج٢، المقصد الرابع، الباب السابع آخر الفصل الثاني.

(٤) مستدرك الوسائل ج٥، كتاب الصلاة، باب ٢٢ من أبواب الذكر ح٢، وفي المصدر ليغان.

(٥) الأربعون حديثاً، ح ٦، ص ١٥٧ـ ١٥٨.

الكمال من جميع الصفات:

الكمالات على مستويات ومراتب فأي مستوى يطلب من الأنبياء عليهم السلام الوصول له؟ فهل يكفي الكمال بالمستوى العادي الذي وصل له الإنسان غير المعصوم؟ فإذا كان بهذا المستوى فما الفرق بين كمال المعصوم وغيره؟ بحسب المعطيات الموجودة لابد للمعصوم ـ وفي مقامنا النبي ـ من أن يحوي كل الكمالات الجسمية والروحية، المادية والمعنوية ليكون مقبول الكلام ويقبل عليه الناس فيتحقق الغرض من وجوده المقدس فيجب في النبي بعد العصمة والعلم كما العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي وعدم السهو والتنزه عن كل ما ينفر عنه من دناءة الآباء وعهر الأمهات والفضاضة والغلظة والأمراض المنفرة كالسلس والجذام والبرص بل وكثيرٌ من المباحات القادحة فيه وفي تعظيمه كالأكل على الطريق، فلابد من حصوله على جميع الكمالات الخلقية والخُلقية .

[يقول المحدث الكبير المجلسي قدس سره (في هذه الأحاديث ـ أحاديث ابتلاء الأنبياء ـ الواردة من طرق الخاصة والعامة، دلالة واضحة على أن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في الأمراض الحسية والبلايا الجسمية كغيرهم بل هم أولى بها من الغير تعظيما لأجرهم الذي يوجب التفاضل في الدرجات ولا يقدح ذلك في رتبتهم بل هو تثبيت لأمرهم وأنهم بشر إذ لو لم يصبهم ما أصاب سائر البشر مع ما يظهر في أيديهم من خرق العادة لقيل فيهم ما قالت النصارى في نبيهم) انتهى[١].

وقال المحقق المدقق الطوسي والحكيم العظيم القدوسي قدس سره في كتاب التجريد في بحث ما يجب كونه في كل نبي (... وكلما ينفر عنه الخلق...)[٢].

وقال علامة علماء الإسلام قدس سره في شرح هذه الجملة: (وأن يكون منزها عن الأمراض المنفرة نحو الأبنة وسلس الريح والجذام والبرص لأن ذلك كله مما ينفر عنه فيكون منافيا للغرض من البعثة)[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٤، كتاب الإيمان والكفر، باب شدة ابتلاء المؤمن، ص ٢٥٠.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، المقصد الرابع، المسألة الثالثة ص ٤٧٢.

(٣) نفس المصدر السابق ص ٤٧٢ ـ ٤٧٤.

يقول الكاتب[1]: إن درجة النبوة وإن كانت تابعة للكمالات النفسية والدرجات الروحانية، ولا علاقة لها بالجسم. وإن النقائص الجسمانية وأمراضها لا تسيء إلى المقام الروحاني للأنبياء عليهم السلام. وإن الأمراض المنفرة لا تقلل شيئا من علو شأنهم وعظمة رتبتهم، إن لم تؤكد كمالاتهم وتدعم درجاتهم، كما أشير إليها. ولكن ما ألمح إليه المحققان لا يخلو عن وجه، لأن عوام الناس لا يفرقون بين المقامات ـ الجسمية والروحية ـ ويحسبون أن النقص الجسماني نتيجة النقص الروحاني أو ملازم له، ويعتبرون أن من عناية الحق سبحانه أن لا يصيب الأنبياء أصحاب الشريعة والمبعوثين بالرسالة، بأمراض تسبب نفرة الطباع واستيحاش الناس. فعدم ابتلائهم لا يكون نتيجة أن هذه المصائب والبلايا تحط من مقام النبوة، بل لأجل فائدة هي إكمال التبليغ والإرشاد. وعليه لا مانع من ابتلاء بعض الأنبياء الذين لم يحظوا بالشريعة، وابتلاء الأولياء الكبار والمؤمنين بمثل هذه المحن. كما كان النبي أيوب والمؤمن حبيب النجار مبتليين. وقد وردت أحاديث كثيرة في ابتلاء النبي أيوب عليه السلام:

فمن ذلك ما روي عن تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: في حديث طويل قال: «فسلطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه فنفخ فيه إبليس فصار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه فبقي في ذلك دهرا طويلا يحمد الله ويشكره حتى وقع في بدنه الدود وكانت تخرج من بدنه فيردها ويقول لها ارجعي إلى موضعك الذي خلقك الله منه ونتن حتى أخرجه أهل القرية من القرية وألقوه في المزبلة خارج القرية»[2] .

وفي الكافي بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ

---

(١) أي السيد الإمام الخميني قدس سره.

(٢) بحار الأنوار، ج١٢، كتاب النبوة، باب قصص أيوب عليه السلام، ح ٣، ٣٤٢.

آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١]. فقال: (يا أبا محمد يسلط والله من المؤمن على بدنه ولا يسلط على دينه، قد سلط على أيوب فشوه خلقه ولم يسلط على دينه وقد يسلط من المؤمنين على أبدانهم ولا يسلط على دينهم)[٢].

وبإسناده عن ناجية قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن المغيرة يقول: إن المؤمن لا يبتلى بالجذام ولا بالبرص ولا بكذا ولا بكذا، فقال: إن كان لغافلا عن صاحب ياسين إنه كان مكنعاً ـ ثم رد أصابعه فقال: كأني أنظر إلى تكنيعه، أتاهم فأنذرهم ثم عاد إليهم من الغد، فقتلوه. ثم قال: إن المؤمن يبتلى بكل بلية ويموت بكل بليةٍ إلا أنه لا يقتل نفسه)[٣].

إن (صاحب ياسين) هو حبيب النجار و(التكنيع) مع النون كما هو في أكثر النسخ بمعنى التشنج والمثلة كما في البحار. قال المجلسي (كأنه كان الجذام سبباً لتكنيع أصابعه)[٤] وفي هذا الكلام تأمل.

ويستفاد من هذه الأحاديث والروايات الأخرى أن الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين قد يصابون بأمراض نفرة لأجل بعض المصالح. وتقابل هذه الأخبار، أحاديث أخرى تنفي تشويه جسم النبي أيوب عليه السلام بسبب الأمراض، وانبعاث الرائحة الكريهة من جسده المبارك[٥] ولا جدوى في الجمع بين هذه الروايات وإطالة البحث فيها.

---

(١) سورة النحل: ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) الكافي، ج٨ الروضة ح ٤٣٣.

(٣) أصول الكافي، ج٢، باب شدة ابتلاء المؤمن ح ١٢.

(٤) بحار الأنوار، ج٦٤، ص ٢٠٥.

(٥) بحار الأنوار، ج١٢، كتاب النبوة، باب قصص أيوب عليه السلام ح١٣، ص ٣٤٨.

وملخص الحديث أن مثل هذه الأمراض لا تسيء إلى المؤمنين ولا تعد نقصاً لهم ولا للأنبياء ﴿عليهم السلام﴾، بل تبعث على رفعة درجتهم وعلو شأنهم والله تعالى أعلم بالصواب].[1]

وظائف الأنبياء:

للأنبياء وظائف كثيرة سامية بسمو الأهداف والغايات، وهي على قسمين رئيسية وفرعية، كما أنها مترابطة مع بعضها البعض فمعرفة الإنسان لله تبارك وتعالى تجعل منه إنساناً كاملاً مما يمكنه من تطبيق العدالة عن طريق الحكومة الدينية، فمن أهم هذه الوظائف ما يلي:

١ـ معرفة الله:

إن الوصول لمعرفة الله الحقة التي لا تحتوي على شوائب يكون عن طريق معصوم عن الخطأ والإعوجاج ولا يتحقق هذا الوصول بسلام إلا عن طريق الرسل والأنبياء ﴿عليهم السلام﴾، وخير شاهد على ذلك هو ما جاء من كنوزٍ عن أهل بيت العصمة والطهارة ﴿عليهم السلام﴾ والتي قد تكفلت بالمعارف الإلهية المعمقة.

يقول الإمام الخميني ﴿قدس سره﴾:

[أما النظر في ذات الله لغرض إثبات وجوده وتوحيده وتنزيهه وتقديسه، فهو الغاية من إرسال الأنبياء ﴿عليهم السلام﴾ والمقصد لآمال العرفاء. والقرآن الكريم والأحاديث الشريفة مشحونة بالأخبار حول العلم بذات الله وكمالاته وأسمائه. وكتب الأخبار المعتبرة، مثل (الكافي) و(توحيد) الشيخ الصدوق ﴿قدس سره﴾ تتعمق في إثبات ذات الله وأسمائه وصفاته][2].

---

(١) الأربعون حديثاً، ح١٥، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤.

(٢) الأربعون حديثاً، ح١٢، ص ٢٣٧.

٢ـ صنع الإنسان:

لو سأل سائل عن ماهي أهمية إيصال التعاليم الإلهية وما أثرها على الوصول للكمال؟ طبعا الجواب وإن كان سهل يسير بالفطرة إلا أن الإنسان في بعض الحالات يحتاج للتريث ليتضح له الجواب الشافي عن قناعة، فالوصول للكمال مطلوب لدى العقل من دون أدنى شك وطريق الوصول للكمال هم الأنبياء والرسل عليهم السلام، والتقيد بتعاليمهم يوصل الإنسان للكمال المطلوب مما يجعل منه إنسانا كاملا، فصنع الإنسان من وظائف الأنبياء عليهم السلام ووصول الإنسان للكمال من آثار بعثة الأنبياء واتباع تعليماتهم.

[لقد جاء الأنبياء عليهم السلام، وأتوا بقوانين، وأنزلت عليهم الكتب السماوية، من أجل الحيلولة دون الانفلات والإفراط في الطبائع، ومن أجل إخضاع النفس الإنسانية لقانون العقل والشرع وترويضها وتأديبها حتى لا يخرج تعاملها عن حدود العقل والشرع][1].

٣ـ العدالة الإجتماعية والحكومة الدينية:

إن من الأمور الواضحة لدى المتأمل أن أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام غير مقتصرة على الأمور الأخروية المحضة بل لها آثار يتلمسها الناس في حياتهم الدنيوية ـ وإن كانت أخروية بطريق غير مباشر ـ فعلى الصعيد الإجتماعي عندما تتحقق التعليمات الإلهية والشرائع السماوية المرتكزة على العلم والحكمة تتحقق آثارها ومنها تحقيق العدل وإقامة الحكومة وهي المعبر عنها بالقانون في بعض الأحيان، يقول إمام الأمة قدّس سرّه:

[إن الهداية لطريق الخير والسعادة لو كانت ممكنة بكيفية أخرى لقام بتوضيحها الأنبياء والرسل عليهم السلام بمقتضى اتساع الرحمة وسعتها، ولو كان ممكنا تشخيص طريق السعادة والخير للناس بشكل آخر لأشاروا إليه وبمقتضى سعة رحمة الباري تبارك وتعالى، ولو كان ممكنا إيصال الناس إلى السعادة كرها لفعلوا عليهم السلام. ولكن هيهات! فطريق الآخرة، طريق لا يمكن طيه إلا بخطى

---

(١) الأربعون حديثاً، ح١، ص ٤٥.

الاختيار، والسعادة لا تحقق بالإجبار، والفضيلة والعمل الصالح ليسا فضيلة ولا عملا صالحا إذا جردا عن الاختيار، ولعل هذا هو ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١].

نعم! إن ما يمكن إعمال الإكراه والإجبار فيه إنما هو شكل الدين الإلهي لا حقيقته، والأنبياء عليهم السلام كانوا مكلفين بفرض هذا الشكل على الناس بأية طريقة ممكنة، ليتسنى أن تصبح صورة العالم هي صورة العدل الإلهي، وإتاحة الفرصة للإرشاد أن يتسرب إلى بواطن الناس فيطووا طريقه باختيارهم، ويصلوا السعادة][٢].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) آداب الصلاة، ص٦١.

خلاصة الدرس الرابع عشر:

ـ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن جميع المعاصي والذنوب مطلقاً، الصغيرة منها أو الكبيرة، في حالة العمد أو السهو والنسيان، قبل البعثة وبعدها، في الرسالة وغيرها.

ـ روح القدس مقام روحانيٌ عال يتمتع به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وبه يمدّون بالعلم والإحاطة بجميع الموجودات، وهو (روح القدس) خلقٌ أعظم من الملائكة.

ـ إن الأنبياء عليهم السلام حاوون لجميع الصفات الكمالية المادية والمعنوية وبذلك يكونوا مورد قبول الناس.

اسئلة حول الدرس: ؟؟؟

١ ـ إن المعصومين عليهم السلام يمتلكون ملكة العصمة، فبماذا نفسر أنينهم وندمهم في المناجاة والأدعية؟ هل يتنافى ذلك مع العصمة؟

٢ ـ أذكر وظيفةً من وظائف الأنبياء عليهم السلام؟

للمطالعة

❖ إهتمامٌ خاص بآية الله الخامنئي دام ظله:

عندما عرف الإمام أن آية الله الخامنئي قد حضر إلى مكتبه في أول وقت العمل، أي في الساعة الثامنة للإلتقاء بالإمام، أمرنا بترك أعمالنا إلى ما بعد إنتهاء اللقاء والخروج من الغرفة، وخلافاً للمعتاد أجرى اللقاء أولاً ثم تابعنا أعمالنا، في حين أنّ الإمام لم يكن يُغيّر برنامجه المعتاد أبداً، وحتى في الأيام التي يمنعه المرض أو تمنعه الثلوج أو شدة البرد من الحضور إلى المكتب كنا نذهب إلى غرفته الخاصة لانجاز أعمالنا ولكي لا تتأخر أعمال المكتب والمراجعين، لذلك فما فعله يومذاك يشير إلى إهتمام خاص بآية الله الخامنئي.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٤٥

الباب الثاني: النبوة الخاصة

الدرس الخامس عشر

النبوة الخاصة

المقصود من النبوة الخاصة هو الحديث عن نبي من الأنبياء (عليهم السلام) بالخصوص، وفي العقائد الإسلامية الحديث حول النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) من إثبات نبوته وسيرته وخصوصياته وكل ما يتعلق به.

ولكن قبل الحديث عن ذلك يطرح تساؤل وهو ما هي الفائدة المرجوّة من البحث في النبوة الخاصة؟

طبعا يمكن الحديث كثيرا عن جواب هذا التساؤل ولكننا نوجز ذلك اختصارا ونذكر أهم هذه الفوائد على هيئة نقاط:

١ـ إثبات نبوة النبي عن طريق البحث في حياته.

٢ـ فهم الظروف الخاصة للنبي (صلى الله عليه وآله) يفيدنا كثيرا في معرفة الكثير من الحقائق المترتبة على صحة الدين وفهمه فهما صحيحا.

٣ـ العبرة والإعتبار من سيرة السابقين .

٤ـ معرفة بعض المقامات الخاصة للنبي المؤثرة على التمسك بالدين وتطبيقه ... الخ.

مقام النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وبعض خصوصياته:

من الأمور التي تبحث في النبوة الخاصة هو مقام النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) وما هي خصوصياته التي تميزه عن بقية الأنبياء (عليهم السلام)؟ إن مقام نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) يثبت عن طريق الوحي لأن العقل قاصرٌ عن تحديد ذلك، ولا مجال لاجتهاده في إثبات المقامات الغيبية للنبي (صلى الله عليه وآله)، فنلجأ لطريق النقل سواءاً كان آية أم رواية فنثبت بأن مقام النبي (صلى الله عليه وآله) هو أفضل الخلق على الإطلاق وأقربهم لله تبارك وتعالى وقد حاز

كمالات المخلوق فيصل من القرب (كقاب قوسين أو أدنى)، ومهما بلغ العقل من كمال فلن يصل لإدراك الحقيقة المحمدية وما تحتويه من مقامات إلهية وخصوصيات غيبية.

إثبات نبوة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله:

بعد إثبات النبوة العامة والتسليم بالحاجة للأنبياء عليهم السلام لا نحتاج إلى عناء زائد لإثبات نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، فقط شيئا من التأمل في المعجزة القرآنية ومقارنة الإسلام ببقية الأديان والشرائع لنجده أكمل الأديان من دون نقص أو خلل، وفي هذا الصدد يقول الإمام الخميني المقدس رضوان الله عليه:

[أننا وبعد أن علمنا ضرورة وجود شريعة إلهية لبني البشر، ولزوم رجوعنا إلى الشرائع السائدة بين الناس، وهي على الأغلب الشرائع الإلهية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، نرى بأن الشريعة الإسلامية هي أكمل من الشرائع الأخرى في أبعادها الثلاثة، التي هي أساس الشرائع ومدار التشريع، ـ أحدها ما يعود إلى العقائد الحقة، والمعارف الإلهية وتوصيف الحق وتنزيهه وكيفية ذلك. والعلم بالملائكة وتوصيف الأنبياء عليهم السلام وتنزيههم، مما هو أصل الشريعة وأساسها. وثانيها ما يعود إلى الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة وإصلاح النفس. وثالثها هو جانب الأعمال الفردية والإجتماعية والسياسية والمدنية وغير ذلك ـ بل إن كل ناظر منصف وغير مغرض في هدفه يدرك أن الإسلام أرقى من أن يقارن بدين آخر، وأن الحياة البشرية لم تشهد قانونا ولا شريعة بهذا الإتقان بحيث تكون تامة وكاملة في جميع مراحل الحياتين الدنيوية والأخروية. وهذا بذاته خير دليل على أحقية الإسلام وصدقه.

وعليه، وبعد إثبات النبوة العامة، وأن الله قد شرع لبني البشر شريعة، وبين لهم طريق الهداية، ووضعهم ضمن إطار نظم ونظام، لم يعد إثبات أحقية الدين الإسلامي بحاجة إلى مقدمات أبدا، سوى التمعن فيه ومقارنته بسائر الأديان والشرائع في جميع المراحل التي يمكن تصورها، ابتداء من حاجة الإنسان إلى الملكات الحقة والمعارف النفسانية، وحتى بلوغ الواجبات النوعية الفردية

والإجتماعية. وهذا معنى من معاني الحديث الشريف: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[1] إذ كلما ازداد العقل البشري تقدما وتطورا في مدركاته وتمعنا في حجج الإسلام وبراهينه، ازداد خضوعا لنور هدايته، وقوة أمام الحجج فلا تظهر حجة ودليل في العالم ضد الإسلام إلا وينتصر عليه.

والمستخلص من أدلتنا على إثبات نبوة خاتم النبيين ﷺ هو أنه لما كان إتقان خلق الكائنات وحسن ترتيبها وتنظيمها دليلا يهدينا إلى الإعتراف بوجود الخالق والمنظم الذي يحيط علمه بكل الدقائق واللطائف والجلائل، كذلك يهدينا إتقان أحكام شريعة وحسن نظامها وترتيبها الكامل وكونها تتكفل بكل الحاجات المعنوية والمادية، الدنيوية والأخروية، الفردية والإجتماعية، إلى أن مشرعها ومنظمها عالم محيط بجميع حاجات العائلة البشرية. وكما أن العقل يهدينا إلى أن عقل ذلك الإنسان، الذي كتب تاريخه جميع المؤرخين من مختلف الأمم قائلين إنه أميٌّ وعاش في محيط خال من الكمالات والمعارف، لا يمكن أن يكون قادرا على وضع مثل هذا الترتيب الكامل والنظام التام بنفسه. كذلك ندرك بالضرورة أن هذه الشريعة قد شرعت في الغيب وفيما وراء الطبيعة، ونزلت عن طريق الوحي والإلهام على ذلك الإنسان العظيم. والحمد لله على وضوح الحجة][2].

معجزات النبي الخاتم ﷺ غير القرآن الكريم:

هناك معجزات لنبي الرحمة ﷺ غير القرآن الكريم، وقد وصلتنا بالتواتر ـ وأشار لبعضها القرآن الكريم كشق القمر ـ فقد وصلنا أنه كان يشفي المرضى بإذن الله عزوجل ويحيي الموتى بإذنه تبارك وتعالى ويكلم الحيوانات والجمادات وغيرها، إلا أن مثل هذه المعجزات قد حدثت في زمن الحياة الدنيوية للرسول الأعظم ﷺ، فقد نجد صعوبة بالإستدلال بها على نبوة النبي ﷺ وقد ينكر ذلك

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، باب ميراث أهل الملل، عوالي اللئالي ج٣، باب الميراث ح١٥.

(٢) الأربعون حديثاً ح ١٢، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

منكر بدعوى عدم رؤيته للمعجزة مع أنه قد يؤمن بدين نبي آخر لم ير منه المعجزة مباشرة، فمن هنا يتبين لنا ميزة إعجاز القرآن الكريم فهو صالح للإحتجاج به في كل الأزمنة والأمكنة.

ولعل معترضاً يقول: بما أن القرآن معجزة ودليل فلماذا يحقق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله معجزات أخرى؟

الجواب: لتحقق المعجزات الأخرى فوائد وحكمة منها تأكيد الحجة على إثبات النبوة كيلا يكون هناك مجال للعناد والجحود، فإذا رأى النبي الكريم صلى الله عليه وآله حكمة من الإتيان بمعجزة أخرى أتى بها بناء على علمه (الذي هو من الله عز وجل) بالحكمة والفائدة.

القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله المنزّل على رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وهو ما بين الدفتين من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس من دون نقص أو زيادة، وهو يمثل المعجزة الخالدة لنبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وفيه أنواع الإعجاز والتحدي من البلاغة والفصاحة والعلم والمغيبات وغيرها من وجوه الإعجاز، ولا يمكن لأحد نقضه أو نقده بأي ملاحظة تضر بإعجازه ولا يتوهم متوهم باحتوائه على الأخطاء مهما كان نوعها وأياً كان حجمها.

سلامة القرآن الكريم من التحريف:

إن من المسلمات بل البديهيات لدى المسلمين هو سلامة القرآن الكريم من التحريف، وعلى الرغم من ذلك فقد ادعى البعض وقوع التحريف واستدل بأمور، وقد ناقش علماؤنا الأعلام ـ جزاهم الله تعالى عن الإسلام خيراً ـ هذه الأدلة وردوها ولم يقبلوا بها، ومن تلك المناقشات مناقشة إمامنا الراحل قدس سره لمن ادعى التحريف فإليك هذه المناقشة بإختصار.

١ـ قال في مناقشة الروايات المعتمدة في المقام:

[فإن الواقف على عناية المسلمين على جمع الكتاب وحفظه وضبطه ـ قراءة وكتابة ـ يقف على بطلان تلك المزعمة، وأنه لا ينبغي أن يركن إليه ذو مسكة. وما وردت فيه من الأخبار بين ضعيف لا يستدل به، إلى مجعول يلوح منها

أمارات الجعل إلى غريب يقضي منه العجب، إلى صحيح يدل على أن مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره، إلى غير ذلك من الأقسام التي يحتاج بيان المراد منها إلى تأليف كتاب حافل. ولولا خوف الخروج عن طور الكتاب لأرخينا عنان البيان إلى بيان تأريخ القرآن وما جرى عليه طيلة تلك القرون، وأوضحنا عليك أن الكتاب هو عين ما بين الدفتين، والإختلافات الناشئة بين القراء ليس إلا أمرا حديثا لا ربط له بما نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﷺ][1].

٢ـ وفي مقام الرد على من ادعى أن أسماء الأئمة موجودة في القرآن الكريم وليس في التفسير والشرح فقط، يقول قدس سره:

[ولو كان القرآن مشحونا باسم أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام وفضائلهم وإثبات خلافتهم، فبأي وجه خاف النبي ﷺ في حجة الوداع آخر سنين عمره الشريف وأخيرة نزول الوحي الإلهي من تبليغ آية واحدة مربوطة بالتبليغ، حتى ورد أن ﴿اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]؟!

ولم احتاج النبي ﷺ إلى دواة وقلم حين موته للتصريح باسم علي عليه السلام؟! فهل رأى أن لكلامه أثر الوحي الإلهي؟!][3]

٣ـ [هذا القرآن الكريم الموجود بيد المسلمين، والذي لم يطرأ عليه التغيير منذ صدر الإسلام حتى الآن، ولو بكلمة واحدة، بل لم يزد عليه ولم يقل منه حتى حرف واحد؛ هذا القرآن حين ننظر إليه بعين التدبر نجد أن المسألة ليست هي دعوة الناس إلى العزلة في البيت][4].

---

(١) تهذيب الأصول ج٢، ص ٤١٧.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

(٣) أنوار الهداية ج١، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٤) فهم القرآن، ص ٥٧٥، نقلاً عن صحيفة امام ج١٨، ص ٤٢٢.

٤ـ [الآن فإن الصورة المدونة ـ لهذا الكتاب ـ التي جاءت على لسان الوحي بعد طيها مراحل ومراتب، قد صارت بين أيدينا كاملة دون زيادة حرف أو نقصان حرف، فحذار من هجره لا سمح الله][١].

إعجاز القرآن الكريم:

إن من بعد إثبات سلامة القرآن الكريم من التحريف يكون من أهم المحاور التي يتم الحديث فيها حول القرآن الكريم هو الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، حيث أن كثيراً من القضايا لابد من الحديث عنها بعد إثبات إعجاز القرآن الكريم (وكل ما يتعلق به من مجالات الإعجاز وحدوده الزمانية والمكانية وغيرها من النقاط المؤثرة في فهم معنى الإعجاز) يتم الحديث بعد ذلك في بقية الأمور المتعلقة بالقرآن الكريم، وبدون إثبات إعجاز القرآن الكريم لا يمكن الحديث عنها والإعتماد عليها إذ سيكون القرآن قابل للنقد والإنتقاد بدون الإعجاز، وإليك كلام السيد الإمام قدس سره في هذا المجال:

[وقد أعلن القرآن الكريم في عدة مواضع عن إعجاز نفسه لتمام البشر في تمام العصور وعن عجز البشر جميعا بل عالمي الجن والإنس عن المجيء بمثله واليوم تشهد ملة الإسلام آية الله هذه بين يديها وهي تعلن لجميع البشر باطمئنان كامل أن هذه علامة نبوة النور الطاهر محمد صلى الله عليه وآله فأي شخص في الدنيا كثير الخوض في العلم والفكر يأتي بمثله فسنسلم ونتراجع عن أقوالنا.

وفي سورة بني إسرائيل الآية ٨٨: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

وفي سورة هود الآية ١٣: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ والآية ١٤ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ﴾][٢].

---

(١) فهم القرآن، ص ٥٥٨، نقلاً عن صحيفة امام ج ٢٠، ص ٩٢.

(٢) كشف الأسرار، ص ٧٠.

خلاصة الدرس الخامس عشر:

ـ الشريعة الإسلامية هي أكمل الشرائع على الإطلاق، ولم تشهد الحياة البشرية قانوناً ولا شريعةً بهذا الإتقان.

ـ أجمع المسلمون على سلامة القرآن الكريم من التحريف.

ـ تحدي القرآن الكريم دليلٌ على إعجازه، إذ قد تحدى جميع البشر، بل الإنس والجن أجمع وقد تدرج معهم بأن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ مثله بل وحتى سورةٍ مثله وعجزوا عن ذلك.

أسئلة حول الدرس: ؟؟؟

ـ ما الدليل على أحقية الدين الإسلامي؟

ـ بما أن الرسول الأكرم ﷺ حقق معجزاتٍ كثيرة، فما الحاجة للقرآن الكريم؟

ـ كيف تجيب على من يستدل بالروايات على وقوع التحريف في القرآن الكريم؟

المطالعة

❖ أوقاته الثابتة لتلاوة القرآن:

كان الإمام يتلو ما تيسر من القرآن في سبعة أوقات كل يوم يُكمل فيها ـ حسب قول الحاج السيد أحمد ـ أربعة أجزاء من القرآن يومياً، وهذه الأوقات هي:

١ـ قبل أذان الفجر.

٢ـ بعد صلاة الفجر.

٣ـ في الساعة التاسعة صباحاً.

٤ـ قبل صلاة الظهر.

٥ـ عصراً بعد قيامه بممارسة رياضة المشي.

٦ـ قبل صلاة المغرب.

٧ـ بعد صلاة العشاء.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحالات العبادية والمعنوية ص ١٦

شمولية الإسلام

شمولية الإسلام بحث ذو أهمية بالغة في إثبات حقانية هذا الدين الإلهي، فبدون إثبات الشمولية له يبقى ناقصاً ويحتاج إلى غيره لتكميله سواء من الأديان الأخرى أو من التنظير البشري الوضعي.

أخذ الإسلام على عاتقه بيان وكشف مدى شموليته قرآنياً وروائياً، فمنذ الصدر الأول للإسلام كان هذا البحث متداولاً ولكن ليس بالصورة المطروحة اليوم وليس بتشعبات وفروع هذا الزمان، إلى أن وصل الأمر إلينا وحاول الآخرون (من أعداء أو مستشرقين ـ شرقاً وغرباً) طرح الشبهات فكرياً وعقائدياً للتشكيك في شمولية الإسلام، فشمر علماؤنا الأعلام عن سواعدهم للرد على هذه الشبهات ودفع الإشكالات، ومن هؤلاء العلماء هو إمامنا الخميني العظيم قدس سره حيث كثر في زمانهم طرح هذه الشبهات وكانت بدايات لما نحن فيه من تسري هذه الشبهات للأوساط الإسلامية لعدم الإطلاع الكافي على الإسلام ومحتوياته، نذكر أحد هذه الشبهات كما ذكرها السيد الإمام قدس سره والجواب عنها:

[يقول المستشكل: **من المسلم أن قوانين الشرع مهما كانت جامعة وكاملة فمن المحال أن يتمكن من تأمين جميع احتياجات البشر في كل مكان وزمان مثل اليوم حيث نحتاج إلى قوانين كثيرة مثل قانون سند الملك ونحوه والبنك ومضي الزمان ومذهب المحاكم والمحاسبة والميزانية والجمرك والمئات من أمثالها التي لم تصل من الشرع.**

وفي مقام الجواب: **مقصودكم من قولكم أن قانون الشرع مهما كان فهو لا يفي بجميع احتياجات البشر إن الله لا يمكن أن يطلع على أحوال الناس لكثرة البلاد وكثرة أفرادها وتطاول الأزمنة وبالتالي لا يتمكن من وضع قانون جامع بين جميع الإحتياجات فيا أهلا بهذا التوصيف لله[1]. نحن نؤمن بأن الله يدير هذا**

---

(١) استخدم الإمام الخميني قدس سره هذا الأسلوب استخفافاً بما يعتقده المستشكل.

العالم الواسع الذي يحوي ملايين المنظومات الشمسية لا يغفل عن كل ذرة من ذرات العالم الواسع مما لا يحيط به العقل البشري ولن يدرك مهما توصل إليه القطرة من هذا البحر الذي لا ينتهي وكل الحاجات لكل موجود هي عنده ظاهرة قادر على رفعها. وذلك الإله الذي لا يعرف حاجات البشر ولا يتمكن من وضع قانون يفي بها وهم في هذه المنظومة الشمسية لا يساوون شيئا مع أن منظومتنا الشمسية هي أيضا بكل ما فيها أصغر من الذرة إذا قيست إلى الفضاء الواسع. إن هذا الإله لا نعترف به إلها بل لا نعتبره أفضل من إنسان كامل. أنتم تعتقدون أن الإله صغير لا قيمة له فتعترضون على قوانينه وتظنون أنه لا علم له بقانون سند الملكية والجمرك ولم يصل علمه أن يضع قانون الجمرك].[1]

عالمية الإسلام العزيز وخاتميته:

عرفنا مما سبق أن للإسلام القدرة على تغطية كل احتياجات البشر وشموليته لشتى مجالات الحياة، ولكن بقي أن نعرف هل أن الإسلام خاص بزمان أو مكان معين أم هو صالح لكل زمان ومكان؟ أي هل هو عالمي لكل أنواع البشر من البعثة إلى الحشر وفي كل مكان أو لا؟ هذا ما نريد أن نطرحه الآن.

يمكن إثبات عالمية الإسلام وخلوده عن طريق إثبات وقوع النسخ، وهذا ما تطرق له مفجر الثورة الإسلامية المباركة الإمام الخميني قدس سره في مقام الرد على شبهات النسخ، فقد بين الشبهة أولاً ثم ذكر الإجابة عليها واستدل على الجواب بالآيات القرآنية ثم ذكر الدليل العقلي على ذلك ببيانٍ شافٍ.

[من المسلم به كثرة الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث وعلة ذلك التغيير مراعاة مقتضيات الزمان ويمكن في مكان ما وفي ظرف ما أن لا يطرأ تغيير إلا

---

(١) كشف الأسرار، ص٢٦٤.

نادرا لكن هل يمكن أن لا يطرأ تغيير إلى الأبد؟. ثم إن ما تقولونه من أن شرع الإسلام مؤبد إن كان له دليل واضح نرجو بيانه.

هذا السؤال ينحل إلى سؤالين: أولهما: هل هناك دليل على كون شرع الإسلام ثابتاً في كل زمان ومكان؟ ثانيهما: إن كان هناك دليل فلماذا وقع النسخ خلال ما يزيد على العشرين سنة ولا نسخ في هذه المدة الطويلة لكن لو فرضنا أننا وجدنا دليلا من العقل والقرآن على أن الإسلام ثابت إلى الأبد لا يقبل النسخ لكن لم نجد الوجه في عدم نسخها فهذا لا يضر.

إبتداء نذكر الدليل على أن الإسلام مؤبد ولكل الناس وإن كان السؤال قد ذكر في غير ترتيب وأخر هذا.

أدلة من كتاب الله:

في القرآن الكريم أدلة على أن القرآن وأحكام الإسلام هي للأبد وكل البشر، نذكر بعضها:

١ـ سورة فصلت الآية ٤٢: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي هذا الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل لا في زمانه ولا في الزمان اللاحق له ولا يبطل قانونه وكيف لا يكون كذلك وقد أنزله الله الحكيم. ثم تقولون أن تبطل بقوانين أوروبا وقوانين المجلس الذي تعرف مشرعيها قانون الله الذي يقول أن لا شي يبطله وأن لا نعتني بكلام الله أليس هذا جهلا بالله؟

٢ـ الآيات ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٠[1] من سورة المائدة حيث ذكر في تلك الآيات قاعدة كلية أن لا حق لأحد في أن يحكم بغير ما أنزل الله. فالقوانين التي يسير

(١) هذا في الترجمة وفي الأصل ٤٤ـ ٤٥ ـ ٤٧ ولعل الصحيح كل ما ذكر.

عليها الناس إن كانت هي تلك القوانين الإلهية فلا كلام وإلا فبموجب هذه الآيات يكون الحاكم كافرا فاسقا ظالما.

٣ـ الآية ٨٥ من سورة آل عمران: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فإن كان هناك دين غير الإسلام لا تصح هذه الآية.

٤ـ الآية ٤٣ من سورة فاطر: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي تبديل لشرع الله ولا تغيير. وهذا دليل على أبدية شرع الله وسنته.

٥ـ الآية ٩٠ من سورة الأنعام: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.

٦ـ الآية الأولى من سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

٧ـ الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ففي هذه الآيات وآيات أخرى كثيرة وردت بهذا المضمون اعتبر الله رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم المنذر والرحمة لجميع العالمين وجعل القرآن تذكرة وشرعا لجميع العالمين ولا شك أن المراد كل البشر في أي عصر وجدوا وفي أي بلد عاشوا فبموجب هذه الآيات، الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أتى بشريعة إلى الجميع والإسلام شرع جميع العالمين أي كان في أي زمان وفي أي مكان. فلو كان القانون لزمان دون زمان أو لفئة دون فئة فلا ضير من التخلف عنه لسائر الناس ولا حسن في العمل به حتى يعتبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنذر لجميع العالمين والرحمة لجميع العالمين والقرآن تذكرة لهم.

٨ ـ الآية ٤٠ من سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فقد أعلن الله في هذه الآية ختم النبوة برسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم فإذن لن يأتي بعد قانون سماوي وشرع إلهي بواسطة أنبياء أخر

للبشر وقد أثبتنا في الجواب عن السؤال الخامس[١] بحكم العقل والقرآن أن قانونية أي قانون مخالف لقانون الله وقبول التشريع البشري مخالف للعقل والقرآن. فظهر أن الإسلام الذي هو آخر الشرائع الإلهية سيكون ـ كما دلت عليه هذه الآية ـ لجميع البشر وليست القوانين الأوروبية التي يعمل بها في هذا البلد إلا حبرا على ورق ولا يجوز تنفيذها.

وإذا أردنا أن نأتي بجميع الآيات الدالة على المقصود سيطول الكلام ولذا نكتفي بهذا المقدار وهو كان لمن لا يريد العناد، والمعاندون لن يرجعوا إلى الإنصاف وإن أتينا بجميع الآيات.

دليل العقل على هذا القول:

ولدينا دليل من العقل على أن الإسلام هو شرع جميع البشر في هذه الزمان أيضا والجميع مضطرون للإلتجاء إليه فبعد أن اتضح لزوم أن يكون للبشر قانون، بحكم العقل. وأن العالم والعالمين محتاجون إلى دستور وأن البلاد لا يمكن أن تدار بلا قانون. نقول هل لله حق في التشريع لبشر أم لا؟ إن قلتم لا فبالإضافة إلى أنه كلام على خلاف حكم العقل وأن هذا عدم اعتناء بالله نقول: لماذا إذن أنزل في القرآن وسائر الكتب السماوية تشريعا للبشر وقام بما هو ليس من صلاحياته فلا محيص من القول إن لله حق التشريع وحينئذ هل يتمكن أفضل من البشر في مجال التشريع أم البشر أفضل؟ لابد من القول هو الأقدر. وحينئذ هل أن التشريع الذي وضعه في الإسلام عملي بالنسبة إلى جميع البشر وفي هذا الزمان أم لا؟ إن لم يكن عمليا فلماذا بين للناس تكاليفهم في الأزمنة السابقة وتركهم لأنفسهم في هذا الزمان؟ فما هي هذه المحبة لأهل الزمان السابق وأي عداوة له معنا حتى يرسل لأولئك قرآنا بما فيه من التشريعات

---

(١) راجع كشف الأسرار، ص ١٧٥.

الكبرى وحدد لهم تكاليفهم في جميع شؤون حياتهم أما نحن فيكلنا إلى أنفسنا حتى نفعل كل ما نشاء ونذهب في أي طريق نريد. هل أن علم الله في هذا الزمان قليل والأوروبيون ومجالس النواب أقدر على صياغة القانون فتركهم لأنفسهم أم أنه عاند البشر ولم ير نفسه مسؤولا عن التشريع وإعطاء الحكم؟. وهذا كله على خلاف حكم العقل فلا محيص إذن من القول إن هذا القانون الذي لم يأت بعده قانون بحكم الضرورة فهو إذن تشريع لهذا الزمان أيضا ويجب أن يطبق.

بقاء شرع الإسلام ضروري:

فإن أحكام العقل على نحوين منها ما هي واضحة لا تحتاج إلى دليل مثل حسن العدل وقبح الظلم وأفضلية العلم من الجهل فإن هذه الأحكام وأمثالها ضرورية أي واضحة بينة بديهية. والنحو الآخر أحكام غير بينة مثل العلوم التي تنال بعد جهد وتعلم كالجبر ومقابله والفلسفة وأمثالها وهذه أحكام نظرية أي تحتاج إلى دليل وجهد. كذلك الأمر في القضايا التاريخية فإن بعضها من الضروريات وبديهيات التاريخ. واليوم لو سئل مؤرخ بأي دليل تقول إن سلاطين الصفوية حكموا في إيران أو أن نادر شاه الأفشاري كان ملك إيران فإنه يضحك ويستهزئ ولا يجيب. ولو سئل جغرافي من قال إن أوروبا موجودة في الأرض فلن يجيب إلا بالضحك وصرف الوقت على مثل هذا الأمر البديهي غير جائز. وكثير من الأحكام الدينية صارت من الواضحات والبديهيات بحيث لو سئل عنها فلا يكون السائل إلا مجنونا أو غبيا مثل أن يسأل أحد متى ادعى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله النبوة وما الدليل على أن القرآن كتاب ديني فكما أن جواب هذه الأسئلة ليس إلا الإستهزاء كذلك لو سأل أحد بأي دليل الإسلام مؤبد ونبي الإسلام إلى آخر الزمان وأنه آخر الرسل فلا جواب إلا الاستهزاء. فكل المسلمين في جميع أقطار الأرض كما يعلمون أن القرآن كتاب الرسول

وأن محمد بن عبد الله ﷺ رسول الإسلام وأنه أمر بديهي لا يحتاج إلى دليـل فبهذا الوضوح والبداهة نظرتهم إلى مسألة ختم النبوة بحيث لا يحتاج أي مسلم إلى دليل لاعتبار هذا من الإسلام من شدة وضوحه. وصرف الوقت في مثل هذا الأمر الواضح ليس إلا مضيعة للوقت فكل من يقبل الإسلام يقبل خاتميته][1].

---

(١) كشف الأسرار ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨.

خلاصة الدرس السادس عشر:

ـ الإسلام دينٌ شمولي يمتلك الرؤية الواقعية للوجود والحياة، كما أنه يمتلك البرنامج الكامل لتربية الإنسان والمجتمع. ولا يوجد أي شأن يفيد الإنسان والمجتمع إلا وكان للإسلام فيه حكمٌ وقانون.

ـ الإسلام دينٌ عالميٌ خالد ليس منحصراً بقوم أو عرق أو منطقةٍ، لأنه دين الله تعالى الذي هو إله كل العالمين. كما أنه لا ينحصر بزمنٍ أو مرحلةٍ من عمر البشرية.

ـ جميع ما يحتاجه البشر لسعادتهم الحقيقية أمرٌ ثابتٌ لا يتبدل والذي يتبدل هو صور بعض هذه الحاجات، وليس جوهرها.

؟؟؟

أسئلة حول الدرس:

ـ أذكر بعض الأدلة القرآنية على عالمية الإسلام وخلوده.

ـ ما هو الدليل على كون الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء؟

ـ أذكر الدليل العقلي على عالمية الإسلام وخلوده بشكلٍ مختصر.

للمطالعة

❖ النفس المهذبة ترى الموت عين الحياة:

عندما وقعت فاجعة السابع من تير، خشي جميع المسؤولين وكذلك السيد أحمد من أن لا يطيق الإمام تحمل خبر هذه الفاجعة العظيمة خاصة مع كونه مصابا بمرض في القلب، لذلك أخذ السيد أحمد جهاز المذياع الذي كان الإمام يضعه عادة عند رأسه أثناء نومه لكي لا يسمع الإمام بهذا النبأ قبل التمهيد لذلك، ولكن الإمام عندما استيقظ ولم يجد المذياع أدرك بفراسته القوية أن حادثة مهمة قد وقعت، ثم تم إخبار الإمام تدريجياً بهذا الخبر المؤلم. يقول السيد أحمد: كان الإمام يتمشى في ساحة المنزل وهو يتلو الأذكار وعندما اقتربت منه قال لي: «تقاربت الآجال» وكان يقول: «إن منطقنا هو منطق القرآن والإسلام ولا يمكن للأعداء أبدا أن يبطلوا هذا المنطق»، وكان يكرر مراراً القول: «مع وجود تهذيب النفس يكون الموت عين الحياة».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٢٨٥

الفصل الرابع

الإمامة

- الباب الأول: الإمامة العامة
- الباب الثاني: الإمامة الخاصة

الباب الأول: الإمامة العامة

الدرس السابع عشر

الخلافة والإمامة

الله تبارك وتعالى قد جعل في الأرض إلى مجموعة القوانين والتشريعات حكومة وجهاز تنفيذ وإدارة فالرسول الأعظم ﷺ كان يترأس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الإسلامي وإضافة إلى مهام التبليغ وتفصيل الأحكام والأنظمة، كان قد أهتم بتنفيذها، ومن بعد الرسول ﷺ كانت مهام الخليفة لا تقل عن مهام الرسول ﷺ ولم يكن تعيين الخليفة لبيان الأحكام فحسب، وإنما لتنفيذها أيضاً، وهذا الهدف هو الذي أضفى على الخلافة أهمية وشأناً، يشير الإمام قدس سره إلى هذا المعنى حين قال:

[نحن نعتقد بالولاية، ونعتقد ضرورة أن يعين النبي ﷺ خليفة من بعده، وقد فعل. ماذا يعني تعيين الخليفة؟ هل يعني مجرد بيان الأحكام؟ بيان الأحكام وحده لا يحتاج إلى خليفة. كان يكفيه ﷺ أن يبثها في الناس، ثم يودعها في كتاب يتركه في الناس، ليرجعوا إليه من بعده. فالحاجة إلى الخليفة إنما هي من أجل تنفيذ القوانين، لأنه لا احترام لقانون من غير منفذ، وفي العالم كله لا ينفع التشريع وحده، ولا يؤمن سعادة البشر، بل لابد من سلطة تنفيذية يكون افتقادها في أية أمة عامل نقص وضعف. ولهذا فقد قرر الإسلام إيجاد قوة تنفيذية من أجل تطبيقٍ أحكام الله. ولي الأمر هو الذي يتصدى لتنفيذ القوانين. وهكذا فعل الرسول ﷺ ولو لم يفعل فما بلغ ﴿رِسَالَتَهُ﴾[1]. وكان تعيين خليفة من بعده، ينفذ القوانين ويحميها، ويعدل بين الناس عاملاً متمماً ومكملاً لرسالته. النبي ﷺ لم يكن يكتفي في أيامه ببيان الأحكام وإبلاغها، بل كان ينفذها. فقد كان رسول الله ﷺ منفذ قانون. كان يعاقب، فيقطع يد السارق، ويجلد ويرجم،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ الآية ٦٧ من سورة المائدة.

ويحكم بالعدل. الخليفة يراد لأمثال هذا. الخليفة ليس مبلغ قوانين، أو مشرعاً، وإنما الخليفة يراد للتنفيذ، هنا تبدو أهمية تشكيل الحكومة، وإيجاد المؤسسات التنفيذية وضرورة تنظيمها. والإيمان بضرورة تشكيل الحكومة وإيجاد تلك المؤسسات جزء لا يتجزأ من الإيمان بالولاية. والعمل والسعي من أجل هذا الهدف هو مظهر من مظاهر ذلك الإيمان بالولاية][١].

مفهوم الإمامة:

الإمامة لغة الرئاسة[٢] فتقول إمام الجماعة أي رئيسهم وقائدهم، أما اصطلاحا فقد ذكر غير واحد من الأعلام بأنها رياسة عامة في أمور الدين والدنيا، بل يقول الشهيد مطهري قدس سره عند تعرضه لتعريف الإمامة ما نص ترجمته (لا يبدو أن فيه اختلافا حيث يقولون في التعريف: الإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا)[٣]، كما صرح بذلك صاحب الميزان قدس سره في كتابه الإسلام الميسر بقوله: تطلق الإمامة على رئاسة أمور الدين وإدارة الشؤون الدنيوية للمجتمع الإسلامي) [٤]، وقد ذكر الشيخ السبحاني دام ظله بأن هذا التعريف أليق على مذهب الإمامية[٥]، هذا بالإضافة للكثير من المصادر المعتمدة والعلماء المختصين اللذين يرتضون هذا التعريف ويدفعون الإشكالات الموجهة له منهم العلامة الحلي قدس سره في الباب الحادي عشر والفاضل المقداد قدس سره في اللوامع الإلهية وابن ميثم البحراني في قواعد المرام ومن المعاصرين الشيخ مصباح اليزدي دام ظله في دروس في العقيدة الإسلامية[٦].

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص ٢١ ـ ٢٢.

(٢) لسان العرب ج١٢، حرف الميم، فصل الهمزة ص ٢٤.

(٣) الإمامة ص ٩٤.

(٤) الإسلام الميسر ص ٢٠١.

(٥) الإلهيات ج٤ ص٨.

(٦) (الباب الحادي عشر، الفصل السادس في الإمامة، اللوامع الإلهية ص٣١٥ اللامع الحادي عشر، المقصد الأول، الفصل الأول، قواعد المرام ص ١٧٤ القاعدة الثامنة، الركن الأول، البحث الأول، ودروس في العقيدة الإسلامية الدرس ٣٦ مفهوم الإمامة).

معنى الإمامة وأوصاف الإمام:

الله تبارك وتعالى قد نصب من هو حاوياً لخصائص الرسول الأعظم ﷺ كلها عدا النبوة والرسالة وهذا هو معنى الإمامة وهذه هي أوصاف الإمام.

[لابد أن يعيّن الله العارف بكلام الله وكلام النبي ﷺ بالتفصيل ومن لا يخطىء في تنفيذ أحكام الله ولا يخون ولا يكذب ولا يظلم ولا يبغي لنفسه نفعاً ولا طمعاً ولا رئاسةً ولا جاهاً ولا أن يتخلف عن التشريع ولا يدعو أحدً للتخلف عنه ولا يتحسر على نفسه ومصالحه في سبيل الله. وهذا هو معنى الإمامة وهذه هي أوصاف الإمام، وهي لم توجد إلا في علي بن أبي طالب عليه السلام كما شهد بذلك التاريخ المعتبر والأخبار المتواترة من السنّة والشيعة][1].

الحاجة للأئمة عليهم السلام:

قد يتبادر إشكال لدى بعض الأذهان، وكثيرا ما يسمع، أنكم لماذا تركزون على الإمامة هذا التركيز وتولونها هذه الأهمية؟ أليس الله تبارك وتعالى أعلم بالمصالح؟ فلو كانت هناك حاجة للأئمة عليهم السلام لنص على ذلك في القرآن الكريم ولو مرة واحدة كي يرفع هذا الخلاف والإختلاف الذي تعيش ويلاته وتبعاته الأمة إلى هذا اليوم؟

يبدو أن المستشكل قد خلط بين ذكر اسم الإمام وتعيينه وبين أصل الإمامة، صحيح أن أسماء الأئمة عليهم السلام لم تذكر في القرآن الكريم وذلك لمصلحة اقتضت وهي كغيرها من التفصيلات التي لم تذكر، ولكن أصل الإمامة هو ثابت في القرآن الكريم في تفسير كثير من الآيات لدى الفريقين كما سيأتي، مع أن الحاجة للأئمة عليهم السلام أمر يقره العقل ولا يرتاب فيه عاقل سليم الفطرة حتى لو لم ينص عليها القرآن الكريم. وقد ذكر الإمام قدس سره هذا الإشكال وجوابه إذ قال:

[لماذا لم ينص الله تعالى على أصل الإمامة؟.

*** إذا كانت الإمامة الأصل الرابع من أصول المذهب، وأكثر الآيات القرآنية ناظرة إليها ــ كما يقول المفسرون ــ فلماذا لم ينص الله على مثل هذا الأصل**

---

(١) كشف الأسرار، ١٣٨.

المهم ولو مرة واحدة في القرآن حتى لا يقع النزاع وسفك الدماء بين المسلمين؟

يعلم الجميع أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد بعث في زمن كان الناس يرون فيه أن تعظيم الرب والفخر به هو بجعل بيت نارهم أكبر من بيوت النار الأخرى أو بيت أصنامهم أكثر فخامة وأصنامهم أكبر، أو بصنعهم الأصنام من المعادن الأثمن، وهكذا فمن كان ربه من ذهب فمكانته أكبر وأهميته أكثر من غيره، حتى أن الناس كانوا يحملون أربابهم في العربات إلى الحروب، كما فعل أهل مكة عندما أتوا بـ (هُبَل) في حربهم مع المسلمين. في مثل تلك الأيام أرسل الله نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وكانت دعوته الأولى للبشر أن يحطموا هذه الآلهة التي صنعوها وأن يبلغوا الفلاح بتوحيد الله (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[١]، ثم أتى بالقوانين السماوية التي ترتكز جميعها على أساس العقل وبلّغها إلى البشر بالتدريج ورمى الأفكار الجاهلية وما ابتدعه الناس من أنفسهم وشكّل حكومة عادلة ترتكز على شريعة السماء. وبعد عشرين ونيفاً من السنين التي حفلت بسلسلة جهود وتبليغات منطقية إلهية، وسيرة عادلة، وأخلاق عظيمة جالبة للقلوب، واستخدام قوى معنوية ومادية فريدة من نوعها وبذل الكثير من تضحيات المضحين في سبيل الدين الإلهي المقدس، وُفِّق رسول الله صلى الله عليه وآله لإقامة تشكيلات تقوم على العدالة والتوحيد. ولم يتوقف رسول الإسلام حتى آخر عمره عن بذل الجهد، كما هو معلوم للجميع ومنصوص في التواريخ، واستمر في تثبيت توحيد الله وتوحيد الكلمة والعقيدة حتى يقيم الدين والمذهب والمدينة الفاضلة.

فلو سألنا عقلاء العالم والذين يمسكون بزمام الأمور في الدنيا، هل لإبقاء هذا الأساس المحكم والدين السماوي العظيم أهمية في محافل العقلاء؟ هل يرون أن تثبيت الله لهذا الأساس بواسطة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله أمر لازم أم أن

---

(١) بحار الأنوار ج١٨، ـ باب أحواله صلى الله عليه وآله ـ، الباب الأول، ذيل الحديث ٣٢، ص ٢٠٢.

بقاءه وعدمه سواء، لا فرق بين أن يرجع الناس عن الدين أو أن يبقوا متـديـنين؟ وإذا كان الأمر سياناً فبمقدور العقلاء حينئذ أن يعترضوا على الله قائلين إن كان وجود الحكومة والدين وعدمه سواء فلماذاً أرسلت رسولاً وأنزلت كتاباً؟!

وبما أن الله منزه عن عدم الاعتناء بالتوحيد والعدل فاللازم أن يعطي أوامره لتركيز هذا الأساس بعد النبي ﷺ حتى لا يبقى الناس من دون تكليف بعده ولا تتحكم الأهواء وحب الرئاسة بالدين والبلاد.

إن نبياً لم يدع صغيرةً ولا كبيرةً إلا وبيّن حكمها «حتى أحكام التخلّي والرضاعة والخلوة مع المرأة» فهو إن لم يذكر حكم هذا الأمر المهم «الإمامة» الذي يرتكز عليه بقاء الدعوة والنبوة، وتتوقف عليه أسس التوحيد والعدالة، وإن لم يشر طوال عمره بأية كلمة إلى هذا الأمر تاركاً الدين الإلهي عرضةً لأغراض حفنة من الغزاة يقومون بعد موته بكل تلك الأعمال المعروفة عند الجميع طلباً للرئاسة، والتي ذكرت في كتب السنة والشيعة وكتب التواريخ. فسوف يعترض عليه عقلاء العالم ويلومونه ولن يعترفوا بنبوته وعدله وإنصافه.

إن نبينا ﷺ يقول (من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية)[1]، أي مات كافراً والله يأمره ويرسله بآيات القرآن لأجل الوصية، فأي اعتبار يمكن أن يعطى لنبي لم ينطق بكلمة واحدة تجاه هذا الأمر الذي هو أهم الأمور والوصية به أولى من كل شيء وأحوج، وأي اعتبار سيكون لنبي لم يعمل بقول الله؟!

نحن نعبد إلهاً نعرف أن أعماله ترتكز على أساس العقل ولا يعمل عملاً مخالفاً للعقل، لا إلهاً يبني بناء شامخاً من التألّه والعدالة والتدين ثم يخربه بيده، ويعطي الإمارة ليزيد ومعاوية وأمثالهم من المهاجمين، ولا يحدد المطلوب من الناس بعد النبي ﷺ، وإلى الأبد، فيساعدوا في تأسيس بناء الظلم والجور بدلاً من محاربته وتحطيمه.

---

(١) الوسائل ج١٩، الباب الأول (من أبواب الوصايا)، الحديث ٨.

إن رئيساً تحت يده خمسون موظفاً أو رب عائلة مؤلفة من عشرة أفراد إذا أراد أن يسافر لشهرين لا يبقي مؤسسته دون تحديد المطلوب ولا يدع عائلته بلا مسؤول، فكيف برسول الإسلام صلى الله عليه وآله الذي أتى بآلاف التشريعات السماوية العظيمة والإلهية المحكمة، وأقام نظاماً شامخاً مستنداً إلى حكم العقل وحكومة إلهية عادلة، وهو يريد أن يرحل عن هذه الأمة إلى الأبد، وقد خبر خلال الثلاثين أو الأربعين سنة الخائنين والمنافقين وعرفهم، والله أيضاً مطّلعٌ وعالم بأن حكومات جائرة ستتشكل بعد النبي صلى الله عليه وآله وسيجعلون الدين غطاءاً لأغراضهم المسمومة، فماذا يحكم العقل هنا؟ هل يجب أن يبين هذا الأمر العظيم والأساسي لبقاء التوحيد والعدالة أم يُهمل ويترك الدين تحت يد جماعة معلومة الحال ستزلزل الأمور بعد موته وتنشر الفوضى لكي تصل إلى الرئاسة والحكومة وتشعل نار الفتنة من ذلك الحين؟! هل يتراجع الله عن الهداية وإرشاد الأمة إلى صلاحها وهو قد عرّفّهم ذلك خلال أكثر من عشرين سنة، وأنزل في كتابه ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]. إن الأمة حين تتزلزل أسس التوحيد والعدالة فيها هي أحوج ما تكون إلى التنصيص على المطلوب منها بعد النبي صلى الله عليه وآله فهل تترك الأمة في ذاك الحين حائرة هائمة؟ ماذا يقول العقل والعقلاء؟ ماذا يحكم هذا الرسول الباطني للإنسان والذي ينير له الطريق في هذا المجال، ألا يلزم من الله والنبي صلى الله عليه وآله التصرف وفق حكم العقل أم أن الله يعبث ويأتي بنظام عظيم تصنعه يداه ليخرّبه فوراً؟! ألا يحكم العقل بأن الإمامة أصل مسلّم في الإسلام وقد حدّده الله، سواء أتى على ذكره في القرآن أم فرضنا أنه لم يأت على ذكره؟!][2].

ويقول رحمه الله في موضع آخر:

[لقد إختلف الشيعة والسنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في هذين الموضوعين اللذين أخذنا حكمهما من العقل. ومنذ الأيام الأولى أعلن الخلاف أعاظم

---

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) الإمامة عند الشيعة ص ٩ ـ ١٤، كشف الأسرار ص ١١٥ ـ ١١٧.

أصحاب النبي ﷺ الذين يحترمهم جميع المسلمين ولـم يطعـن فـيهم أحـد، كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحـسين عليهم السلام وسـلمان وأبـي ذر وعمار والعباس وابن عباس وأمثالهم "، وأرادوا تنفيذ كـلام الله والنبـي بـشأن أولي الأمر، إلا أنه كانت على الدوام تظهر خـلال المـسيرة البـشرية منـذ بـدء الخليقة جماعة تشل حكم العقل ويتحكّم فيها الطمع والهوى تدوس على الحق والحقيقة في كل زمان، وفي ذلك الزمان وجدت مثـل هـذه الجماعـة وقامـت بعملها. فكما يشهد التاريخ، بينما كان أولئك الأصـحاب المعظمـون منـشغلين بدفن النبي ﷺ إنعقـدت الـسقيفة ووصـل مـن وصـل إلـى الحكومـة فبـدأ الإعوجاج، وبعد إنقضاء عصر الإسلام الأول عاد الحوار بين الطائفتين. فالشيعة أتباع علي عليه السلام يقولون أن الإمامة بحكم العقل بوجوب نص الله عليها، والخلفاء والسلاطين لا يليقون بها، وأولو الأمر هم علي وأولاده المعصومون عليهم السلام الـذين لم يخالفوا الله في قول أبداً، فضلاً عن أن رسول الإسلام ﷺ قد نص علـى أن الإمام من بعده هو علي بن أبي طالب عليه السلام كما سيأتي][١].[٢]

---

(١) سيأتي في الدرس العشرون.

(٢) الإمامة عند الشيعة ص ١٧، كشف الأسرار ص ١٢٠.

خلاصة الدرس السابع عشر:

ـ تكمن الحاجة للخليفة عندما يراد تطبيق القوانين، لأنه لا احترام لقانون من غير منفذ، ولا يقتصر الأمر على مجرد بيان الأحكام.

ـ العقل هذا الرسول الباطني يحكم ويدرك أن رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم قد نص على الإمام قبل رحيله من هذه الدنيا ولم يترك الأمة من بعده حائرة لا تعرف السبيل.

ـ العقل يحكم أيضاً أن الإمامة من الأصول المسلمة في الإسلام وقد حدده الله تبارك وتعالى، سواءاً أتى على ذكره في القرآن الكريم أم فرضنا أنه لم يأت على ذكره.

أسئلة حول الدرس: ؟؟؟

١ـ ما هي العلاقة بين الإمامة والنبوة؟

٢ـ عرف الإمامة.

٣ـ بين الحاجة للأئمة عليهم السلام بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

للمطالعة

❖ كل ما لدينا هو من أهل البيت عليهم السلام

لاحظت شدة التزام الإمام ببرنامج عملي منظم طوال مدة إقامته في النجف الأشرف، فمثلاً كان موعد إقامته للصلاة أو زيارة الحرم العلوي ثابتاً لا يتقدم ولا يتأخر ولا دقيقة واحدة. كان يتلو زيارة (أمين الله) من جهة الوجه الشريف، ويسلِّم على سيد الشهداء عليه السلام من عند جهة الرأس الشريف ثم يرجع ويجلس ويقرأ زيارة (الجامعة الكبيرة) ويصلي ركعتين.

وقد التزم بذلك طوال إقامته في النجف، فلم أرَهُ ولا مرة واحدة يقول مثلا: لديّ الليلة ضيف فلا أستطيع الذهاب للزيارة، أو يقول: إن أجوبة الاستفتاءات لم تكتمل ونظائر هذه الأعذار، كان يقومُ بجميع أعماله في مواعيدها المعينة، ولم أر نظيراً له يعيش على وفق هذا النظام ويلتزم به بدقة. وقد قال بنفسه عن هذا الأمر:

«كل ما لدينا هو من أهل البيت عليهم السلام».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحالات العبادية والمعنوية ص٢٦

الدرس الثامن عشر

الدليل العقلي على الإمامة

دليل السيد الإمام العظيم قدس سره على ضرورة الإمامة وتعيين المصداق.

يمكن إثباتها ببرهانٍ مؤلف من ثلاث مقدمات:

أولاً: الله تبارك وتعالى شرع القوانين وسنّ الأحكام لسعادة الإنسان في الدارين (الدنيا والآخرة).

ثانياً: العقل يدرك ضرورة وجود الحافظ والحارس للدين، والسنة المطهرة ترى ذلك أيضاً.

ثالثاً: الأحكام الشرعية شرعت بشكلٍ مطلق أي لا تختص بزمانٍ دون آخر فهي تشمل عصر الرسول صلى الله عليه وآله وما بعده وشرعت للتنفيذ والتطبيق ـ فإن كل مشرِّعٍ (بحكم العقل) إنما يضع قانونه ليكون عملياً لا لمجرد أن يكتب ويقال ـ سواءاً كانت ثابتة أو متغيرة حسب الزمان.

وبملاحظة هذه المقدمات الثلاث نتوصل إلى نتيجةٍ مفادها:

هو أنه لابد من الإجابة على هذا التساؤل الملح وهو ماهي مواصفات الحارس بعد النبي صلى الله عليه وآله؟ ومن هو المطبق للأحكام والتعاليم الإلهية؟

نحن بين مصداقين للحافظ، الأول أن يكون غير حاملٍ لصفات الرسول صلى الله عليه وآله والآخر حامل لصفاته أي من العلم والعصمة المطلقة، فلو قلنا بالأول (أي أنه غير حاملٍ لصفات الرسول صلى الله عليه وآله) للزم تعطيل الأحكام ـ لكونه غير معصوم ـ ويلزم أيضا تحريف الدين وعدم بلوغ ووصول الإنسان إلى السعادة المرجوة والكمال الحقيقي وهذا كله وقع، ولو أفترضنا الثاني (أي أنه حاملٍ لمواصفات الرسول صلى الله عليه وآله) يتحقق المطلوب فيؤدي الشريعة ويطبق الأحكام.

.. فمن هو المقدم ليختار خليفة وإماماً مع لحاظ هذه الأهداف الإلهية والثاني هو الأفضل قطعاً بحكم العقل..

ومن هو هذا المصداق؟

لا يوجد شخص بين جميع الناس أقرب في علمه وصفاته وأحرص على الدين كشخص علي بن أبي طالب عليه السلام بشهادة التواريخ المعتبرة والأخبار المتواترة عن السنة والشيعة.

ومنه أيضاً نثبت الحاجة إلى ولاية الفقيه ببديهة العقل فهذه الزاوية تثبت أن أصل الولاية مسألة عقائدية (أي أنها من شؤون الولاية والإمامة التي هي من أصول المذهب)، لا فقهية نعم التفاصيل هي فقهية ونكتة إثبات ذلك هو نفس الدليل السابق.(١)

وسيأتي الكلام حول ولاية الفقيه في الدروس اللاحقة...

تعيين الإمام:

إشكالٌ:

من الإشكالات التي يطرحها البعض على الإمامة هو أن لو كانت الإمامة بهذه الأهمية فلم لم يذكر الله تعالى اسم الإمام في القرآن الكريم، وذلك لفض النزاعات وحقن الدماء طوال ما يقارب الأربعة عشر قرنا؟

إن المستشكل قد غفل عن عدة أمور منها:

١ـ أننا وبعد أن سلمنا بحكمة الله تعالى وعلمه، وبعد إثبات أصل الإمامة في القرآن الكريم وتفصيلاتها من الروايات الشريفة فلا داعي لهذا الإعتراض على حكمة الله عز وجل، إذ بعلمه يعلم أنه لا توجد مصلحة في إثبات الأسماء في القرآن الكريم مباشرة، وبحكمته أثبت الأصل في القرآن الكريم وأوكل التفصيل لنبيه صلى الله عليه وآله، فعلى هذا تكون الإمامة شأنها شأن كثير من الأمور المثبت أصلها في القرآن الكريم أما تفصيلاتها فموكولة للسنة النبوية.

٢ـ هذا بالإضافة إلى أن هذا التفريق بين حجية كلام الله عز وجل في القرآن الكريم وبين حجية كلام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، ـ خصوصا المقطوع به والمتواتر ـ هو تفريق من دون دليل، بل الدليل قائم على خلافه من عدم التفريق في الحجية، إلا إذا كانت الروايات معارضة لكتاب الله عز وجل فنترك الروايات، ولا تعارض في المقام.

٣ـ لو عكسنا المسألة بأن قلنا لو كان أمر الإمامة باطلا، فلم لم يذكر الله تعالى ذلك حقنا للدماء؟ مع أن الدليل قائم على ثبوت أصل الإمامة.

---

(١) منهجية الثورة ص ١١٥، كشف الأسرار ص ١٣٨، البيع ـ الجزء الثاني.

٤ـ لو ذكرت الأسماء بعينها، فكيف سيرتفع الخلاف وتحقن الدماء؟ ألا يكون ذكر الأسماء موقدا للحروب والقتل أكثر؟

هذا بالإضافة لعدة نقاط أخرى ذكرها السيد الإمام قدس سره في مقام جوابه عن هذا الإشكال.

[لِمَ لم يذكر الله تعالى إسم الإمام فيرتفع بذلك الخلاف وتحقن الدماء؟

جوابه:

١ ـ الإشكال وارد أيضاً على من يطرحه بلا فرق، فإذا كانت الإمامة أمراً باطلاً فلماذا لم يعلن الله بطلان هذا الأمر ليرتفع الخلاف بين المسلمين ولا يقع سفك الدماء؟ فقد كان من اللازم أن ينزل الله سورة يبيّن فيها أن علي بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام لا إمامة لهم في الإسلام وحينئذ لا يبقى خلاف يقيناً، لأن علي بن أبي طالب عليه السلام كما يعرفه الجميع لا يتخلّف عن أمر الله لحظة والجميع يعلم أنه لم يكن طالب رئاسة، (لكننا سنثبت مع ذلك أن الله حتى لو نص على اسمه فلن يرتفع الخلاف، بل ستترتب مفاسد أسوأ بكثير من مفاسد عدم النص).

٢ ـ القرآن، كما نعلم، كتاب دعوة إلى الدين في مقابل عدم التدين وقد جاء هذا الكتاب السماوي في الحقيقة لأجل تحطيم الآراء والعقائد الجاهلية الباطلة، ومع ذلك لم يتعرض للجزئيات بل بيّن الكليات وترك الجزئيات والتفاصيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فرفع خلافات ستقع بشأن الله تعالى هو أولى من رفع خلاف بشأن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن لم نر الله قام بهذا الفعل فالله لم يبين في القرآن ما يرفع الخلاف بشأن أنه هل هو ذو صفة أم لا؟ وهل أن صفاته عين ذاته أم لا؟ وهل هو جسم ذو مكان أم لا؟ وفي الجملة يندر أن لا يكون هناك خلاف بين المسلمين في فرع أو أصل مهما صغر، فليُعمم الإشكال في الجميع وليقل لماذا لم تذكر هذه الأمور كلها في القرآن بالتفصيل حتى لا يختلف الناس

بشأنها؟ (ونحن سنبين أن جميع هذه الخلافات التي وقعت في جميع الشؤون هي من آثار السقيفة، فلولاها لم يقع أي خلاف بين المسلمين في التشريعات السماوية).

٣ ـ لو فرضنا أن القرآن قد نص على اسم الإمام فكيف يرتفع الخلاف؟ إن أولئك الذين تمسّكوا بدين النبي صلى الله عليه وآله سنيناً طمعاً بالرئاسة وحباً بها لم يكونوا مستعدين للتراجع ـ حتى مع نص القرآن ـ عن الوصول إلى مآربهم. وكان من الممكن أن يشكلوا حزباً ضد الإسلام، لو أن ذلك كان هو السبيل الوحيد أمام الوصول إلى الرئاسة، ولكان ثار المسلمون حينئذٍ وما سكت علي بن أبي طالب عليه السلام وباقي المؤمنين.

وبملاحظة أن الإسلام كان لا يزال فتياً فإن مثل هذا الخلاف العظيم سيقضي على أصل الإسلام وسيفني حتى ذلك الإسلام الصوري.

إذاً فالتصريح باسم علي بن أبي طالب عليه السلام مخالف للمصلحة من وجود أصل الإمامة والذي يهدف إلى منع حدوث أي أمر يخالف مصلحة الدين وأهدافه.

٤ ـ كان من الممكن إذا نصّ القرآن على الإمام أن يعمد أولئك الذين لا يربطهم بالإسلام والقرآن إلا الدنيا والرئاسة ويريدون أن يصلوا من خلال القرآن إلى تحقيق نواياهم السيئة، أن يعمدوا إلى حذف تلك الآيات من القرآن وتحريف الكتاب السماوي إلى الأبد.

فيبقى هذا العار على المسلمين إلى يوم القيامة ويصيب كتاب المسلمين ما أصاب كتاب اليهود وكتاب النصارى.

٥ ـ لو فرضنا أن شيئاً لم يحصل من هذه الأمور فلن يرتفع الخلاف أيضاً لأنه كان من الممكن أن ينسب أولئك الذين شكلوا حزباً في طلب الرئاسة والذين ما كانوا ليتراجعوا أبداً، حديثاً إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وآله أنه قال قبل

وفاته أمركم شورى بينكم وأن الله قد خلع علي بن أبي طالب ﵇ من هذا المنصب][١].

استمرار الإمامة:

الإمامة هي الإمتداد الطبيعي للنبوة، وكما هو حكم العقل بتعيين إمام وخليفة بعد النبي ﷺ لمواصلة المسيرة الإلهية فقد عمل الرسول الأكرم ﷺ بهذا الحكم وطبقها وهو أعقل المخلوقات على الإطلاق، فكيف يمكن تصور مخالفته للعقل وأحكامه وهو أحرص الناس على هذه الأمة التي قدم الغالي والنفيس في سبيل إيصالها للسعادة والكمال والهداية الربانية، وهكذا انتهج الأئمة الأطهار ﵈ منهج سيدهم ومقتداهم واحداً تلو الآخر، إلى أن وصلت النوبة للإمام المنتظر ﷻ فأوكل هذه المهمة للفقهاء الحائزين على الشروط التي عينها وحددها، ولم يكن منطلق كل ذلك هوى النفس بل عن علم وعصمة من قبل الله جل وعلا.

[عندما أراد الرسول الأكرم ﷺ أن يغادر هذه الدنيا عيّن خليفته وخلفاءه حتى زمان الغيبة، وإن الخلفاء أنفسهم عيّنوا إمام الأمة. وبشكل عام فلم تترك هذه الأمة وشأنها، حتى تبقى حائرة، بل عين لها الإمام والقائد.

وكان القائد والإمام هم أئمة الهدى ﵈ ماداموا أحياءاً، ومن بعدهم الفقهاء ـ أولئك الملتزمون منهم ـ والعارفون بالإسلام، أولئك الذين امتازوا بالزهد، وكانوا زهاداً، والذين أعرضوا عن الدنيا، ولم يهتموا بزخارفها، والذين يتحرّقون لأجل هذه الأمة، والذين يعتبرون أبناء الأمة مثل أولادهم، فقد عيّنوا هؤلاء للدفاع عن هذه الأمة][٢].

---

(١) الإمامة عند الشيعة ص ١٨ـ ٢٠، كشف الأسرار ص ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٢) منهجية الثورة ص ١١٦.

خلاصة الدرس الثامن عشر:

١ـ الأحكام الإلهية والمبادئ الشرعية شاملة لكافة الأزمنة أي أنها ليست مختصة بزمان دون آخر فهي تشمل عصر الرسول صلى الله عليه وآله وما بعده فهي لا تتبدل بتبدل الأزمان.

٢ـ التشريع إنما وضع للإجراء والتطبيق لا لمجرد أن يكتب ويقال، وإلا لزم العبث.

٣ـ لقد تم تعيين الإمام من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قبل رحيله.

أسئلة حول الدرس:

١ـ بين الدليل العقلي على الإمامة بشكل مختصر.

٢ـ كيف تجيب على الإشكال القائل: (لو كانت الإمامة بهذه الأهمية فلم لم يصرح الله تعالى باسم الإمام في القرآن الكريم)؟

٣ـ كيف تم تعيين الأئمة عليهم السلام؟

للمطالعة

❖ الأشد صبراً في المصائب والأشد جزعاً على مصائب أهل البيت عليهم السلام

لقد شاهدت الإمام مراراً في مجالس العزاء الحسيني التي كانت تُعقد في بيوت بعض السادة العلماء أو في مسجد (بالاي سر) في حرم السيدة المعصومة (فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام)، وكانت تظهر من الحاضرين ردود فعل مختلفة تتناسب وطبيعة ما يقوله الخطيب، فبعضهم كان يبتسم بل ويضحك إذا كان ما يقوله الخطيب مثيراً للحزن، وبعضهم يبكي بصوتٍ عالٍ أو منخفض. أما الإمام فكان يجلس مصغياً بسكينةٍ تثير الإعجاب في كل مَن يراه فإذا وصل الخطيب إلى ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام، أخرج المنديل من جيبه وشرع بالبكاء دون اختيار وانهمرت دموعه بغزارة.

كنت أراه أحياناً يضع المنديل على فمه وهو يصغي لما ينقله الخطيب من مصائب أهل البيت عليهم السلام والدموع تجري من عينيه. ويمكن القول أن صبر الإمام وتحمله تجاه مختلف الحوادث أشد من الآخرين مثلما أن بكاءه وجزعه على مصائب أهل البيت عليهم السلام أشد من الآخرين أيضاً.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحالات العبادية والمعنوية ص٣٩ ـ ٤٠

صفات الإمام

يعتقد الشيعة الإمامية في مجال تعيين الإمام بأن الشخص الذي يصل إلى مرتبة الإمامة لابد أن تتوفر وتتحقق فيه ثلاث مواصفات وامتيازات:

أولاً: أن يكون معيناً من قبل الله تبارك وتعالى، إذ أنه العالم الحكيم.

ثانياً: يجب أن يكون حاوياً لملكة العصمة من جميع الجهات ـ أي في أقواله وأفعاله ـ عن جميع الأخطاء والمعاصي في أي حالة كانت وفي جميع مراحل حياته.

ثالثاً: يجب أن يمتلك الإمام العلم الموهوب من الله تبارك وتعالى والذي يسمى بالعلم اللدنّي، ليتمكن الآخرون من الإعتماد عليه، وإلا يصبح جاهلاً، أو يقع في الكذب فلا يسمع لقوله، هذا بالإضافة إلى كونه ملماً بالكمالات الخلقية والخلقية.

في الإشارة إلى مقام الأئمة عليهم السلام:

إن إدراك مقام الأئمة عليهم السلام يتأتى لمثل العقل البشري الناقص القاصر، فهو مقام غيبي لا يتناول إلا عن طريق الوحي والمعصومين عليهم السلام، بأن ينقلوا لنا شيئا من ذلك علمياً، وإن كنا لا ندرك تمام ذلك حتى على المستوى العلمي، وهذا يجري لجميع جهات كمالهم سواء طينة أبدانهم أو علمهم أو مقاماتهم الروحانية أو غيرها على جميع الأصعدة وكل العوالم. يقول إمام الأمة قدس سره:

[إعلم أن لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مقاماً روحانياً شامخاً، في السير المعنوي إلى الله، يفوق قدرة استيعاب الإنسان حتى من الناحية العلمية، وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان. كما يستفاد من الأحاديث الشريفة، أنهم عليهم السلام يشاركون الرسول صلى الله عليه وآله في مقام الروحانية وأن أنوارهم المطهرة كانت تسبّح وتقدّس للذات المتعال قبل خلق العالم.

الكافي: بإسناده عن محمد بن سنان قالَ: «كنت عند أبي جعفر الثاني (الإمام الجواد عليه السلام) فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمد، إن الله تبارك وتعالى لم

يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تعالى.

ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد».[1]

وبإسناده عن المفضل قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل، كنا عند ربنا، ليس عنده أحدٌ غيرنا في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده، وما من ملكٍ مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء من الملائكة وغيرهم ثم أنهى علم ذلك إلينا».[2]

إن الأحاديث المأثورة في طينة أبدانهم، وخلق أرواحهم ونفوسهم، وفيما منحوا من الإسم الأعظم، والعلوم الغيبية الإلهية من علوم الأنبياء والملائكة، ومما هو أعظم مما لا يخطر على بال أحد، وهكذا الأخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الأبواب من الكتب المعتبرة وخاصة كتاب أصول الكافي، إنّ مثل هذه الأخبار كثيرة وباعثة على تحير العقول، ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم صلوات الله عليهم إلا أنفسهم. وهذا الحديث الشريف الذي بين أيدينا يحتوي على إيماءة لفضيلة واحدة من فضائلهم، وهذه الفضيلة هي آية التطهير التي نزلت حسب الأخبار المتواترة المنقولة عن طرق العامة والخاصة في أهل بيت العصمة عليهم السلام، والمقصود من أهل البيت في آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[3] المباركة على ضوء اتفاق الشيعة والأخبار

---

(١) أصول الكافي ج١، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، ح ٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ح٧.

(٣) سورة أحزاب: ٣٣.

المستفيضة أو المتواترة المأثورة في تفسيرها، هم آل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام الذين هم يكونون من قبيل توضيح الواضحات][1].

ويقول قدس سره في موردٍ آخر:

[إن مقام هؤلاء الأولياء عليهم السلام أسمى وأرفع من أن تنال آمال أهل المعرفة أطراف كبرياء جلالهم وجمالهم، وأن تبلغ خطوات معرفة أهل القلوب ذروة كمالهم][2].

العصمة وعلم الإمام:

عصمة الإمام: في بيان حقيقة العصمة:

قد مر الكلام حول العصمة في أبحاث النبوة، فالكلام هو الكلام، ولكن نتطرق لأمر آخر هنا دفعاً لتوهم محتمل، وهو هل أن القول بالعصمة يستلزم الجبر أم لا؟ يتضح الجواب بعد الرجوع لشبهات العدل. ولتوضيح ذلك نقول: أن الله تبارك وتعالى عندما عصم الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأعطاهم هذا المقام، أعطاهم باختيارهم، إذ هم اختاروا هذا الطريق وهو يعلم مسبقاً بأنهم في هذا المقام دون غيرهم، فلعلمه وحكمته أعطاهم مقام العصمة لأنهم هم اختاروه فعصموا أنفسهم، وتنسب العصمة لله إذ هو المعطي الحقيقي والمؤثر في الوجود، وكذلك ينسب له كل خير، لأنه الخير المطلق، فكل خير هو منه أولاً وبالذات وينسب للعبد ثانياً وبالعرض.

[لقد فسر «الرجس» في هذا الحديث الشريف وأحاديث أخرى، بالشك، وفي بعض الأحاديث بجميع العيوب فهم مطهرون عنها. وتبين من الشرح لبعض الأحاديث السابقة[3]، أن نفي الشك يستلزم، نفي العيوب القلبية والقالبية، بل

---

(١) الأربعون حديثاً ح ٣١، ص ٦٠٤ ـ ٦٠٥.

(٢) الأربعون حديثاً ح ٣١، ص٥٩٧.

(٣) راجع الأربعون حديثاً ح ٢٥.

يستلزم العصمة، لأنها ـ العصمة ـ أمر على خلاف الإرادة والإختيار، وإنها لا تكون من الأمور الطبيعية والجبليّة، بل هي حالة نفسية، وأنوار باطنية تتفجر من نور اليقين الكامل والإطمئنان التام].(١)

في بيان علم الإمام:

عندهم روح القدس:

يقول الإمام قدس سره:

[إن للأنبياء والأوصياء عليهم السلام مقاماً شامخاً من الروحانية يدعى بـ (روح القدس)، ومن خلاله يتمتعون بالاحاطة العلمية القيّومية لجميع الكائنات حتى ذراتها الصغيرة جداً، ولا توجد فيها الغفلة والنوم والسهو والنسيان وكافة الحوادث والتغيرات والنقائص الملكية، بل تكون من عالم الغيب المجرد، والجبروت الأعظم.. إن تلك الروح المجرّدة الكاملة، أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام رغم أنهم أعظم القاطنين في مقام قرب الجبروت](٢).

علم الكتاب:

يشير إمام الأمة قدس سره إلى ذلك في حديثه عن نزول الكتاب التكويني قائلاً:

[... فهذا الكتاب التكويني الإلهي وأولياءه الذين كلهم كتب سمائية نازلون من لدن حكيم عليم وحاملون للقرآن التدويني، ولم يكن أحد حاملاً له بظاهره وباطنه إلا هؤلاء الأولياء المرضيين كما ورد من طريقهم عليهم السلام.

فمن طريق الكافي عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كلَّه، ظاهره وباطنه، غير الأوصياء»(٣)...

---

(١) الأربعون حديثاً ح٣١، ص ٦٠٥

(٢) الأربعون حديثاً ح ٣١، ص ٥٩٧.

(٣) أصول الكافي ج١، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وأنهم يعلمون علمه كله، ح ٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «وعندنا والله علم الكتاب كلّه»][(١)(٢)].

وظائف الإمام:

قد ذكرنا سابقاً أن ختم النبوة ـ إنما يكون موافقاً للعقل ـ فيما لو اقترن بتعيين الإمام الحامل لصفات الرسول صلى الله عليه وآله المطبق والمجري للقانون فلا يقر العقل أن الله الحكيم المتعال يدعو إلى تنفيذ أحكام الإسلام في فترةٍ زمنيةٍ معينة، ومن بعد هذه الفترة تعطل وتجمد وتصبح لغواً لا نفع لها. فمن هنا يتبين لنا أنَّ الإمامة في الواقع هي إستمرارٌ لوظائف النبوة وكل الصلاحيات والمسؤوليات التي تقع على عاتق النبي صلى الله عليه وآله، هي نفسها واقعةً على عاتق الإمام عليه السلام.

نعم ما يمتاز به النبي صلى الله عليه وآله هو أنه يتلقى الوحي والإرشاد المباشر من الله تبارك وتعالى، بينما الإمام عليه السلام يبين الأحكام والتشريعات ويجريها بطريقٍ ليس بمباشر بل بإستقاءٍ وتزودٍ من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

يقول الإمام الخميني العظيم قدس سره:

[... فبحكم العقل، كما أن للدين والقرآن والرسول أهميتهم عند الله تعالى كذلك يجب أن تكون الإمامة لأنها القوة الإجرائية. والإجراء هو المقصود الأصلي من الدين والتشريع. وبالتالي فإن تشريع القانون يصير لغواً خالياً من الفائدة بدون الإمامة، وهذا مخالف لحكم العقل، فبالإمامة يكمل الدين ويتم التبليغ فظهر معنى قوله تعالى في حجة الوداع بعد نصب أمير المؤمنين عليه السلام للإمامة، كما شهد بذلك أهل السنة وإتفق عليه الشيعة: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»[(٣)]][(٤)].

---

(١) نفس المصدر السابق، ح ٥.

(٢) شرح دعاء السحر ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) سورة المائدة: ٣.

(٤) الإمامة عند الشيعة ص ٤٢ـ ٤٣، كشف الأسرار ص ١٣٨.

ويقول قدس سره في مكانٍ آخر:

[كان الهدف الحقيقي من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو إقامة العدل والقسط في الناس، وتنظيم حياتهم بموجب الموازين الشرعية، ولا يتم ذلك إلا بالحكومة التي تنفذ الأحكام وهذه الحكومة كما تتمثل في شخص النبي أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تتمثل كذلك في الأئمة عليهم السلام...](١).

في بيان مظهر شفاعة الشافعين:

إن شفاعة الشافعين مرهونة ومشروطة بالإهتداء بهداهم والسير على دربهم وخطاهم، فلا يتوهم العبد بأنه سيحصل على شفاعة الشفيع من دون عمل مسبق ورصيد في هذه الدنيا، فالشفاعة هناك مقيدة بالهداية والعمل هنا، ويعطى العبد من درجات الشفاعة بمقدار عمله وهدايته.

[إن مظهر شفاعة الشافعين في هذه الدنيا هو الإهتداء بهداهم، وفي ذلك العالم هو الشفاعة لأنها باطن الهداية. فإذا حرمت الهداية هنا، حرمت الشفاعة هناك. وعلى قدر اهتدائك تكون لك الشفاعة. إن شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل رحمة الله تعالى المطلقة تنال من هو جدير بها](٢).

دفع توهم ـ حديث المعرفة:

قد يتوهم البعض بأن محبة أهل البيت عليهم السلام هي سبيل النجاة ـ وإن عمل المرء ما عمل من خطايا وذنوب ـ وهذا من الأمور الإعتقادية القبيحة التي تصدى لها أئمة أهل البيت عليهم السلام منذ ذلك الزمان وتبرؤا ممن يعتقد بها وأوضحوا الأمر ببيان لا يشوبه أي تعتيم وغير قابل للتأويل من قبل المغرضين.

[قال الراوي: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «حديثٌ روي لنا أنك قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت، فقال: قد قلت ذلك: قال: قلت: وإن زنوا وإن سرقوا وإن شربوا

---

(١) الحكومة الإسلامية ص ٧٢.

(٢) الأربعون حديثاً ح٨، ص ١٨٩.

الخمر؟ فقال لي: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما أنصفونا أن نكون أخذنا بالعمل ووضع عنهم! إنما قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره فإنه يقبل منك)[1]][2].

ويشير قدس سره إلى هذا المعنى، حيث يقول:

[أن الاعتقاد بمشروعية تسويد صحف الأعمال اتكالاً على محبتهم وولايتهم عليهم السلام مصيبة من المصائب الكبيرة وافتراء وسوء فهم، وهو ما لا يدعو إليه المعصوم عليه السلام بل في منتهى البعد عن هذا المعنى][3].

وفي موردٍ آخر، يقول قدس سره: [«**إن هذا المسكين يظن أن مجرد ادعاء التشيع وحب التشيع وحب أهل بيت الطهارة والعصمة عليهم السلام يسوغ له ـ والعياذ بالله ـ اقتراف كل محرم من المحذورات الشرعية ويرفع عنه قلم التكليف. إن هذا السيء الحظ لم ينتبه بأن الشيطان قد ألبس عليه الأمر فيخشى عليه في نهاية عمره أن تسلب منه هذه المحبة الجوفاء التي لا تجدي ولا تنفع ويحشر يوم القيامة صفر اليدين وفي صفوف نواصب أهل البيت عليهم السلام. إن ادعاء المحبة من دون دليل وبينة لا يكون مقبولاً إنه لا يمكن أن أكون صديقك وأضمر لك الحب والإخلاص ثم أقوم بكل ما هو مناقض لرغباتك وأهدافك. إن شجرة المحبة تنتج وتثمر في الإنسان المحب العمل حسب درجة المحبة ومستواها. فإذا لم تحمل تلك الشجرة هذه الثمرة فلابد من معرفة أنها لم تكن محبة حقيقية وإنما هي محبة وهمية.**

إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته العظام عليهم السلام، قد بذلوا حياتهم في نشر الأحكام الشرعية والعقائد والأخلاق، وأرادوا في ذلك البلوغ إلى منشودهم

---

(١) أصول الكافي ج٢، باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة والكفر لا ينفع معه حسنه، ح٥.

(٢) الأربعون حديثاً ح ٣٣، ص ٦٢٢.

(٣) أهل البيت عليهم السلام في فكر الإمام الخميني قدس سره ص ١٧، نقلاً عن الأربعون حديثاً.

الوحيد وهو إبلاغ أحكام الله وإصلاح الإنسان وتهذيبه، واستساغوا في هذا السبيل الشريف أنواع السلب والقتل والإذلال والإهانة، ولم يتوانوا في ذلك.

فمحب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم هو الذي يشاركهم في أهدافهم ويعمل على ضوء أخبارهم وآثارهم. إن ما ذكر في الأخبار الشريفة من أن الإقرار باللسان والعمل بالأركان من دعائم الإيمان، فهو بيانٌ لسر طبيعي، ولسنة الله الجارية، لأن حقيقة الإيمان، تلازم العمل والتنفيذ. إن العاشق في جوهر طبيعته، يظهر العشق تجاه المعشوق ويتغزّل به، وإن المؤمن إذا لم يعمل بمتطلبات الإيمان وما تستدعيه محبة الله وأوليائه لما كان مؤمناً ومحباً، وإن هذا الإيمان الشكلي والمحبة الجوفاء من دون جوهر ومضمون ينتفي ويزول أمام حوداث بسيطة وضغوط يسيرة][1].

في بيان المودة للآل عليهم السلام:

ما هو المقصود بالأجر المذكور في آية القربى؟ وعلى من يعود؟

يقول السيد الإمام قدس سره في الجواب عن هذا السؤال:

[عندما يحدد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أجره بـ ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2]، فإن صورة هذه المودة في العالم الآخر قد تكون بالنسبة إلينا أعظم الصور نوراً وعطاءاً. وهذا هو أيضاً من أجلنا نحن ومن أجل وصولنا إلى السعادة والرحمة. إذاً، فأجر الرسالة عائد إلينا أيضاً، ونحن الذين ننتفع به، فأيّة منّة لنا نحن المساكين عليهم؟!... وأيّة فائدة تعود عليهم عليهم السلام من إخلاصنا لهم وتعلقنا بهم؟!][3] .

---

(١) الأربعون حديثاً ح ٣٣، ص ٦٣١ـ ٦٣٢.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) الأربعون حديثاً ح٢، ص ٦٨ـ ٦٩.

خلاصة الدرس التاسع عشر:

١ـ إن العقل البشري قاصر عن إستيعاب المقام الروحاني الشامخ لأهل البيت عليهم السلام.

٢ـ علم الإمام عليه السلام مستند إلى العلم الغيبي من الله تبارك وتعالى.

٣ـ الإمام هو المكمل لمسيرة النبي صلى الله عليه وآله والمطبق لشريعته، كما أنه يأخذ وظائفه.

؟؟؟

أسئلة حول الدرس:

١ـ اذكر الصفات الواجب توافرها في الإمام عليه السلام.

٢ـ تحدث باختصار عن علم الإمام عليه السلام، موضحاً معنى روح القدس.

٣ـ ما هي وظائف الإمام عليه السلام؟

للمطالعة

❖ إعملوا بكل ما تأمرون به أطفالكم:

قال الإمام لإبنتي التي كانت تشكو من ولدها حسين لكثرة أعماله الصبيانية:

«أنا مستعد لأن أهبك ثواب جميع عباداتي مقابل ثواب تحملك لشيطنة حسين الطفولية»! كان يؤمن بلزوم إعطاء الأولاد حرية اللعب إلى أن يكبروا ثم توضع لهم الحدود بعد ذلك، وكان يقول بشأن تربية الأولاد: «كونوا صادقين معهم ليكونوا صادقين معكم، فالوالدان هما قدوتهم، إذا أحسنتهم معاملتهم أصبحوا من الصالحين، اعملوا بكل ما تأمرون به الأطفال».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الإجتماعية ص ٢٧

الباب الثاني: الإمامة الخاصة

الدرس العشرون

إن أهمية الإمامة في الإسلام لا تقل عن بقية المفاهيم والقيم، فقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة بها، فأكد عليها في كثير من الآيات حتى جمعت الآيات الواردة في شأن الإمامة مع روايات التفسير وأقوال العلماء فيها وصارت محل بحث واستدلال على صحة الإمامة وأنها في أئمة أهل البيت عليهم السلام دون سواهم، إذا نظرنا للقرآن الكريم بشيء من التأمل نجده يهتم بأمور هي أقل أهمية وأثراً من الإمامة، فكيف يتصور أنه ـ وهو الحكيم العالم ـ يترك ذكر الإمامة ولو بالإشارة؟

[إن البحث في الإمامة بحر لا ينتهي والكتب التي كتبت في هذا الموضوع منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حتى الآن بأقلام الشيعة والسنة هي أكثر من أن يتمكن من إحصائها أحد...].

الأدلة القرآنية على الإمامة:

[... لقد أعطى الله الإمامة أهمية كبيرة في القرآن، والآيات التالية تبين أن الإمامة لم تكن أمراً بسيطاً أو سياسياً سكت عنه القرآن والمسلمون كما زعم البعض. بل إن الله وحتى المخدرات من المؤمنين قالوا كلمتهم وسعوا سعيهم، لكن حزب طلاب الدنيا وطلاب الرئاسة كانوا الأكثرية دائماً ولم يدعوا التدين الذي يرتكز على العدالة وترك الشهوات وتجاوز اللذات يجري مجراه.

والقرآن الكريم يعد حافل بالآيات التي تصرح بهذا الأصل ومنها:

١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[١]. فالله تعالى شكل في هذه الآية حكومة الإسلام إلى يوم القيامة، ومن الواضح أنه لم يوجب طاعة أحد إلا هؤلاء الثلاثة، وحيث أوجب إطاعة أولي الأمر فلا

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

محيص عن أن تكون الحكومة الإسلامية حكومة واحدة لا أكثر. وأن لا يكون هناك أكثر من تشكيلة واحدة وإلا لزم الهرج والمرج. وإذا كانت إطاعة الله والنبي صلى الله عليه وآله وسلم واضحة فالذي يجب على العقل أن يبحثه هو تحديد من هم أولو الأمر؟ وما هي مواصفاتهم؟ يقول البعض إن السلاطين والأمراء هم من أوجب الله على الناس إطاعتهم وإتباعهم، وقد آمنوا أن سلاطينهم من أمثال مصطفى كمال باشا رئيس تركيا، ورضا خان شاه إيران هم أولوا الأمر وأن طاعتهم واجبة. والسنة طبقوا ذلك على الخلفاء المسلمين ومن جملتهم معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية وسائر الخلفاء الأمويين والعباسيين.

والآن نسأل العقل الذي وهبنا الله تعالى إياه هل أن الله الذي أرسل رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بآلاف الأحكام السماوية وأسس حكومته على التوحيد والعدالة، وبعد الجهود الكثيفة في تعليم القوانين الإلهية وتطبيقها والتضحية لمنع الظلم والفحشاء وأمر الناس ونهيهم، هل يمكن أن يأمر الله الناس أن يطيعوا أتاتورك الذي يقول أن الدين غير معترف به في الدولة، مع ما يعرفه الجميع من الظلم الذي ألحقه هذا الطاغية بالمؤمنين وما أتى به من منافيات العفة ومخالفات الأحكام الإلهية؟!

إن هذا الإله الذي أقام أساس العدل والدين ثم يخرب الأمر بيده لا يعترف به ذوو الألباب ولا يقرّون له بالألوهية والعدل والإنصاف، فإن مقام الألوهية منزّه عن هذا العمل الباطل. أفهل يقال أن الله لم يكن يعلم بأن الظالمين سيتسلطون على الحكم وكان يظن أنهم موافقون له؟! إن هذا خلاف حكم العقل لأن من لا يعلم بعباده ليس إلهاً. أم يقال أن الله تراجع عن إقامة العدل والتوحيد ودعا الناس إلى الشرك والظلم والفحشاء؟! إن هذا أيضاً خلاف حكم العقل ومن كان كذلك ليس إلهاً.

لا بد إذاً من القول بأن أولي الأمر ليسوا هم السلاطين والأمراء. ومع ذلك يقول البعض أن الله قد أمر بإطاعة معاوية ويزيد، اللذين يعرفهما الجميع ويعرفون أفعالهما، مما يعني أن جرائم معاوية وقتل يزيد للحسين بن علي عليهما السلام والقتل العام الذي أقدم عليه في المدينة، كل هذا هو حكم الله، ومن لم يحضر قتل الحسين بن علي عليهما السلام كان مخالفاً لله! ماذا يقول لنا العقل، هذا الرسول الباطني، هنا؟ هل أن هؤلاء هم أولو الأمر؟ هل يرشد الله الناس إلى هؤلاء الظلمة العابثين أم أنه يقول بأن الإمامة أصل مسلّم وقد ذكر في القرآن، وأمثال هؤلاء الأشخاص من الظالمين لا يليقون بالإمامة أصلاً وليسوا بأولي الأمر؟

وعلى سبيل المثال فقد حرّم الله في القرآن، والنبي صلى الله عليه وآله في الأحاديث سفور المرأة والتصرف في الأوقاف فإذا أمر السلطان أو الخليفة بذلك فما هو تكليف الناس حينئذ؟ إن الناس من جهة مأمورون بإطاعة الله والنبي صلى الله عليه وآله فلا يجوز لهم السفور والتصّرف في الأوقاف إذاً، ومن جهة أخرى هم مأمورون أيضاً بإطاعة أمر السلطان، فعليهم السفور والتصرف في الأوقاف! أفٍ لهذا الجور إذ تُنسب إلى الله هذه التفاهات! أفلا يقول العقل أن أولي الأمر يجب أن يكونوا في جميع الأحكام من أول إمارتهم حتى آخر أعمالهم غير مخالفين، قولاً وعملاً، لشرع الله والنبي صلى الله عليه وآله؟ وأن تكون حكومتهم حكومة إلهية موافقة لحكومة النبي كما يتضح ذلك من جعل إطاعة الثلاثة (في الآية المباركة) مقرونة مع بعضها، الأمر الذي يدل على أن الجميع من نبعٍ واحد؟

٢ ـ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1] وقد نقل أهل السنة ستة أحاديث تؤكد أن الآية نزلت يوم غدير خم عندما نصّب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام للإمامة. وفي أكثرها أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الله أكبر على إكمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي»[2].

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٧، باب ٥٢.

٣ـ قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[١].

يروى أنه لما سمع النعمان بن الحارث أن النبي نصّب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير للإمامة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بعضد إبن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله. فولّى النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء وأتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله. وأنزل الله حينها ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، وقد نقل هذه القضية أكثر معتبري أهل السنة كالإمام الثعلبي في تفسيره الكبير والعلامة المصري الشبلنجي في نور الأبصار والحلبي في الجزء الثالث من سيرته في حجة الوداع والحاكم في المستدرك[٢].

٤ ـ نقل عن أهل السنة أربعة وعشرون حديثاً في أن آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣] قد نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

ينقل الحمويني وهو من أعاظم علماء أهل السنة والثعلبي بإسناده عن عباية بن ربيعة أن ابن عباس كان جالساً على بئر زمزم يحدّث النبي صلى الله عليه وآله فجاء شخص واضعاً عمامة على رأسه قد غطى وجهه. فكلما حدّث ابن عباس بحديث ذكر ذلك الرجل حديثاً فقال له ابن عباس بالله عليك من أنت فرفع العمامة عن وجهه وقال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر

(١) سورة المعارج: ١.

(٢) تفسير الثعلبي ج١٠ في مقام تفسير الآية، غاية المرام ج١، باب ١٦.

(٣) سورة المائدة: ٥٥.

الغفاري سمعت النبي ﷺ بهاتين الأذنين وإلا صمّتا ورأيت بهاتين العينين وإلا عميتا أنه قال: علي إمام المتقين وقاتل الكفار اللهم أنصر من نصره وأخذل من خذله. واعلموا أني صليت يوماً مع رسول الله صلاة الظهر فجاء سائل يطلب شيئاً فلم يعطه أحد فقال السائل: اللهم أشهد أني سألت في مسجد رسول الله ولم يعطني أحد شيئاً. وكان علي عليه السلام راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى فأقبل (السائل) حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله ﷺ فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري واشركه في أمري[١]. فأنزلت عليه قرآناً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾[٢] اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به أزري، فقال أبوذر فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل جبرائيل عليه السلام من عند الله فقال يا محمد إقرأ، فقال وما أقرأ؟ قال إقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣].[٤]

وينقل الموفق ابن أحمد وهو من علماء السنّة أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية «أنه نزلت أمور في القرآن في علي لم يشاركه فيها أحد» وعد منها هذه الآية[٥]. ويقول ابن شهر آشوب: أجمعت الأمة أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام[٦] ويقول القوشجي وهو من أعاظم السنة في شرح التجريد: أجمع المفسرون أن هذه الآية في علي عليه السلام[٧].

---

(١) إشارة للآيات من ٢٥ إلى ٣٢ من سورة طه.

(٢) سورة القصص: ٣٥.

(٣) سورة المائدة: ٥٥.

(٤) غاية المرام ج٢، باب ١٨، ص ١١.

(٥) غاية المرام ج٢، باب ١٨، ح١٠، ص٨.

(٦) مناقب آل أبي طالب ج٢، ص٢٠٨

(٧) شرح التجريد للقوشجي.

٥ـ يقول تعالى ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[1]. فعن أهل السنة أربعة أحاديث أن حبل الله الذي أمر الناس بالتمسك به هو علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

٦ ـ عن أهل السنة سبعة أحاديث أن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3] هي في علي بن أبي طالب عليه السلام. وينقل إبن شهر آشوب من طرق السنة عن تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان «روى مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر أن الله أمر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتقوا ويكونوا مع الصادقين أي محمد وأهل بيته»[4].

٧ ـ ورد بطرق أهل السنة ثمانية أحاديث أن السؤال في آية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[5]، هو عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام [6].

وفي بعض الروايات أنها الولاية التي ثبتها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام حيث قال «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذه يسأل عنها يوم القيامة.

٨ ـ قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[7]. وقد ورد بطرق أهل السنة حديثان في هذه الآية، نذكر أحدهما مختصراً، فقد روى الشافعي بسنده عن أبي مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن دعاء

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) غاية المرام ج٣، باب ٣٦، ص ٣١.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج٢، ص٢٨٨.

(٥) سورة الصافات: ٢٤.

(٦) غاية المرام ج٣، باب ٥٠، ص ٨٦.

(٧) سورة البقرة: ١٢٤.

إبراهيم حيث قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾... وأجابه الله ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي عهد الإمامة»، ودعاء إبراهيم يشمل علياً أيضاً إذ لم يعبد أياً من الأصنام أبداً فجعلني نبياً وعلياً وصياً[١].

٩ ـ قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢] وقد ورد ثلاثة أحاديث عن السنّة أن أهل الذكر علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

١٠ ـ ﴿وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٤] ورد أربعة أحاديث بطرق أهل السنة أنها في النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام خاصّة.[٥]

١١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٦]. وقد ورد عن أهل السنة سبعة أحاديث بأن المنذر هو النبي صلى الله عليه وآله والهادي علي بن أبي طالب عليه السلام. منها ما يرويه إبراهيم الحمويني بسنده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: «إنما أنت منذر، ويضع يده على صدره، ثم يأخذ بيد علي ويقول ولكل قوم هاد»[٧].

وهناك الكثير من الآيات الأخرى لم نذكرها إختصاراً فمن أراد المزيد فليراجع كتاب غاية المرام[٨] للسيد الجليل السيد هاشم البحراني قدس سره فقد ذكر مئة وأربعين آية من آيات القرآن ورد في روايات الشيعة والسنة أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام][٩].

---

(١) غاية المرام ج٣، باب ٦٢، ص١٢٤.

(٢) سورة النحل: ٤٣، الأنبياء:٧.

(٣) غاية المرام ج٣، باب ٣٤، ص٢٥.

(٤) سورة البقرة: ٤٣.

(٥) غاية المرام ج٤، باب ١٠٩، ص١٨٠.

(٦) سورة الرعد: ٧.

(٧) غاية المرام ج٣، ص ٥ ـ نقلاً عن فرائد السمطين ـ .

(٨) غاية المرام ج٣، ص ٥.

(٩) الإمامة عند الشيعة ص ٤٣ ـ ٤٨، كشف الأسرار ص ١٣٩ ـ ١٤٢.

خلاصة الدرس العشرون:

١ـ لقد أولى القرآن الكريم أهمية خاصة للإمامة في كثير من الآيات الكريمة.

٢ـ إن ثبوت الإمامة قرآنياً وأنها في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من المسلمات لدى كتب الفريقين في تفسير كثير من الآيات الكريمة.

أسئلة حول الدرس:

؟؟؟

١ـ اذكر ثلاث آيات من آيات الإمامة.

٢ـ كيف تستدل بآية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ﴾ على الإمامة؟

٣ـ ما هو سبب نزول قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾؟

للمطالعة

❖ روح الله هو روح الله حقا:

حضرت لمدة ثمان سنين الدروس الفقهية والأصولية العالية التي كان يلقيها الإمام، وكان الإمام يحضر دائماً في الوقت المحدد للدرس، وفي الأيام التي كان يلقي دروسه في مسجد السلماسي في قم، كان بعض الطلبة يتأخرون دقائق لحضور الدرس بسبب اشتراكهم في درس آخر، فيدخلون المسجد بعد أن يكون الإمام قد بدأ التدريس، فيؤذيه ذلك وينبه إلى عدم صحته، وكان من المعروف أن الإمام نفسه كان دقيقا للغاية في الحضور في الموعد المحدد لدروس أساتذته في مرحلة دراسته الأولى، حتى أن المرحوم آية الله الشاه آبادي قُدِّسَ سِرُّه ـ أستاذ الإمام في الأخلاق ـ كان يقول بشأن دقة الإمام في الحضور المنظم في درسه: «إن روح الله هو حقا روح الله، لم يحدث ولا لمرة واحدة أن أراه يحضر للدرس بعد البسملة، فهو دائما كان يحضر قبل أن أبدا الدرس بالبسملة».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٤٢

الأدلة الروائية على الإمامة

إن بحث الإمامة في الروايات من الأبحاث المشبعة والتي ألفت فيها المجلدات وقد جمع كثير من علمائنا الروايات الواردة في الإمامة من كلا الفريقين منها عبقات الأنوار للسيد حامد حسين اللكهنوي وغاية المرام وغيره من مؤلفات المحدث الجليل العلامة السيد هاشم البحراني ومن المتأخرين ليالي بيشاور لسلطان الواعظين والمراجعات للسيد عبدالحسين شرف الدين العاملي... وغيرهم من الكتب الجامعة لروايات الفريقين.

[إن البحث في الإمامة وخصوصاً من خلال الأحاديث النبوية الواردة بطرق السنة والشيعة لا تتحمله هذه الأوراق. لكننا نذكر عدداً من الأحاديث من طرق السنة المخالفين لنا في أصل الإمامة، ومن أراد المزيد فليراجع الكتب التي كتبت حول الإمامة منذ صدر الإسلام وحتى الآن، لِيُعلم تهافت وبطلان القول بأن الإمامة لم يكن لها إسم أو رسم في صدر الإسلام وإنما رسمها ملوك الصفويين وساستهم. والأحاديث التالية هي من الكتب التي أُلِّفت قبل وجود الصفوية وأمثالها.

١ ـ حديث غدير خم:

وقد عثر صاحب غاية المرام[1] على تسعة وثمانين حديثاً من طرق أهل السنة أكثرها منقول عن مسند أحمد بن حنبل إمام السنّة الكبير، وكثير منها منقول عن أبي المغازلي الشافعي والسمعاني وإبن أبي الحديد المعتزلي والثعالبي وبعضها من صحيح مسلم والترمذي وأبي داوود. ومن أراد الإطلاع على أحوال حديث الغدير فليراجع عبقات الأنوار للسيد الكبير حامد حسين الهندي الذي صنف أربعة مجلدات كبار في حديث الغدير لم ير مثله إلى الآن.

(١) غاية المرام ج١، باب ١٦، ص ٢٦٨.

نَقل ابن المغازلي لحديث الغدير:

ينقل أبو الحسن علي بن محمد المعروف بـإبن المغـازلي وهـو مـن أكـابر المحدثين وأعاظم معتبري أهل السنة بسنده أن أمير المؤمنين عليه السلام أقـسم علـى المنبر على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقف للشهادة من حضر منهم يوم غدير خـم فنهض إثنا عشر رجلاً وشهدوا أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مـن كنـت مـولاه فعلـي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ومنهم أبو سعيد الخدري وأبو هريرة وأنس بن مالك ثم قال إبن المغازلي: قال أبو القاسـم بـن محمـد فـي كتـاب المناقب: وهذا الحديث صحيح نقله مئة شخص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تفـرّد علي بن أبي طالب عليه السلام بهذه الفضيلة[1].

وقد صنّف أعاظم أهل السنة وأكابر محدثيهم تصانيف فـي حـديث الغـدير منها تصنيف إبن عقـدة والطبـري والحـسكاني والسجـستاني وشـمس الـدين الشافعي. وتواتر حديث الغدير عند أهل السنة والجماعة فضلاً عن الشيعة ممـا لا ريب فيه ولا ترديد وإذا أردنا أن نحصي أكابر ومعتبري أهـل الـسنة الـذين ادعوا تواتر هذا الحديث فإن الأمر يطول وهو مناف للإختصار.

٢ ـ حديث المنزلة:

وهو الحديث الذي نقل بـالتواتر عنـد الـسنة والـشيعة أن رسـول الله قـال لعلي عليه السلام: «وأنت مني بمنزلة هارون من موسـى إلا أنـه لا نبـي بعـدي» وكـان لهارون جميع شؤون خلافة موسى ووراثته. وقد نقل السيد هاشم البحراني هـذا الحديث بمئة سند من طرق أهل السنة كثير منها من صحاح السنة الـستة التـي هي من أضخم كتبهم كصحيح البخاري ومسلم والترمذي وأبي داوود، وقد نقل

---

(١) غاية المرام ج١، باب ١٦، ح٣١، ص ٢٧٩.

مسند أحمد بن حنبل أيضاً حديث المنزلة بتسعة عشر طريقاً. وقد تركنا ذكر الآخرين الناقلين لهذا الحديث من أعاظم أهل السنة ومعتبريهم ومشايخهم رعايةً للإختصار[١].

٣ ـ حديث الثقلين[٢]:

ومن جملة الأحاديث المتواترة بطرق السنة والشيعة والتي تنص على إمامة علي عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام حديث الثقلين، وهو الحديث الذي نقل عن أكثر من عشرين شخصاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بتسعة وثلاثين طريقاً من أهل السنة من جملتها صحيح مسلم وصحيح أبي داوود والترمذي ومسند أحمد بن حنبل ومستدرك الحاكم وغيرهم من أجلّة الإثبات ومهرة الثقاة من أهل السنة والجماعة.

ورد في صحيح الترمذي وأبي داوود:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي. أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فأنظروا كيف تخلفوني في عترتي»[٣].

---

(١) غاية المرام ج٣، ص ٢٣، الباب ٢٠.

(٢) من الملفت للإنتباه أن السيد الإمام قدس سره قد بدأ مقدمة وصيته الخالدة بحديث الثقلين وذكر جملةً من الفوائد يمكن مراجعتها والإستفادة منها. النداء الأخير ص ١.

(٣) غاية المرام ج١، باب ١٦، ح٢٥ ـ ٢٦.

٤ ـ حديث السفينة:

ومن الأحاديث المسلّمة المتواترة حديث تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح، وقد ورد من طرق أهل السنة أحد عشر حديثاً في هذا الموضوع نذكر منها حديثاً ينقله الفقيه الشافعي في كتاب المناقب بسنده عن ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تأخّر عنها هلك»[1].

الأحاديث الصريحة في خلافة علي عليه السلام:

والأحاديث كثيرة قد تتجاوز الخمسين تلك المروية بطرق العامة من أن النبي قال: «الخلافة في عليّ كما النبوة فيّ ـ أو ـ عليّ خليفتي من بعدي»[2]. ومنها ما رواه الشافعي في المناقب بسنده عن أبي ذر الغفاري قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ناصب عليّاً الخلافة من بعدي فهو كافر ومن شكّ في عليّ فهو كافر»[3].

الأحاديث الصريحة في كون علي عليه السلام الوصي:

وكثيرة هي الأحاديث المروية بطرق العامة، والتي تتجاوز الخمسين أو الستين حديثاً، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليّ وصيّي» ومنها ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسند متصل إلى أنس بن مالك قال: «قلنا لسلمان إسأل النبي من وصيك فسأله سلمان فقال: يا سلمان من وصي موسى؟ قال يوشع بن نون، قال وصيي ووارثي من يقضي عني ديني وينجز عداتي علي بن أبي طالب عليه السلام[4]»[5].

---

(١) المناقب لابن المغازلي الشافعي، نقل عنه غاية المرام ج٣، ص١٣.

(٢) غاية المرام، ج ١، باب ١٤.

(٣) غاية المرام ج١، باب ١٤، ح٩.

(٤) غاية المرام ج٢، باب٢٢، ص ١٤٤.

(٥) الإمامة عند الشيعة، ص ٤٨ ـ ٥٢.

الإمامة قرينة النبوة:

[كل من عنده أدنى اطلاع عن أوائل ظهور الإسلام وبـدايات دعـوة رسـول الإسلام ﷺ يحصل له اليقين أن الإمامة في الإسلام كانت رفيقة النبوة من أول يوم وحتى آخر لحظة من عمر الرسول ﷺ.

ففي ذلك اليوم الذي لم يكن فيه إسلام بعد وعندما أمر الله نبيه ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين بقوله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1] جمع الرسول ﷺ أقاربه وكان عددهم قريب الأربعين رجلاً من بينهم أعمامه، فدعاهم وخاطبهم يا بنـي عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب قد جاء قومه بأفضل مما جئـتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فـأيكم يـؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنـه غير علي عليه السلام ـ وكان أصغرهم ـ إذ قام وقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليـه فأخذ رسول الله ﷺ برقبته وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع[2].

(ذكره الطبري في تاريخه والثعلبي في تفسيره وأحمد فـي مـسنده وغيـرهم كثير)][3].

آخر كلام للنبي ﷺ في الإمامة:

[لقد أعلن الرسول ﷺ في أول ساعة من إعلان نبوته إمامة علـي بـن أبـي طالب عليه السلام وخلافته، لكن أقاربه تلقوا الكلام بالضحك والإستهزاء. وقـد بـذل الرسول ﷺ كل جهده خلال فترة الرسالة وخصوصاً السنوات الأخيرة من عمره

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري ج٢، ص٦٣.

(٣) الإمامة عند الشيعة ص٥٢، كشف الأسرار ص ١٥٠ ـ ١٥١.

الشريف كي يثبت هذا الأمر، تشهد على ذلك كل تواريخ الإسلام وكتب الأحاديث السنية والشيعية، وكل من يراجعها سيعلم أنه لم يعط في الإسلام لشيء أهمية كما أعطيت الإمامة، ولم يرد في شيء هذا المقدار من الأحاديث الواردة في الإمامة. وقد كان آخر كلام للنبي صلى الله عليه وآله أيضاً في الإمامة كما نقلت جميع كتب التواريخ والأحاديث المعتبرة حين قال صلى الله عليه وآله: «أئتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فقالوا أن رسول الله يهجر[١]، وقد صرّح هؤلاء أنفسهم بأن ما أراد الرسول صلى الله عليه وآله كتابته هو إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وهم منعوه من ذلك!][٢] .

بحثٌ آخر في النبوة والإمامة:

إشكال:

قد يستشكل شخص بأن مقتضى الإخلاص هو أن يمحى أثر النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ولا يعتبر جزءا من الدين، إذ أنهم لا يهتمون بأنفسهم في قبال إقامة الدين وإيصاله للآخرين، فلا ينبغي الإهتمام بمعرفة الإمام عليه السلام، بل لابد من الإهتمام والتركيز على الدين لا على حملته والأشخاص. هذا مؤدى الإشكال.

والجواب: هو أنه لو تنزلنا وسلمنا بأن معرفة الإمام عليه السلام ليست من الدين ـ مع أن الدليل سيوافينا على أن ذلك جزء من الدين ـ فإن العقل يحكم بوجوب معرفة الإمام عليه السلام بعد أن ثبت وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله وأولي الأمر. ويقرر السيد الإمام قدس سره هذا الإشكال وكذا الجواب عنه بما نصه:

[وقع هذا الكاتب[٣] في اشتباه آخر فقال: «في كل طريق وخصوصاً سبيل الله يجب أن يضيع اسم الشخص فالامامة التي لها محلها والنبوة أيضاً يجب أن لا

---

(١) غاية المرام ج٦، باب ٧٣.

(٢) الإمامة عند الشيعة ص ٥٣، كشف الأسرار ص ١٥٢.

(٣) المقصود بالكاتب هو صاحب كتاب أسرار ألف سنة، حيث كان كتاب كشف الأسرار رداً على أباطيل هذا الكتاب ومدعياته.

يعتبرا من الدين لأنهم المرشدون إليه لاجزء منه» ثم يقول: «فبدل أن تكون هذه المناقشات العبثية على الأسماء والأشخاص تكون على الأمر الأصلي أي التوحيد والتقوى ولكانت الاختلافات أسرع زوالاً ولتقدم الدين أكثر».

والجواب أننا لو فرضنا عدم الدليل على أن النبوة والإمامة من الدين. لكن يجب بحكم العقل أن نعرف النبي ﷺ والإمام عليه السلام لأن ذلك وإن لم يكن من أجزاء الدين (حسب الفرض) لكن الله أوجب بقوله: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] على جميع البشر إطاعة النبي ﷺ والإمام عليه السلام في جميع أقوالهم فلو جاءنا شخصان وادعى كلٌ منهما أنه النبي ﷺ الذي أمر الله بطاعته وقد أمرنا كل منهما بأمر يخالف الآخر وليس لنا طريق لنعرف من هو الذي يجب أن يطاع منهما إلا أن نعرفه باسمه وعلامته لنعلم أن الذي أمرنا الله بإطاعته هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ المتولد في سنة كذا وصاحب الصفات الفلانية لا مسيلمة أو شخص آخر. أنتم ماذا تقولون أتقولون أن نطيع كل من يأتي ويقول أنا نبي فأطيعوني ونقبل منه دون دليل أم لابد أن نعرفه. فلو عينت الدولة مثلاً حاكماً لمحافظة طهران باسم معين وعلامة معينة فجاء شخص وادعى أنني هو ذلك الحاكم فكونوا تحت أوامري فهل يجب أن يطاع دون أن يعرف. أو عينت مثلاً طبيباً مختصاً بالأمراض الرئوية فأنتم الذين تريدون مراجعته هل تراجعون كل شخص غير معروف بمجرد أنه وضع لافتةً أم أولاً يجب أن تعرفوه وتعرفوا أنه هو ذلك الطبيب المختص ثم تراجعونه. ونحن قد عرفنا النبي ﷺ ثم جاء بعد النبي ﷺ أبو بكر يقول: أنا خليفة النبي وأنا من أولي الأمر الذين أمر الله بإطاعتهم وقال علي بن أبي طالب عليه السلام نفس الكلام فلمن يرجع الناس حينئذ هل يرجعون إلى ما يقوله العقل في أوصاف الإمام وأولي الأمر وإلى كلام الله وكلام النبي ﷺ ليروا ماذا قيل في هذا

(١) سورة النساء: ٥٩.

الموضوع أم يتلقون الأمر ببروده ويقولون لا شغل لنا بذلك المهم هو التوحيد. نحن عرفنا الله فلا داعي لإطاعته وكل ما يقوله لا يهمنا يكفي أننا عرفنا أن الله واحد فلا حاجة إلى كل هذه التشريعات من القرآن والنبي صلى الله عليه وآله يكفي التوحيد.

إن هذا العقل وهو الرسول الإلهي الباطني يقول إن الدليل الدال على وجوب إطاعة الله يدل على وجوب إطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وهو يدل على لزوم إطاعة أولي الأمر. فهذه المناقشات إذن حول أسماء الأشخاص ضرورية بحكم العقل فلو أن المسلمين كلهم يقبلون ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله حول أولي الأمر وردوا الذين أدعوا الخلافة بلا دليل لم يكن بيننا وبينهم حينئذ نزاع ونقاش.

فهذه المناقشات إذن هي منصبة على إطاعة وإلا لم يكن لنا شغل في الحديث عن الأشخاص فإن ملايين السلاطين والعظام والفلاسفة وجدوا في هذا العالم ولم نناقش أحداً فيهم ونسينا أسماءهم وإنما تحدثنا في عدة أشخاص وما كانت كل هذه المناقشات إلا لأن الله أمرنا بإطاعتهم فنحن ندخل في المناقشات حول كلام الله أم تقولون بأن لا نعتني بكلام الله. إن العقل لا يقبل ذلك منكم][1].

النبوة والإمامة من أجزاء الدين:

ما ذكر سابقاً من جواب بناءاً على أن معرفة الإمام ليست من الدين، أما لو أثبتنا أنها جزءاً من الدين ـ كما قد أثبته الإمام الخميني قدس سره في كلامه المنقول أدناه ـ فثبوت الأمر أوضح.

[ما ذكرناه كان على فرض أن النبوة والإمامة ليستا من الدين، لكننا نمتلك أدلة من القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وآله أنهما من الدين:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] فلو لم يكن

---

(١) كشف الأسرار، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) سورة الحديد: ٢٨.

الإيمان بالرسول ﷺ من الدين لم يكن لهذه الآية أية فائدة بل لكان المناسب أن يقول تعالى لا تذكروا الرسول ﷺ وانسوا إسمه في سبيل الله!

ويقول عز وجل أيضاً: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[1] فقد وصف الله المؤمنين بأنهم يؤمنون بالأنبياء عليهم السلام ولو لم يكن الإيمان بالأنبياء عليهم السلام داخلاً في الدين لكان على الله أن يلوم من آمن بهم لا أن يمدحهم.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.[2]

فمن أركان الإيمان الإيمان بالرسول ﷺ.

وفي أن معرفة الإمام ومحبته من الإيمان يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3] فبإتفاق الشيعة والوارد في الكتب المعتبرة لأهل السنّة والجماعة من طرق كثيرة عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي رافع والآخرين أن هذه الآيات نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب عليه السلام. فهل التعريف بعلي بن أبي طالب عليه السلام من الدين والناس مأمورون بمعرفته وإطاعته أم أن ذلك بلا فائدة وهو لهو ولعب؟

ويقول تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[4] ففي غاية المرام ذكر ثمانية أحاديث من طرق السنّة أن الناس يوم القيامة يوقفون ويسألون عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فإن لم تكن ولاية من الدين ولم تكن أمراً مرتبطاً بالدين لكان السؤال لغوياً.

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة النور: ٤٧.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) سورة الصافات: ٢٤.

ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[١] فقد ورد من طرق أهل السنّة أربعة أحاديث أن حبل الله الذي يجب على الناس أن يتمسكوا به هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأعلموا إن ما ورد من آيات في علي بن أبي طالب عليه السلام هي أكثر من أن يمكن ذكرها في هذه الأوراق فمن أراد فليراجع تفاسير الشيعة والسنّة ليتضح له ذلك.

وأما الأخبار الواردة في هذا الباب فهي كثيرة جداً فمن أراد فليراجع غاية المرام وكتب الأحاديث الأخرى.

فمن ذلك الحديث المعروف عند السنة والشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[٢].

ومن ذلك الأحاديث الكثيرة التي نقلها أهل السنة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عنده عمله إلا بمعرفة حقنا»[٣] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان»[٤] وغيرها من الروايات التي توازي عدد نجوم السماء][٥].

---

(١) سورة آل عمران:١٠٣.

(٢) مسند أحمد ج٤، ص ٩٦ / مجمع الزوائد ج٥، ص٢١٨ / كنز العمال ج١، ص ١٠٣، ج٦ ص٦٥.

(٣) إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي ص ٤٦، ح ١٨.

(٤) غاية المرام ج٦، باب ٧١، ح٥٤ وغيره.

(٥) الإمامة عند الشيعة ص ٧١ ـ ٧٢، كشف الأسرار ص ١٧١ ـ ١٧٣.



خلاصة الدرس الواحد والعشرون:

١ـ إن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام قضية متواترة روائياً.

٢ـ من الأحاديث التي تثبت الإمامة الخاصة هي حديث الغدير وحديث المنزلة والثقلين والسفينة.

٣ ـ الإمامة ثابتة عقلاً قبل أن تكون جزءاً من الدين.

؟؟؟

أسئلة حول الدرس:

١ـ ماذا تعرف عن حديث الغدير؟

٢ـ كيف تثبت بأن الإمامة قرينة النبوة من أول اللحظات؟

٣ـ الإمامة جزء من الدين. وضح ذلك.

للمطالعة

❖ وكان يمارس الرماية والفروسية:

كان الإمام منذ أيام صباه ـ أي قبل حدود الثمانين عاما ـ يهتم بأمر سلامته البدنية، ولعل هذه أيضاً من الصفات التي تميز بها عن سائر مراجعنا وعلمائنا الكبار، فالعلماء عادة لا يهتمون بالرياضة والترويح السليم عن النفس، ولكن الإمام الخميني أو السيد روح الله الخميني ـ كما كان يسمى قبل ثمانين عاما ـ لم يكن يغفل عن الرياضة والترويح السليم عن النفس بهدف تقوية بدنه وروحه، ولم يكن يتستر بذلك، وهكذا كان حاله في خمين قبل أن يبلغ سنه عشرين عاما وبقي على ذلك في قم إلى أن بلغ عمره خمسة وعشرين عاما، وقد قال مرة: «كنت في شبابي أحمل البندقية وأمارس الرماية بها» وصرح بأنه كان يركب الخيل أيضا.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ١٨١

إشكالاتٌ حول الإمامة

إشكال (١):

[الإمام، أي إمام، إنما هو إمام زمانه لا غيره من الأزمنة، كما ورد في كتاب الكافي من أن كل إمام هاد للزمن الذي هو فيه[1]، فلماذا هذا الغلو في تمجيد الأئمة (عليهم السلام) وآثارهم؟

الجواب:

مع غض النظر عن أن هذه الرواية وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2] ومضمونها أنه في كل عصر إمام من آل بيت محمد (صلى الله عليه وآله)، وأنها في مقام بيان أن الآية تثبت الإمامة في كل زمان لإمام من الأئمة (عليهم السلام)، لا أن الإمامة منفية عنه في الأزمنة الأخرى كما يظهر ذلك بمراجعة هذه الروايات نفسها إذ ورد في تلك الروايات[3] أنه في كل زمان إمام منا هاد يهدي الناس إلى ما جاء به النبي، والهادون بعد النبي هم علي وأبناؤه من بعده الواحد بعد الآخر، فلو غضينا النظر عن ذلك وفرضنا أن كل إمام إنما هو هاد لزمانه فهل يعني ذلك أن لا إحترام له بعد موته أو هل يعني أنه إذا قال حكماً من أحكام الله فيجب العمل به ما دام حياً فإذا مات لا يجوز العمل به؟ فإن كانت النتيجة هي الكلام الأول (فقدان الإحترام بالموت) فنقول: نحن نحترم الإمام ونعظّمه لأنه كان في ذلك الزمان إماماً وهادياً مختاراً من الله، واحترمه الله

---

(١) أصول الكافي ج١، باب أن الأئمة (عليهم السلام) هم الهداة ح١.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) أصول الكافي ج١، باب أن الأئمة (عليهم السلام) هم الهداة ح١.

وكرّمه. وإن كان الثاني فيجب أن يثبت أنه بموت الإمام فقد مات الله وإلا فإن الإمام لا يأتي بالحكم من نفسه حتى يموت بموته بل جميع أحكام الإمام عن النبي عن الله بلا نقيصة ولا زيادة، وعليه لا يموت حكم الله بموت الإمام][١].

إشكال (٢):

[إذا أردنا أن نستند إلى نهج البلاغة فإن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كتب إلى معاوية كتاباً يقول فيه: «وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى»[٢].

الجواب:

يجب أن نذكر هنا عدة كلمات أخرى من نهج البلاغة ليتضح أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إنما كتب هذا إلى معاوية من باب الاحتجاج عليه بما يقبلون به وعملوا به في زمان الخلفاء لا أن رضا الله واقعاً هو في ذلك. أونَغض الطرف عن كل الروايات واحتجاجات علي والحسن والحسين والزهراء عليهم السلام وسلمان والمقداد وابن عباس وأبي ذر وعمار وبريدة الأسلمي وأبي الهيثم وابن التيهان وسهل وعثمان ابني حنيف وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت وأبيّ بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم ممن ذكرت احتجاجاتهم في كتاب الاحتجاج وبطرق العامة والخاصة أيضاً. وهذه جمل من نهج البلاغة لتعلموا أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يرى أنهم غصبوا حقّه وأنّ الخلفاء على الباطل.

١ ـ من قرأ الخطبة الشقشقية يظهر له رأي الإمام علي عليه السلام في الخلفاء وبأي وصفٍ وصفهم فلتراجع الخطبة[٣].

---

(١) الإمامة عند الشيعة ص ٥٧ ـ ٥٨، كشف الأسرار ص ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) نهج البلاغة، رسالة ٦ (ومن كتاب له إلى معاوية).

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٣ المعروفة بالخطبة الشقشقية.

٢ ـ في الخطبة ١٦٧: «اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي وصغّروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي» فقال له رجل من الناس «إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص» فقال: «بل أنتم والله لأحرص وإنما طالبت حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه»[١].

٣ ـ في الخطبة الخامسة «فما زلت مدفوعاً عن حقّي مُستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّه ﷺ حتى يوم الناس هذا»[٢].

٤ ـ الخطبة ١٤٦: «حتى إذا قبض رسول الله ﷺ رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل واتكلّوا على الولائج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودّته ونقلوا البناء عن رصِّ أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرةٍ قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين»[٣].

٥ ـ يقول في الخطبة التي خطبها بعد أن بويع: «لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد» إلى أن يقول: «ولهم خصائص الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله»[٤].

هذا مقتطف من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة بالنسبة إلى غصب حقّه فلينظر القرّاء الآن إلى كلام الإمام لمعاوية. إن الإمام الذي أبرز كل هذه المظلوميّة من غصب حقّه، هل يمكن حمل ذلك الكلام إلا على أنه من باب

---

(١) نهج البلاغة، ومن خطبة له عليه السلام (في من رماه بالحرص).

(٢) نهج البلاغة خطبة ٦.

(٣) نهج البلاغة ومن خطبة له عليه السلام (ويومئ فيها إلى الملاحم).

(٤) نهج البلاغة خطبة ٢ (ومن خطبة له عليه السلام بعد إنصرافه من صفين).

«لو سلّمنا» وعلى أساس الاحتجاج بـ «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم» أو على أساس أنه عليه السلام كان يخشى أن يستغّل معاوية الرسالة ويجعلها وسيلة لتحقيق أطماعه وإساءة نظرة الناس إلى الإمام][1].

---

(١) الإمامة عند الشيعة ص ٥٨ ـ ٦٢، كشف الأسرار ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

خلاصة الدرس الثاني والعشرون:

١ـ إن إمامة كل إمام في زمن لا تنفي إمامته في الأزمنة الأخرى.

٢ـ إن كلمات أمير المؤمنين ﷺ التي تنفي حقه وتقر بخلافة من سبقه هي من باب (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم).

٣ـ إن لأمير المؤمنين ﷺ الكثير من الخطب والإحتجاجات في مطالبته بحقه.

؟؟؟ أسئلة حول الدرس:

١ـ كيف ترد الإشكال القائل بأن إمام كل زمان خاص بفترة زمانه؟

٢ـ يقول أمير المؤمنين ﷺ في كتب له إلى معاوية: (... وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى). كيف تناقش من يدعي أنه إقرار من أمير المؤمنين ﷺ بحق الخلافة للآخرين؟

للمطالعة

❖ كانت أخلاق الإمام محمدية:

كانت أخلاق الإمام محمدية حقا، فطول المدة التي كنا نعالجه فيها ورغم تلك العملية الجراحية الصعبة التي أجريناها له، لم يقطب ولا مرة واحدة حاجبيه إظهارا للألم والتوجع، ولم يعترض ولا مرة على أوامرنا بالقيام أو المشي ـ حسب مقتضيات العلاج ـ، كان يعاملنا باحترام فائق، وأستطيع القول أنه كان مريضا نموذجيا، ولا أتصور أن أحد يستطيع أن يتحلى بالرضا بالقدر الإلهي إلى هذه الدرجة، فيتحمل كل هذه الآلام ويتحلى معها بحسن الخلق إلى درجة يمتنع عن إظهار أي شيء يسبب لنا الأذى.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص ٢١٩

الإمام الحجة بن الحسن ﷻ

المقدمة:

لقد اهتم أئمة أهل البيت ﷺ بقضية الإمام الحجة بن الحسن المهدي ﷻ أيّما اهتمام، فقد جاءت الروايات بكمٍ هائل مستفيض متظافر بحد التواتر، والمتأمل في الروايات الخاصة يلمس العلاقة الخاصة الحميمة بين الأئمة ﷺ وبين الإمام المنتظر المهدي ﷻ، فعلينا نحن أصحاب الغيبة أن نهتم بكل ما يتعلق بالإمام ﷺ وأن نؤدي تكاليفنا تجاهه ونزيد علاقتنا به وبذكره على الدوام، لأن العلاقة معه هي العلاقة مع الله عز وجل والحديث عنه هو الحديث عن الله عز وجل لأنه السبيل الأقوم لله تعالى، فهل نذكره في كل يوم بعد كل صلاة؟ هل نقرأ عنه ما جاء عن أجداده ﷺ؟ ألديّ المعرفة الكافية بما يتعلق بتفاصيل غيبتيه الصغرى والكبرى؟ هل باستطاعتي رد الشبهات المطروحة هنا وهناك حول قضية الإمام المهدي بن الحسن ﷻ خصوصاً ونحن في هذا الزمان الذي كثر فيه الهرج والمرج وادعاء المهدوية والسفارة وإنكار المهدوية وغيرها من الشبهات؟

[... ونفخر أن الأئمة المعصومين ﷺ بدء بعلي بن أبي طالب ﷺ وانتهاء بمنقذ البشرية، الإمام المهدي صاحب الزمان ﷻ ـ الحي الناظر على الأمور بقدرة الله القادر ـ هم أئمتنا...][1].

فلسفة الغيبة:

[وإن قضية غيبة صاحب الأمر ﷻ هي قضية مهمة تفهمنا مسائل عديدة، منها أن مثل هذا العمل العظيم ـ والذي بواسطته سوف تملأ الأرض عدالة بمعناها الواقعي ـ فإنه لا يوجد بين البشر سوى المهدي الموعود ﷻ، ـ والذي ادخره الله تبارك وتعالى للبشرية ـ من يقدر على تحقيقه. فالعدالة

---

(١) النداء الأخير، مقدمة الوصية، ص ٥.

كانت هدف جميع الأنبياء عليهم السلام وأرادوا أن يطبقوها في جميع العالم، لكنهم لم يتوفقوا لذلك، وحتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جاء لإصلاح الناس وتربيتهم ولتحقيق العدالة، لم يتوفق في زمانه لتحقيقها بهذا المعنى؛ وإن الذي سيتمكن من ذلك، وسوف ينشر لواء العدل في كل الأرض هو الإمام المهدي عجل الله فرجه، وإن العدالة التي سوف ينشرها هي ليست هذه العدالة التي يفهمها الناس العاديون والتي هي فقط العدالة في الأرض من أجل تحقيق رفاه الناس، بل العدالة في جميع مراتب الإنسانية، إذ أن إعادة الإنسان عن انحرافه سواء الانحراف العملي أم الروحي أم العقلي إنما تعني تحقيق العدالة في الإنسان، فلو كانت أخلاقه منحرفة فإن اعتداله وتركه هذا الانحراف يعني تحقق العدالة عنده. إذا كانت هناك انحرافات في العقائد فإن تصحيح تلك الانحرافات الموجودة في العقائد وجعلها عقيدة صحيحة وصراطاً مستقيماً يعني إيجاد العدالة في عقل الإنسان. إن هذا سيحدث في زمان ظهور الإمام المهدي الموعود عجل الله فرجه الذي ادخره الباري، لأن أحداً من الأولين والآخرين لم تكن عنده هذه القدرة، وإنها موجودة فقط عند المهدي الموعود عجل الله فرجه. إنه سوف يملأ جميع العالم عدلاً؛ وهذا ما لم يتمكن منه الأنبياء عليهم السلام ـ رغم أنهم جاءوا لأداء تلك المهمة ـ؛ فالله تبارك وتعالى ادخره لتحقيق هذا المهم الذي كان حُلم الأنبياء عليهم السلام، بيدَ أن الموانع جعلتهم غير قادرين على تحقيق ذلك، وكان أمل جميع الأولياء، ولكنهم لم يوفقوا إليه، وأنه سوف يتحقق بيد هذا العظيم. وهذا هو سبب العمر الطويل الذي وهبه الله تبارك وتعالى له؛ فنحن نفهم أنه لا يوجد بين البشر من هو مؤهل لهذا المهم، والذين كانوا بعد الأنبياء عليهم السلام لم يتوفقوا لتحقيق هذا الهدف؛ فبعد الأنبياء والأولياء الكبار آباء المهدي الموعود عجل الله فرجه لم يكن هناك أحد يستطيع تحقيق ذلك، لذا فلو أن المهدي الموعود كان يذهب إلى جوار رحمة الحق كسائر الأولياء، لما كان بين البشر أحد يقدر على تطبيق العدالة، وقد ادخره الله لهذا العمل العظيم][1].

---

(١) منهجية الثورة ١٢٤ بقليل من التصرف.

مفهوم الإنتظار الصحيح وتكليفنا في زمن الغيبة:

التصدّي للظلم ووحدة المسلمين:

[إنَّ وقوف الإنسان بوجه الظلم وتصدّيه للظالمين، وتوجيه الضربات لهم، وتضييقه الخناق للحيلولة دون ازدياد ظلمهم، أمرٌ يستحق التقدير.

إننا مكلّفون أيّها السادة! فليس الأمر كما يعتقد البعض من أنَّ علينا الجلوس في بيوتنا، والقبض على السُبحة وترديد قول: (اللهم عجّل فرجه) باعتبارنا ننتظر ظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، بل إنَّ تعجيل الظهور لابد أن يتمّ من خلال أعمالكم، فعليكم تهيئة الأرضية لقدومه، ولا يكون ذلك إلا باجتماع المسلمين ووحدتهم، وهذا هو الذي يؤدي الى ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ إن شاء الله تعالى ـ][1].

تأسيس الحكومة الشاملة، كمقدّمة لولاية المستضعفين:

[على الجميع أن يلتفّوا حول راية الإسلام الخفّاقة، وينهضوا لنصرة محرومي العالم ضد أعداء الإسلام، ويتّجهوا نحو تحقيق حكومة إسلامية وجمهوريات حرّة ومستقلة، تقوم بشلّ حركة جميع مستكبري العالم، وتجعل ولاية الأرض إرثاً لجميع المستضعفين.

نحن ننتظر مجيء اليوم الذي وعدنا به الله تعالى، والذي من خلاله يتحقق إتساع الدولة الإسلامية وإنتشار العدالة الإسلامية في جميع أرجاء العالم؛ لأنَّ العدالة الإسلامية لا تتحقق إلا بعد أن تحكم جميع الدول على طبق الموازين الإسلامية، ونأمل أن يُعمَل على تهيئة هذا الأمر بالتدريج، إلى أن يصل الوقت الذي تنتشر فيه العدالة الإسلامية في كل أرجاء المعمورة، وتصبح جميع الحكومات حكومات عادلة][2].

---

(١) صحيفة امام ج١٨، ص ٢٦٩.

(٢) صحيفة امام ج٢١، ص ٤٤٨، الوصية الإلهية السياسية.

حاكمية العدل الإلهي في العالم:

[نحن المنتظرون، مكلّفون بالإستعداد لتهيئة الأجواء لقدومه المبارك عليه السلام، ليتسنى لنا تحكيم العدل الإلهي من خلال السعي والإجتهاد في بلدنا المتعلّق بصاحب العصر عليه السلام، وتجنُّب التفرقة والنفاق والخداع، مع الأخذ بعين الإعتبار رضا الله تعالى، والإمتثال للقانون من قبلنا جميعاً، والسعي من أجل تقدّم الثورة الإسلامية من خلال التحلّي بالمحبّة والأخوة والمساواة، والاعتقاد بأنَّ الله تعالى مطلّع على جميع حركاتنا وسكناتنا، وعلينا كذلك أن نتجنّب مخالفة القوانين الإسلامية.

أتمنّى للجميع أن يكونوا من أنصار الإمام المهدي عليه السلام، وأن نعمل سويّةً تحت لواء الإمام صاحب العصر عليه السلام، بما كلّفنا به الإسلام والقرآن، ونعكس المحتوى الواقعي لهما، ونضع الألفاظ في معانيها الحقيقية].[1]

القيام لله، ونهج الإمام عليه السلام وشيعته:

[لعلّ تعبير (القائم) الذي خُصّ به الإمام صاحب الزمان عليه السلام، يرتبط بقول الله تعالى في الآية الشريفة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾[2]؛ أي أنَّه يجب على الجميع القيام؛ باعتبار أنَّ أعلى قيام هو القيام الواحد، ذلك القيام المتمثّل بقيام الإمام الغائب عليه السلام، الذي لابد أن يتبعه كل قيام؛ لأنَّه (قيامٌ لله).

إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾؛ أي ـ يا محمّد صلى الله عليه وآله ـ قل لأمّتك، إنَّما أَعظُكُم بواحدة، وهذه الموعظة هي القيام لله، فقوموا لله، وإنَّ الإمام المهدي عليه السلام يقوم لله، وإنَّ القيام والإخلاص لله يكون من قبله لا من

---

(١) صحيفة امام ج١٤، ص ٤٧٣.

(٢) سورة سبأ: ٤٦.

غيره، إلا أنَّ على الشيعة المحترمين أن ينصروه؛ وذلك بأن يقوموا لله، ومن أجل الله][(١)].

شبهات وردود:

استنتاجان خاطئان حول انتظار الفرج:

[إنَّ ما أريد أن أبيّنه لكم اليوم هو استنتاجات تتعلق بانتظار الفرج، وسوف أتعرض إلى بعضها؛ فمن جملتها أن البعض يعتقد أن انتظار الفرج هو الجلوس في المسجد أو الحسينية أو المنزل، والقيام بالدعاء والتوسّل إلى الله تعالى بتعجيل فرج صاحب الأمر ﷺ، ويعتبر هؤلاء أفراد صالحين بما أنَّهم يمتلكون مثل هذا الاعتقاد.

بل إنَّ منهم ممن كان ينتظر الإمام صاحب الزمان ﷺ ــ كأحد الرجال الصالحين ممن تعرّفت عليه مسبقاً ــ قد اشترى فرساً، وكان يمتلك سيفاً أيضاً لهذا الغرض؛ فإنَّ مثل هؤلاء كانوا يعملون بتكاليفهم الشرعية، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إلا أنَّ خطأهم هو عدم قيامهم بأي عمل آخر سوى ذلك، ولم يكونوا يفكروا بالقيام بعمل مؤثرٍ يخدم هذا الأمر الهام.

أما البعض الآخر فقد كانوا يؤمنون بانتظار الفرج، إلا أنَّهم يقولون إننا غير مسؤولين عمَّا يحدث في العالم، أو ما يجري لشعوبه أو شعبنا؛ بل إنَّما علينا القيام بتكاليفنا الخاصة، وـ إن شاء الله تعالى ـ سوف يظهر الإمام المهدي ﷺ فيتصدّى للأمور، ويقوم بإصلاحها.

ويعتقدون كذلك أن تكليفهم هو القيام بالدعاء للإمام ﷺ ولتعجيل فرجه وحسب، وغير مكلَّفون بما يجري في العالم، أو في بلدهم، وهؤلاء أيضاً كانوا يُعدّون من الصالحين][(٢)].

---

(١) صحيفة امام ج٨، ص٨.

(٢) صحيفة امام ج٢١، ص ١٣ـ ١٤.

الردّ على هذه الاستنتاجات وبيان عدم صحّتها:

[إنَّ البعض يعتقد «أنَّ الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لو تيقّن أنَّ الوقت قد حان لظهوره فسوف يظهر».

ولقد كان يقول أحد العلماء رحمه الله: «إنَّ قلبي لم يحترق على الإسلام أكثر من صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فهو ينظر الى ما يجري في العالم من فساد، وهو يتكفل بذلك، فما الداعي لأن أقوم أنا بذلك»!

وهذا منطق الأشخاص الذين يريدون الهروب من المسؤولية، وإنَّ الإسلام بريء منهم، ولا يحسب لهم أي حساب؛ لأنَّهم يرغبون بالتخلّي عن الحقّ، واختلاق الأباطيل؛ ولهذا تجدهم يقومون بجمع روايتين من هذا المكان وروايتين من مكان آخر من أجل مخالفة الحقّ فمثلاً يقولون: «يجوز التواطؤ مع كلّ السلاطين والدعاء لهم»، مع أنَّ هذا يخالف القرآن الكريم، ومن يعتقد بذلك فكأنه لم يقرأ القرآن الكريم؛ لأنَّ من المفترض أنَّ تضرب الروايات بعرض الجدار وإن بلغت المئة لأنَّها تعارض القرآن الكريم، وكذلك تعارض سيرة الأنبياء، بل ينبغي أن لا نُطلق عليها عنوان الرواية.

ولو تطّلعون لرأيتم أنَّ هناك روايات كثيرة تنهى عن التودد للسلاطين الظلمة كقول الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لصفوان الجمّال: «من أحبَّ بقاؤهم فهو منهم ومن كان منهم كان ورد النّار»[1]، وهل يمكن أن يرغب المسلم ببقاء أحد الظالمين القتلة؟ أو يتودد لظالم يقوم بقتل الناس أو العلماء؟ مع أنَّ الحديث الشريف يقول: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[2]، فمن يفعل ذلك هيهات أن يصدق بقوله: «لا إله الا الله»][3].

---

(١) وسائل الشيعة ج١٦، باب ٣٧، من أبواب الأمر والنهي، ح٧.

(٢) وسائل الشيعة ج١٦، باب ١٨، من أبواب فعل المعروف ح١، ٢، ٣.

(٣) صحيفة امام ج٣، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

الاستنتاج الثالث: الإكثار من المعاصي من أجل تعجيل الفرج:

[إنَّ الأطروحة التي يعتقد بها البعض هي: وجوب حثّ النّاس للإكثار من المعاصي، بناءً على أنَّ ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام يتوقف على ذلك، وإلا فما هو الأمر الذي يأتي من أجله الإمام عليه السلام لولا ذلك؟

إنَّهم يعتقدون أنَّ سبب ظهوره هو رفع المعاصي التي يروّجون لها؛ ولهذا فلا بدّ من قيامهم بالمعاصي لكي يظهر!][1].

تجميد الأحكام الإلهية ينافي ضروريات الدين:

[لاتقولوا اتركوا العمل إلى أن يظهر الإمام صاحب الزمان عليه السلام، فهل يتسنى لكم ـ في أي حال من الأحول ـ أن تؤجلوا أداء الصلاة إلى زمان ظهوره عليه السلام؟

إنَّ الحفاظ على الإسلام هو أوجب من الصلاة، فلا تتكلّموا بالمنطق الذي كان يتكلم به «حاكم مدينة خمين»! حيث كان يقول: لابد أن ننشر الفساد لكي يظهر صاحب الزمان عليه السلام؛ أي أنَّه لو لم تزدد المعاصي فلن يظهر الإمام عليه السلام!][2].

فلو كان اعتقادكم كاعتقاد بعض العوام المنحرفين، الذين يقولون إنَّ ظهور ولي الله الأعظم عليه السلام يتوقف على السعي لتحقيق الكفر والظلم، لينتشر في العالم، وتتهيأ مقدمات الظهور؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون][3].

---

(١) صحيفة امام ج٢١، ص ١٤.

(٢) ولاية الفقيه ص ٥٨.

(٣) صحيفة امام ج٢١، ص ٤٤٧ (الوصية الإلهية السياسية).

الاستنتاج الرابع: الدعوة لإشاعة الفساد:

[إنَّ هناك مجموعة، ذهبت بها مذاهب الانحراف إلى أكثر من ذلك، فقد كانوا يقولون: لابد من الإكثار من المعاصي، ودعوة الناس لها، من أجل أن يُملأ العالم بالظلم والجور، ليظهر الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف وهذه أيضاً إحدى المجاميع التي يوجد بينهم أشخاصٌ سذّج، ومنحرفون يثيرون ذلك من أجل الوصول إلى أهدافهم][١].

نشر الظلم من أجل تعجيل ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف:

[لو أنَّ الجمهورية الإسلامية يُقدّر لها الزوال ـ لا سمح الله ـ فإنَّ الإسلام ستُصيبه العزلة إلى الأبد، فلا يتمكن من الحفاظ على رفعته بعد ذلك ـ ما عدى في زمان ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ ولعلكم تعتقدون خطأً فتقولون كما يقول البعض: لابد لنا من إيجاد حكومة كافرة وظالمة؛ من أجل أن يزداد الفساد، ليظهر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف!

حسناً، إنَّ هذه هي إحدى التوجّهات، ولعلكم لا تتصوّرون وجود مثل هؤلاء الأفراد، مع أنَّهم موجودون بل يوجد من يقول بعدم ضرورة وجود الحكومة العادلة، وإذا ما وجدت الحكومة فعلينا التصدّي لها من أجل أن يظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف!][٢].

---

(١) صحيفة امام ج٢١، ص ١٤.

(٢) صحيفة امام ج١٦، ص ١٣٩.

الاستنتاج الخامس: اعتبار تأسيس الحكومة أمراً باطلاً في زمان الغيبة:

[هناك مجموعة أخرى كانت تدّعي أنَّ تشكيل أيِّ حكومة في زمان الغيبة يعتبر أمراً باطلاً؛ وإنَّ هذه الحكومة تكون حكومة باطلة ومخالفة للإسلام، فهؤلاء لم يكونوا مخدوعين، بل هم مستكبرون، يعملون على خلاف ما يريده الإسلام، فيستشهدون ببعض الروايات من قبيل: «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله»[1]، فيتصوّرون أنَّ المقصود من الراية هي الحكومة، مع أنَّ الروايات لا تشير إلى كل راية، بل إلى الأشخاص الذين يرفعون راية المهدي عجل الله فرجه، بعنوان «المهدوية»، فإنَّ مثل هذه الراية هي راية ضلالة.

وعلى فرض ورود مثل هذه الروايات، أفهل تعني أنَّ التكليف يسقط عنا؟؛ أي ألم يكن معناها مخالفَاً لضرورة الإسلام والقرآن؛ باعتبار ذلك دعوة لارتكاب الذنوب كمقدمة ـ لمجيء أي نبي ـ أو لظهور الإمام عجل الله فرجه؟!][2].

---

(١) وسائل الشيعة ج١٦، باب ١٣، من أبواب جهاد العدو وما يناسبه، ح٦.

(٢) صحيفة امام ج٢١، ص ١٤ ـ ١٧.

خلاصة الدرس الثالث والعشرون:

١ـ إن القضية المهدوية قضية عالمية وغير مختصة بالشيعة.

٢ـ لا تنافي بين الإنتظار للإمام الحجة عجل الله فرجه وبين أداء التكاليف في زمن الغيبة.

٣ـ إن فهم الإنتظار بمعنى الصمت وعدم أداء التكاليف، وإشاعة الفساد لتعجيل الفرج وعدم القيام بحكومة إسلامية، هو فهم خاطئ وغير صحيح.

أسئلة حول الدرس:

؟؟؟

١ـ تحدث بإيجاز عن مفهوم الإنتظار الصحيح والتكليف في زمن الغيبة.

٢ـ كيف تناقش الإعتقاد القائل بزيادة الفساد ونشره لتعجيل ظهور الإمام عجل الله فرجه لأنه لا يخرج إلا بعد انتشار الظلم والفساد في الأرض؟

٣ـ ما هو جوابك على من يعتبر بأن تأسيس حكومة إسلامية في زمن الغيبة أمر باطل؟

للمطالعة

❖ إن أمريكا عاجزة عن ارتكاب أي حماقة:

كان معظم مسؤولي الحكومة يعارضون إحتلال وكر الجاسوسية (السفارة الأمريكية)، وكانوا يطرحون كل يوم مشكلة جديدة، فواحد يقول: لا يمكن الدخول في معركة ضد أمريكا، وآخر يقول: إن أمريكا أنزلت قواتها في المنطقة، وآخر يقول: إن الأسطول الحربي الأمريكي قد دخل المنطقة، أما الإمام فقد قال: «إن أمريكا عاجزة عن ارتكاب أية حماقة»! وعندما شكا أحد رجال الثورة للإمام من كثرة المؤامرات، وضع الإمام يده على صدره وقال بكل طمأنينة: «لماذا أنت خائف؟ لن يحدث أي سوء».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الشخصية ص٣٢١

الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)

نظرة سريعة حول ولاية الفقيه

ضرورة بحث ولاية الفقيه وأهميته:

إن مسألة ولاية الفقيه هي من مسلمات المذهب الإمامي، فإنك لا تجد من ينكر أصل ولاية الفقيه، إذ يترتب على إنكارها عدم جواز تصرفه في كثير من الأمور المتوقفة على الإجازة، غاية الأمر أنه قد وقع الخلاف في السعة والضيق، فذهب البعض بأنها مقيدة بأمور كالقضاء والإفتاء والأمور الحسبية، وذهب البعض الآخر إلى أنها مطلقة، وأن كل ما للإمام المعصوم فهو للولي الفقيه، ماعدا ما اختص به المعصوم أوثبت الدليل باستثناءه، وإلى الرأي الثاني ذهب السيد الإمام قدس سره، فكان محصل هذا المبنى هو ما تجده من ثمار الثورة الإسلامية المباركة ونتاجاتها.

علاقة ولاية الفقيه بالإمامة:

كان الإمام الخميني قدس سره معتقداً بالولاية المطلقة للفقيه إذ أن جميع الصلاحيات التي يمتلكها الإمام المعصوم عليه السلام هي بعينها ثابتةٌ للفقيه إلا إذا أستثني منها شيء ما.

يقول الإمام الخميني قدس سره:

[الأصل أن للفقيه الجامع للشروط ـــ الحاكمية في عصر الغيبة ـــ أي أنه يمتلك نفس الصلاحيات الواسعة للمعصوم إلا إذا كان لدينا دليل خاص أن الأمر الفلاني هو من اختصاصات الولي المعصوم ومن جملة تلك الأمور الجهاد الإبتدائي الذي اشتهر بين الفقهاء أنه من اختصاصات الولي المعصوم][1].

---

(١) الحكومة الإسلامية ص٥٦ ـ ٥٧، نقل عنه حوارات حول ولاية الفقيه لسماحة آية الله الشيخ مصباح اليزدي دام ظله ص ٦٩ ـ ٧٠.

يقول الإمام رضوان الله عليه:

[وإذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي صلى الله عليه وآله منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا. ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام على ما يمتاز به الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة. لأن فضائلهم لم تكن تخولهم أن يخالفوا تعاليم الشرع، أو يتحكموا في الناس بعيداً عن أمر الله. وقد فوّض الله الحكومة الإسلامية الفعلية المفروض تشكليها في زمن الغيبة نفس ما فوّضه إلى النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام من أمر الحكم والقضاء والفصل في المنازعات، وتعيين الولاة والعمال، وجباية الخراج، وتعمير البلاد، غاية الأمر أن تعيين شخص الحاكم الآن مرهون بمن جمع في نفسه العلم والعدل][(١)].

بداهة ولاية الفقيه:

[ولاية الفقيه فكرة علمية واضحة، قد لا تحتاج إلى برهان، بمعنى أن من عرف الإسلام، أحكاماً وعقائد، يرى بداهتها، ولكن وضع المجتمع الإسلامي، ووضع مجامعنا العلمية على وجه الخصوص، يضع هذا الموضوع بعيداً عن الأذهان، حتى لقد عاد اليوم إلى البرهان][(٢)].

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص ٥٣.

(٢) الحكومة الإسلامية، ص ٩.

إثبات ولاية الفقيه (أدلة ولاية الفقيه):

ـ الدليل العقلي:

يمكن إثباته ببرهانٍ مؤلفٍ من ثلاث مقدمات:

الأولى: [الأحكام الإلهية سواءاً المربوطة بالماليات أم السياسات أم الحقوق لم تنسخ، بل تبقى إلى يوم القيامة.

الثانية: نفس بقاء تلك الأحكام يقضي بضرورة حكومة وولاية تضمن حفظ سيادة القانون الإلهي وتتكفل بإجرائه، ولا يمكن إجراء أحكام الله تعالى إلا بها، لئلا يلزم الهرج والمرج، مع أن حفظ النظام من الواجبات الأكيدة، واختلال أمور المسلمين من الأمور المبغوضة، ولا يقام بذا ولا يسد هذا إلا بوالٍ وحكومة.

الثالثة: حفظ ثغور المسلمين عن التهاجم وبلادهم عن غلبة المعتدين واجب عقلاً وشرعاً، ولا يمكن ذلك إلا بتشكيل الحكومة، وكل ذلك من أوضح ما يحتاج إليه المسلمون، ولا يعقل ترك ذلك من الحكيم الصانع ـ فما هو دليل الإمامة دليل على لزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ (ولا) سيما مع هذه السنين المتمادية، ولعلها تطول والعياذ بالله إلى آلاف السنين، والعلم عنده تعالى.

وبضم المقدمات الثلاث نتوصل إلى هذه النتيجة:

فهل يعقل من حكمة الباري الحكيم إهمال الأمة الإسلامية وعدم تعيين تكليف لهم؟ أو يرضى الحكيم بالهرج والمرج واختلال النظام، ولا يأتي بشرعٍ قاطع للعذر لئلا تكون للناس عليه حجة؟!.

وما ذكرناه وإن كان من واضحات العقل، فإن لزوم الحكومة لبسط العدالة والتعليم والتربية وحفظ النظم ورفع الظلم وسدّ الثغور والمنع عن تجاوز الأجانب من أوضح أحكام العقول من غير فرق بين عصر وعصر أو مصر ومصر، ومع ذلك فقد دل عليه الدليل الشرعي أيضاً][١].

ـ الأدلة النقلية:

الأدلة القرآنية:

[هناك رواية أخرى تؤيد موضوع بحثنا، بل تدل عليه، وهي مقبولة عمر بن حنظلة، وقد وردت فيها آية من الذكر الحكيم. فلنعرض الآن بعض الآيات، وندرسها إلى حد ما لننتقل بعدها إلى ذكر تلك الرواية وغيرها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٢].

يعتقد البعض أن المراد من الأمانة هو ما يدع عند الفرد من مال الناس، وما أودعه الله عند الناس من أحكام شرعية يكون العمل بموجبها والالتزام بها رداً للأمانة إلى أهلها، فتلك أمانة الناس، وهذه أمانة الله.

ويفسر آخرون الأمانة بالإمامة، وقد ورد ذلك في مضامين بعض الأحاديث إذ يبدي الإمام أن المقصود من هذه الآية نحن الأئمة[٣]، فقد أمر الله

---

(١) البيع ج٢، مسألة ولاية الفقيه، ص ٦١٩ ـ ٦٢٠.

(٢) سورة النساء: ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) راجع تفسير البرهان ج٢، تفسير الآية ٥٨ و٥٩ من سورة النساء.

الرسول ﷺ برد الأمانة ـ أي الإمامة ـ إلى أهلها وهو أمير المؤمنين عليه السلام وعليه هو أن يردها إلى من يليه وهكذا...

وفي ذيل الآية الأولى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ خطاب إلى من يمسكون بأيديهم أزمة الأمور، وليس ذلك خطاباً خاصاً بالقضاة وأن كان يصدر منهم الحكم لأن القضاة جزء من الحكومة المهيمنة على أمور الناس، وليسوا هم الحكومة كلها.

ومن المعروف في الدول الحديثة وجود ثلاث سلطات تتشكل منها الحكومة وأجهزة الدولة، هي السلطة القضائية والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم...﴾ خطاب عام شامل لكل من تتألف منه الحكومة من أفراد هذه السلطات.

فالحكومة العادلة من مفردات الأمانة التي يجب تسليمها إلى أهلها، ويجب على أهلها القيام عليها أحسن قيام.

فهذه الحكومة تعمل بموجب موازين القانون والشرع الشريف، والقاضي فيها يحكم بالعدل والإنصاف لا بالجور والظلم، مستمداً أحكامه من الدين الحنيف.

والسلطة التشريعية فيها تدور في فلك التعاليم الشرعية والأحكام والقوانين الإسلامية العامة الشاملة ولا تتعداها ولا تتجاوزها، وتعمل السلطات التنفيذية كما يريد لها الدين أن تعمل في الناس بما يسعدهم ويبعد عنهم شبح الفقر والجوع والتخلف، وتعمل كذلك على إقامة حدود وحفظ الأمن والنظام، كل ذلك باعتدال وتوازن من غير إفراطٍ أوتفريط.

كان أمير المؤمنين عليه السلام بعد قطعه يد السارق يعطف عليه، ويرفق به، ويعالج يده، ويحسمها بالزيت، حتى ليعود المقطوع من أشد الناس محبة له[1].

---

(١) بحار الأنوار ج ٣٤، باب ٣٣، ح١٠٠٨، ص ٢٢٧، ج ٤٠، ص ٢٨١.

وحين يبلغه أن جيش معاوية قد أغار على «الأنبار» وأن الرجل منهم ليأتي الذمّية والأخرى المعاهدة فينزع عنها قرطها وخلخالها ـ كان يتفطر حزناً وألماً ويقول: «فلو أن امرء مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»[1].

ومع هذه العواطف الجياشة، كان يحمل سيفه إذا لزم الأمر ليضعه في رقاب المفسدين الذين يعيثون في الأرض فساداً. هذه هي العدالة!

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاكمٌ عادل، فهو إذا أمر باحتلال موقع، أو القضاء على طائفة مفسدة من الناس فقد حكم بالعدل، لأنه إن لم يفعل فقد خالف العدل، وذلك لأن حكمه منسجم دائماً مع ضرورات صالح المسلمين، بل مع ضرورات الحياة البشرية كلها.

فالحاكم الأعلى لا بد أن يكون نظره في المصالح العامة، ولا يعبأ بالعواطف، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولذا نرى أن كثيراً من المصالح الخاصة ذات الاثرة قد قضي عليها رعاية للمصلحة العامة. ونرى أن الإسلام حارب طوائف من الناس لما يصدر عنهم من الضرر، فقد أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يهود بني قريظة عن آخرهم لما لمسه منهم من الإضرار بالمجتمع الإسلامي وبحكومته وبجميع الناس. فجرأة الحاكم وشهرته في الله عند تنفيذ أمره وإقامة حدوده من غير خضوعٍ لعاطفة أو انسياق لهوى، وكذلك عطفه ورأفته وحنانه وشفقته بالناس، هاتان الصفتان تجعلان من الحاكم كهفاً يلجأ الناس إليه.

وأما هذا الذي نراه من خوف وقلق في أيامنا هذه، فإنما هو بسبب عدم شرعية الحكومات الفعلية، لأن الحكومة اليوم تعطي مفهوم التسلط والإثرة

---

(١) نهج البلاغة (ومن خطبة له عليه السلام في الحث على الجهاد وذم القاعدين).

والتجبر. أما في مثل حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو في أية حكومة إسلامية حقيقية، فلا خوف على الناس ولا هم يحزنون، وللإنسان أن يأمن كل الأمن ما لم يخن أو يظلم أو يتجاوز حدود الله.

وقد ورد في الحديث أن قوله تعالى: ﴿أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ يتعلق بالأئمة عليهم السلام وقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ...﴾ يتعلق بالأمراء، وقوله: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ...﴾ خطاب عام للمسلمين جميعاً يأمرهم فيه أن يتبعوا أولي الأمر ـ أي الأئمة ـ ويأخذوا عنهم التعاليم ويطيعوا أوامرهم[1].

وقد عرفتم سابقاً أن المقصود من طاعة الله. اتباع أمره في كل الأحكام الشرعية، العبادية وغيرها، وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعني اتباع أوامره كلها بما فيها مما يتصل بتنظيم المجتمع وتنسيقه وتهيئة القوى المعنوية والمادية للدفاع عن كيانه، وإن كان ذلك طاعة لله أيضاً. فطاعتك للرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو امتثالك لأوامره الصادرة إليك، فلو فرض عليك أن تلتحق بجيش أسامة، أو ترابط في الثغور، أو تدفع الضرائب أو تجبيها أو تعاشر الناس بالتي هي أحسن، لم يكن لك في كل ذلك أن تتخلف. وقد أمرنا الله أن نأخذ ما آتانا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وننتهي عما نهانا عنه، كما أمرنا أن نأخذ من أولي الأمر الذين هم الأئمة عليهم السلام، مع العلم أن إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإطاعة أولي الأمر هي إطاعة لله، لأن إطاعتنا إياهم امتثال لأمر الله إيانا باتباعهم.

وفي ذيل الآية يقول: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

والنزاع بين الناس قد يكون على أمور حقوقية يعمل فيها القاضي بموجب البينات والأيمان، وقد لا يكون ذلك النزاع اختلافاً على شيء حقوقي، بل

---

(١) راجع تفسير البرهان ج٢، تفسير الآية ٥٨ من سورة النساء.

القضية قضية جزائية، قضية ظلم أو عدوان أو قتل أو سرقة وغيرها. في مثل هذه الحال برفع الأمر إلى الجهات المسؤولة لتبدأ عملها في مثل هذه القضايا الجزائية أو المزدوجة ـ أي الحقوقية الجزائية ـ أحياناً، وتصدر أحكامها في ذلك الشأن قاضية فيها بما أمر الشرع أن يقضى به.

فالقرآن يأمرنا برد كل هذه القضايا حقوقية كانت أم جزائية، إلى الرسول باعتباره رئيس الدولة، وهو بدوره مأمور أن يحق الحق ويبطل الباطل، ومن بعده الأئمة عليهم السلام ومن بعدهم الفقهاء العدول.

وبعد ذلك يقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ...﴾[1].

والمقصود من الطاغوت كل هيئة وسلطة قضائية أو حكومية تحكم أو تقضي بغير ما أنزل الله، وتعمل في الناس بالجور والاثم والعدوان، وقد أمرنا الله أن نكفر بمثل ذلك، وأن نتمرد على كل حكومة جائرة وإن كان ذلك يكلفنا الصعاب ويحملنا المشاق][2].

ـ الأدلة الروائية:

ـ الدليل النقلي الأول:

مكاتبة إسحاق بن يعقوب:

وهي من جملة الروايات الصريحة الدالة على إرجاع الناس إلى الفقهاء في جميع مشكلاتهم ومعضلاتهم المعاصرة وتقلبات الحياة وتطورات المجتمع والحوادث الطارئة، وهذه الرواية المشهورة بين الفقهاء بـ(التوقيع الشريف) هذا التوقيع هو في الواقع جواب كتبه مولانا وسيدنا بقية الله الأعظم

---

(١) سورة النساء: ٦٠.

(٢) الحكومة الإسلامية، ص ٨٥ ـ ٩٠.

صاحب العصر والزمان ﷺ عن رسالة إسحاق بن يعقوب، التي تضمنت أسئلة وجّهها لمحضره الشريف، ومن جملتها: ما هو تكليفنا فيما يخص (الحوادث الواقعة) التي ستحصل في زمان الغيبة؟ فأجابه الإمام ﷺ بهذا الشأن.

[توقيع صدر عن الإمام الثاني عشر القائم المهدي ﷺ، وسنعرضه مع بيان كيفية الإستفادة منه:

في كتاب «إكمال الدين وإتمام النعمة»...عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان ﷺ: «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك ـ إلى أن قال ـ:

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم، وأما محمد بن عثمان العمري، فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي، وكتابه كتابي»[1].

وطبيعي أنَّ المقصود من الحوادث الواقعة ليس هو المسائل والأحكام الشرعية، فالسائل كان يعرف مرجعه في هذه المسائل والأحكام، وكان الناس يرجعون إلى الفقهاء إذا أشكلت عليهم مسألة من مسائل الشرع وأحكامه، وقد كان ذلك يحدث حتى في زمن الأئمة ﷺ أنفسهم إذا كان الناس بعيدين عن الإمام ﷺ، وفي مصر غير مصره، فالسائل المعاصر لأوائل غيبة الإمام ﷺ وهو على اتصال بنوابه، ويراسل الإمام ويستفتيه لم يكن يسأل عن المرجع في الفتوى، لأنه كان يعرف ذلك جيداً، إنما كان يسأل عن المرجع في المشكلات الإجتماعية المعاصرة، وفيما يجد من تطورات في حياة الناس. فهو إذ تعذر عليه الرجوع في تلك الأمور إلى الإمام، بسبب غيبته، يريد أن يعرف المرجع

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، باب ٤٥، ح٤.

في تقلبات الحياة وتطورات المجتمع والحوادث الطارئة، وهو لا يدري ماذا يفعل.

... يقول الإمام قدس سره: **حجة الله تعني أن الإمام مرجع للناس في جميع الأمور والله قد عينه وأناط به كل تصرف وتدبير من شأنه أن ينفع الناس ويسعدهم، وكذلك الفقهاء، فهم مراجع الأمة وقادتها.**

ويتابع قوله قدس سره: **فالفقهاء اليوم هم الحجة على الناس، كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حجة الله عليهم، وكل ما كان يناط بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أناطه الأئمة عليهم السلام بالفقهاء من بعدهم، فهم المرجع في جميع الأمور والمشكلات والمعضلات، وإليهم قد فوضت الحكومة وولاية الناس وسياستهم والجباية والإنفاق، وكل من يتخلف عن طاعتهم، فإن الله يؤاخذه ويحاسبه على ذلك]**[1].

ـــ الدليل النقلي الثاني:

مقبولة عمر بن حنظلة:

والرواية الأخرى التي يمكن الإستناد إليها في إثبات ولاية الفقيه هي المقبولة المشهورة لعمر بن حنظلة، التي بيّن فيها الإمام الصادق عليه السلام تكليف الأمة في مجال حلّ المنازعات، والرجوع في ذلك إلى مرجعٍ يمتلك الصلاحية لأن يكون حاكماً على المسلمين.

والآن لننظر ماذا تقول هذه المقبولة وما المقصود منها:

[... عن عمر بن حنظلة: «قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذه سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص ٨٠ ـ ٨٤.

أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾[1]، قلت كيف يصنعان؟ قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا... فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً... »[2].

يقول الإمام قدس سره: وكانت هذه المقبولة حكماً سياسياً يحمل المسلمين على ترك مراجعة السلطات الجائرة وأجهزتها القضائية، حتى تتعطل دوائرهم إذا هجرها الناس، ويفتح السبيل للأئمة عليهم السلام ومن نصبهم الأئمة للحكم بين الناس. والغرض الحقيقي من هذه الرواية هو أن لا يكون حكام الجور مرجعاً للناس في أمورهم، لأن الله قد نهى عن رجوع الناس إليهم، وأمر بتركهم واعتزالهم والكفر بهم وبحكمهم بسبب ظلمهم وجورهم وانحرافهم عن سواء السبيل.

يقول عليه السلام: (فإني قد جعلته عليكم حاكما) فعلى الناس أن يرضوا به حاكما يرجعون إليه في قضاياهم ومنازعاتهم، ولا يحق لهم الرجوع إلى غيره. ففي الفصل في الدعاوى يرجع إلى من عينه الإمام دون غيره، وهذا الحكم الشرعي يعم المسلمين جميعا وليس مشكلة تخص عمر بن حنظلة ليكون الجواب الصادر عن الإمام عليه السلام جوابا خاصا به.

وكما كان أمير المؤمنين عليه السلام يعين الولاة ويأمر الناس بالرجوع إليهم وطاعتهم، فكذلك الإمام الصادق عليه السلام باعتباره وليا وحاكما على المسلمين وعلى العلماء والفقهاء، فقد عين في أيام حياته ولما بعد وفاته حكاما وقضاة.

وذلك ما عبر عنه بقوله عليه السلام: «جعلته عليكم حاكماً». والحكم هنا لا يقتصر على الأمور القضائية، بل يشتمل عليها وعلى غيرها. ويستفاد من هذه الآية

---

(١) سورة النساء: ٦٠.

(٢) وسائل الشيعة، باب ١١، من أبواب صفات القاضي، ح١.

والآيات المتقدمة والرواية أن جواب الإمام لا يخص تعيين القضاة فقط، وإنما هو شيء أعم من ذلك. والرواية من الواضحات ولا تشكيك في سندها أو دلالتها. ولا شك أن الإمام قد عين الفقهاء للحكومة والقضاء، وألزم المسلمين كافة أن يأخذوا ذلك بنظر الاعتبار][1].

منصب العلماء محفوظ دائماً:

بعد إثبات ما للعلماء من منصب من قبل الإمام المعصوم على مدى الفترات المختلفة للأئمة عليهم السلام ـ باختلاف الظروف ـ لهذا المنصب، يبقى هذا المنصب محفوظاً لهم بمقتضى إطلاق الدليل المثبت لهذا المنصب وهذه الوظائف، خصوصا مع عدم وجود الدليل النافي لمنصب العلماء الممنوح من قبل الأئمة عليهم السلام، فبمقتضى إيماننا بعصمة الإمام وعلمه بمستقبل الأمة المحتاجة لمن يقودها مع غياب الإمام أو عدم ظهوره بين الناس، فلو لم يكن هذا المنصب صالحاً للعلماء لكان التنصيب عبثاً بل عن جهلٍ وهو خلاف العصمة، والمعصوم منزه عن ذلك، فلابد حينئذٍ من بيان المعصوم بأن هذا المنصب مؤقت في حال حياة الإمام الظاهر ولم يصدر من المعصوم ما يفيد أن هذا المنصب مؤقت وخاص بفترة معينة .

يقول الإمام قدس سره: **[نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة عليهم السلام للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم، لأن الأئمة عليهم السلام الذين لا نتصوّر فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم، وإذا كان الإمام يعرف أن أمر هذا التعيين منوط بحياته لكان ينبغي له أن يلفت أنظار الناس إلى ذلك، بأن يبين لهم أن منصب هؤلاء الفقهاء موقوت بحياة الأئمة، وبعدها يكون الفقهاء معزولين.**

إذن، فالعلماء بموجب هذه الرواية، قد عينوا من قبل الإمام للحكومة والقضاء بين الناس، ومنصبهم لا يزال محفوظاً لهم].

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص ٩٠ ـ ٩٣.

يقول الإمام قدس سره: [فإذا كان الإمام اللاحق قد عزل هؤلاء الفقهاء ولم يعين آخرين، فإلى من يرجع المسلمون في خلافاتهم ومنازعاتهم؟ هل يرجعون إلى الفساق والظلمة، وحكم الطاغوت، أم يكون فوضى وضياع للحقوق وأكل للمال بالباطل، وتعدّ لحدود الله من غير رادع؟!][1].

أقوال العلماء في ولاية الفقيه:

[وقد ذكرت لكم أن المرحوم النراقي قدس سره ـ من المتأخرين ـ يرى أن جميع شؤون رسول الله صلى الله عليه وآله ثابتة للفقهاء، مع استثناء ما أستثنى من شؤونه الخاصة. وكان المرحوم الشيخ النائيني قدس سره يقول: إن هذا الموضوع يستفاد كله من مقبولة (عمر بن حنظلة)][2].

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) الحكومة الإسلامية، ١٢٠.



خلاصة الدرس الرابع والعشرون:

١ـ توجد علاقة وثيقة بين ولاية الفقيه والإمامة.

٢ـ ولاية الفقيه ثابتة عقلاً ونقلاً.

٣ـ من الأدلة النقلية على ولاية الفقيه هو التوقيع الشريف الصادر جواباً لإسحاق بن يعقوب، وكذا رواية عمر بن حنظلة.

؟؟؟

أسئلة حول الدرس:

١ـ ما هي علاقة ولاية الفقيه بالإمامة؟

٢ـ اذكر الدليل العقلي على ولاية الفقيه (باختصار).

٣ـ اذكر دليلاً نقلياً على ولاية الفقيه.

للمطالعة

❖ **يواسي فقراء شعبه:**

تشرفت مرة ـ بتوفيق الله الرحمن ـ بزيارة الإمام وتقبيل يديه وهو جالس على كرسي قديم في شرفة صغيرة في منزله، وقد لاحظت أن برد «جمران» القارص قد أثر عليه بحيث أن حمرة وجهه قد مالت إلى الزرقة، وعندما سألت عن سبب عدم وضع مدفأة له تقيه هذا البرد، أجابوا: هو يرفض ذلك مواساة لفقراء شعبه، وذكروا نموذجا آخرا لهذه المواساة هو أن ملابس الإمام أعطيت للعائلة لغسلها منذ أيام ولكنها لم تغسل بعد لأن ما عندهم من مسحوق الغسيل قد نفذ ولم يحن بعد موعد الحصول على الحصة العامة الجديدة منه.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رحمه الله
الحياة الشخصية ص ٧٠ ـ ٧١

الفصل الخامس

المعاد

- الباب الأول: إثبات المعاد
- الباب الثاني: منازل الآخرة

الباب الأول: إثبات المعاد

الدرس الخامس والعشرون

معنى الدنيا والآخرة

في البداية، وقبل الحديث عن تفاصيل المعاد وإثباته، سوف نطرح ما معنى كل من الدنيا والآخرة؟ إذ عند الحديث عن المعاد لابد من الكلام عن وجود حياة أخرى غير هذه الحياة التي نعيشها في عالم الدنيا (من الولادة حتى الموت) وهي ـ الحياة الأخرى ـ تختلف عن هذا العالم في كيفيتها وتركيبتها، فلنقرأ من كلام السيد الإمام قدس سره هذا التفريق إذ يقول:

[يقول العبد الفقير: إن بوسعنا القول أن (الدنيا) تطلق حينا على النشأة النازلة للوجود وهي دار التصرم والتغير والمجاز؛ أما (الآخرة) فتطلق على الرجوع من هذه النشأة إلى ملكوتها وباطنها وهو دار الثبوت والخلود والقرار. وهذه النشأة متحققة ـ لا محالة ـ لكل نفس من النفوس وشخص من الأشخاص. وبالجملة إن لكل موجود مقام ظهور وملك وشهود، وتلك هي المرتبة الدنيوية النازلة لوجوده، وله أيضا مقام بطون وملكوت وغيب، وتلك هي نشأته الصاعدة الأخروية](١).

الحياة الدنيا مقدمة للحياة الأخرى:

كل عاقل سليم العقل يؤمن بوجود عالم وراء هذا العالم ليتحقق ما لم يتحقق في هذا العالم المادي المليء بالمنغصات والشوائب والظلم والإضطهاد، فهذه الحياة لا تمثل الحياة الحقيقية بل هي محل اللهو واللعب.

[يحكم العقل لدى كل ذي شعور بأن وراء هذه الحياة الصبيانية، عالماً فسيحاً خلق الله أبناء الطبيعة لكي يعيشوا فيه، وأرسل الرسل والأنبياء عليهم السلام لكي

---

(١) الأربعون حديثاً (فارسي) ص١٢٠، المعاد ص ٢٤٥.

يدلّوا الناس على طريق الوصول إليه وتهيئة مقدماته، وأن القوانين الإلهية إنّما شرّعت بهدف التمكين من الاستعداد للحياة في ذلك العالم، وإن كان لهذه الحياة قوانينها أيضاً، لكن المقصود الأصلي هو تأمين متطلبات تلك الحياة الخالدة. ومن هنا وصف الله تعالى في كتابه حياة هذا العالم بأنها (لهو ولعب)[(١)] وتصرفات صبيانية، وإنها لكذلك حقاً][(٢)].

الحياة الدنيوية والحياة الأخروية:

[للإنسان حياتان، الأولى مادية دنيوية يحياها في هذا العالم، والأخرى حياة معنوية أخروية خاصة بالعالم الآخر، ولكل من هاتين الحياتين وسائل وآلات ومعدات يجب عليه السعي لتوفيرها، ومن الثابت في الحكمة المتعالية والقرآن الكريم ووصايا الأنبياء عليهم السلام جميعا أن وسائل ذلك العالم ومعداته يجب تهيئتها في هذا العالم، ويكفي لإثبات هذا المدعى مراجعة الإرشادات المعنوية والوصايا الروحية للأنبياء عليهم السلام][(٣)].

المعاد في القرآن:

اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغا بمسألة المعاد وأكد على حصول المعاد وتحققه بدون أدنى شك، وسرد الأدلة الوجدانية التنبيهية التي تخاطب عقل الإنسان وقلبه ليرشده إلى أدلة المعاد العقلية، كما أشار إلى بعض تفاصيل المعاد، فقليلا ما تقرأ سورة قرآنية ولا يرد فيها عن الجنة أو النار أو الحساب أو التحذير والترغيب الذي مفاده الجزاء والعقاب.

يقول إمام الأمة قدس سره في هذا الصدد:

[القرآن كتاب دعوة، يدعو الإنسان إلى أصول الحقائق، ويبين له المعتقدات الدينية التي تؤثر في إصلاح النفس وتحصيل الطمأنينة في الدنيا، وترفع المنازل

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٢) كشف الأسرار (فارسي) ص ٣٠٤، المعاد ص ٢٤.

(٣) كشف الأسرار (فارسي) ص ٣١-٣١٢، المعاد ص ٢٤.

الوجودية وتؤمن السعادة والكمال الأخروي وتحث عموم الناس على السعي إلى ذلك، من قبيل الإيمان بالحضور ذات يوم في محكمة العدل الإلهية المطلقة ونيل ثواب وعقاب الأعمال على قاعدة قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(١)، أو الإعتقاد بوجود حياة وراء الحياة المتعارفة لدى عموم الناس. أما كيفية تلك الحياة المقبلة وطريقة إحياء الموتى وما شابه ذلك من مسائل فهي قضايا خارجة عن عهدة كتاب دعوة، خاصة المسائل التي تحتاج إلى بيان مقدمات حكمية وفلسفية.

ولو اهتم القرآن وراء إيصال العقيدة الحقة المثمرة ببيان ماهية تلك العقيدة وتفاصيلها لضاع أصل الغرض في زحمة المقدمات بسبب ضعف عقول العوام وقابلياتهم، ولأشكل تأسيس العقائد على أصول موضوعية واضحة، لذا أكتفي في القرآن ببيان أصل المعاد والإشارة إلى حياة ومعيشة للإنسان بنفس الجسم والهيكل وشخصية ما قبل الموت، وليس في الآيات ما هو أكثر من ذلك والسبب أن هذا المقدار كاف لنيل المقصود](٢).

بعض آثار الإيمان بالمعاد:

إن للإيمان بالمعاد وعدمه آثاراً واضحة جلية على حياة الإنسان وسلوكه سواء سلبا أم إيجابا، فإن كان إيمانا يعطي ثمارا إيجابية وإن كان بعدم الإيمان والإعتقاد فله مخلفات سلبية تأثر على حياة الإنسان وخصوصيات شخصيته، فتجد من يؤمن بالمعاد تكون حياته الدنيوية على ذلك ويضع له برنامج يتناسب مع هذا الإعتقاد، إذ بناءا على التمسك بالمعاد يكون التوجه لآثار الأفعال اليومية والسلوكيات مع الآخرين وأداء حقوقهم، بل أن المعاد يمثل سببا رئيسا للكثير من الموحدين ــ بمرتبة من مراتب التوحيد ــ لأداء حق الخالق، فلو لم يكن معاد وثواب وعقاب لوجدت الكثير قد تنازل عن أخلاقياته وسلوكياته مع

---

(١) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٢) تقريرات فلسفه امام خمينى ج ٣، ص ٥٩٠-٥٩١، المعاد ص ٣٠، ٣١.

الآخرين وبما أن التعرف على هذه الآثار له ارتباط مباشر بالإيمان بالمعاد وعدمه، وبه يكون تحديد المصير فإننا سوف نتعرض لذكر بعضها كما وردت في كلمات السيد الإمام قدس سره.

١ـ أثر الإعتقاد بالمعاد على حياة الإنسان:

لاشك أن الإيمان بالمعاد بالمعنى الصحيح سوف يجعل الإنسان يحاسب نفسه ويمنعه عن المعاصي مما يجعل حياته مليئة بالراحة النفسية والهدوء لتتحقق الأهداف من بعثة الأنبياء عليهم السلام من التوجه نحو الله تبارك وتعالى وترسيخ العدالة والسعادة للجميع وقد أشار السيد الإمام قدس سره لهذا المعنى إذ قال:

[إذا أيقن الإنسان أن لهذا العالم مبدأً، وأن ثمة معاداً للإنسان، وفي مرحلة لاحقة، أدرك أن الموت ليس بفناء وإنما هو انتقال من النقص إلى الكمال، فإن هذا الاعتقاد والادراك من شأنه أن يعصم الإنسان عن المعاصي والانحرافات][١].

٢ـ الاعتقاد بالمعاد يمنع الذنب:

إن الإعتقاد بالمعاد ولو على حساب الإحتمالات وقوة المحتمل لحصوله يكون رادعا للإنسان عن المعاصي والذنوب، فالأمر ليس بالضرورة أن يكون عن اعتقاد جازم بالمعاد للإمتناع عن الذنب بل احتمال الحساب والعقاب كاف لذلك، ولو كان الإعتقاد عن يقين فأثره أقوى من دون أدنى شك.

[هل من الممكن أن يحتمل شخصٌ وجود جهنم والخلود في النار ومع ذلك يقدم على المعصية؟! وكيف لا يتهيّب من ارتكاب المعاصي وهو يؤمن بأنّ الله حاضر وناظر على أعماله، ويرى نفسه في حضرة الرب ويحتمل أن يجازى على أقواله وأفعاله فيحاسب ويعاقب، ويثبت عليه كل كلمة يقولها في هذه الدنيا وكل خطوة يخطوها وكل عمل يقدم عليه، فملائكة الله تلازمه كرقيب عنيد وتضبط كل أقواله وأعماله؟!][٢].

---

(١) تفسير سورة الحمد (فارسي) ص ١٠٩، المعاد ص ٣١.

(٢) الجهاد الأكبر (فارسي) ص ٥٠، المعاد ص ٣١.

خلاصة الدرس الخامس والعشرون:

- العقل يحكم بوجود عالم ما وراء هذه الطبيعة وهذا العالم المادي.
- إهتم وركز القرآن الكريم على مسألة المعاد، ولا تكاد تجد سورة لا تحتوي على مسألة المعاد.
- للإيمان بالمعاد آثارٌ على سلوك الإنسان وسعيه نحو الكمال.

؟؟؟

أسئلة حول الدرس:

١ ـ ما الفرق بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، وما العلاقة بينهما؟

٢ ـ أذكر آيةً تدل على ثواب الأعمال وعقابها.

٣ ـ للإعتقاد بالمعاد آثارٌ أذكرها.

للمطالعة

❖ **هذه غيبة:**

قالت زوجة الإمام المحترمة: عشت مع الإمام (٦٢) عاماً دون أن أسمع منه ولا كلمةً غيبة واحدة.

وهذه الحالة هي أشبه بالمعجزة حقاً. لقد نقلت هذه السيدة الحادثة التالية: كانت لنا خادمة لا تعمل جيداً ولذلك استبدلناها بأفضل منها، وبعد عدة أيام قلت للإمام: هذه الخادمة جيدة في عملها، فقال: (إن كنتِ تريدين بهذه الكلمة أن تقولي لي أن الخادمة السابقة لم تكن جيدة فهذه غيبة لستُ مستعداً لسماعها).

قبسات من سيرة الإمام الخميني رحمه الله
الحالات العبادية والمعنوية ص٣٢٩

الدرس السادس والعشرون

أدلة المعاد

أدلة إثبات المعاد:

١ـ المعاد ضرورة الأديان والبرهان:

من الضروريات الثابتة لدى كل الأديان والتي لا يمكن التشكيك فيها هي المعاد إذ أننا لو استقرأنا كل الأديان السابقة لوجدناها تصرح بضرورة المعاد ولا مجال لإنكار ذلك. كما أن الدليل قائم على ضرورة المعاد إذ قام على أنه هناك عالم غير عالم الطبيعة الذي نحن فيه.

[الأديان بأسرها قائلة (بوجود المعاد)، والبرهان قائم على أن ثمة عالماً آخر ما وراء عالم الطبيعة][1].

٢ـ الإيمان بالمعاد قضية فطرية:

إن المعاد من الأمور التي يتفق عليها جميع البشر، ولا تؤثر فيها عادة أو مذهب أو غيرها من الأمور التي تطرأ على الأشياء فتغيرها، فالإيمان به من الأمور الفطرية الغير قابلة للتغيير أو الإنكار حاله حال بقية أصول الدين.

[الإيمان بالمعاد يعد من الفطريات شأنه في ذلك شأن سائر أصول الإيمان وأركانه من معرفة الله وتوحيده والولاية ـ وهي الإيمان بالرسل ﷺ ـ والإيمان بالملائكة والكتب السماوية][2].

---

(١) صحيفة امام ج٣، ص٢٢٨، المعاد ص٣٩.

(٢) شرح جنود العقل والجهل (فارسي) ص ٩٨، المعاد ص٣٩.

٣ـ حب البقاء الأبدي:

إن فطرة حب الخلود والبقاء لدى الإنسان دليل على أن هناك عالماً صالحاً للبقاء الأبدي لا يفنى.

[الإنسان يريد أن يصل إلى الحق المطلق لكي يفنى في ذات الله، وهذا الشوق العارم في فطرة كل إنسان للخلود الأبدي، يدل ـ مبدئياً ـ على وجود عالم خالد لا يطرأ عليه الموت والفناء][1].

٤ـ عدم قابلية الدنيا لعذاب المجرمين:

إن عالم الدنيا قاصر عن معاقبة المجرم الظالم بما يستحق، فالظالمون الطغاة على مر الأزمنة الذين مارسوا أشد أنواع الظلم والقتل ضد الأبرياء وراحوا يمارسون أبشع أنواع الإضطهاد وسلب الحقوق كما هو حال حكام الأمويين وبني العباس ومن سار على نهجهم كطاغية زماننا صدام وحثالة الكيان الصهيوني والإستكبار، فهل من العدل أن يقتل من أباد جماعة بأسرها ودمر بلدانا بأكملها، أمن العدل أن يقتل قتلة واحدة وينتهي الأمر؟ إذ لا يمكن لهذا العالم (عالم الدنيا) أن يفي بجميع عقوبات المجرمين لأن طبيعته لا تحتمل ذلك. إذن فلابد من عالم غير هذا العالم يختلف عن عالم الدنيا ليأخذ كل ذي حق حقه.

[ليس بوسعنا جميعاً أن نجازي شخصاً ارتكب جرائم بقدر الجرائم التي ارتكبها (محمد رضا بهلوي)، ولو اجتمع البشر من أجل ذلك، وذلك لأن غاية هذا الجزاء أن يقتل هذا الشخص ويموت، فنكون قد جازيناه بمقدار قتله رجلاً واحداً، فكيف بنا إذا كان قد قضى على شعب بأكمله؟! كيف نجازيه على ذلك بحيث يكون الجزاء بمستوى الجريمة؟ وهذا بحدّ ذاته دليل على وجود عالم آخر يتسع لمثل هذه المعاني بأن يكون أبدياً، وليس إلا جهنم الخالدة. هناك دائماً عذاب لا يمكن لنا أن نتصوره، وهذا يدل على وجود عالم آخر، فيه تتمّ معاقبة المجرمين لأننا لا نستطيع استيفاء الحق منهم في هذا العالم][2].

---

(١) صحيفة امام ج٢١، ص٢٢٣ رسالة التوحيد، المعاد ص ٤٣.

(٢) صحيفة امام ج ٨، ص٢٤٦، المعاد ص٤٤- ٤٥.

بقاء الروح بعد الموت:

بقاء الروح بعد الموت من المسلمات الفلسفية وقد أقيم على ذلك الأدلة العقلية المحكمة التي لا يردها إشكال أو خلل، وهي ليست ثابتة لدى فلاسفة الإسلام فحسب، بل أثبتها فلاسفة ما قبل الإسلام قبل مجيء الإسلام العزيز وقد اعتبرت من ضروريات الأديان وبديهياتها ومن مسلمات الملل على اختلافها، ولم يقتصر في الدليل على العقلي منها بل جاء القرآن الكريم وأكد على هذه الضرورة أيّما تأكيد.

[قد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المحكمة في الفلسفة العليا أن الروح باقية بعد الموت وإحاطة الأرواح الكاملة بهذا العالم هي بعد الموت أرقى. ويعتقد الفلاسفة باستحالة تلف الروح وهي من مسلمات الفلسفة الثابتة من أول ظهور الفلسفة لدى العلماء وأعاظم الفلاسفة قبل الإسلام وبعد الإسلام. وتسالمت عليها جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين واعتبرتها من ضروريات أديانها وبديهياتها بل إن بقاء الروح وإحاطتها مسلم عند الفلاسفة الروحيين والإلهيين الأوروبيين أيضا] [١].

آراء الفلاسفة قبل الإسلام:

قد استعرض السيد الإمام قدس سره جملة من آراء فلاسفة ما قبل الإسلام فذكر على سبيل المثال رأي ثاليس الملطي وانكسيمايس الفيلسوف الملطي وأنبذقلس الفيلسوف الكبير وفيثاغورث الحكيم وسقراط الفيلسوف وأفلاطون أرسطاطاليس (أرسطو) ونقل كلامهم حول ذلك مما يدل على أن بقاء الروح بعد الموت من المسلمات لدى الفلاسفة ما قبل الإسلام.[٢]

---

(١) كشف الأسرار (عربي) ص ٥٦.

(٢) كشف الأسرار (فارسي) ص ٣٠، (عربي) ص٥٧- ٥٩، المعاد ص٥٦- ٦٢.

آراء فلاسفة الإسلام:

بعد ما عرفنا آراء فلاسفة ما قبل الإسلام في مسألة بقاء الروح بعد الموت، فلنتعرف على آراء فلاسفة الإسلام في ذلك ونرى ما يقولون. لقد تطرق الإمام قدس سره لأكثر من قول من أقوال الفلاسفة الإسلاميين منها رأي الشيخ الرئيس وشيخ الإشراق وصدر المتألهين ونحن للإختصار نورد ما أورده السيد الإمام عن صدر المتألهين قدس سرهما:

[محمد بن إبراهيم الشيرازي عظيم الفلاسفة الإلهيين ومؤسس القواعد الإلهية ومجدد حكمة ما بعد الطبيعة. وهو أول من ثبت المبدأ والمعاد على أساس راسخ لا يتزعزع، وبرهن عقليا على ثبوت المعاد الجسماني، وسلط الضوء على نقاط الخلل عند الشيخ الرئيس في مضمار العلم الإلهي، وأوجد الإئتلاف بين الشريعة المطهرة والحكمة الإلهية.

ومن خلال البحث والتقصي في كلمات من قدحوا فيه، أدركنا بأن هذه الكلمات والمواقف ناجمة عن قصور أصحابها وعدم تمكنهم من درك آرائه العلية!

بلى، إن الخوض ارتجالا في مباحث عميقة تستند إلى أصول ومبادئ كثيرة ومتفرقة، من شأنه أن يقود إلى سوء الظن بأساطين الدين والحكمة إلى درجة أن المطاعن التي وجهها الملا صدرا قدس سره إلى الأشاعرة والمعتزلة، ظن البعض جهلا بمراده أنها هجوم منه على حملة الدين ومشايخ المذهب.

إن لهذا الفيلسوف العظيم رضوان الله عليه شروحا مطولة حول (بقاء النفس وحالات ما بعد الموت) وتراجع لذلك كتبه المعروفة. وهو يعتقد بالمعاد الروحاني وبالمعاد الجسماني أيضا. يقول بالنسبة للأول: «... نفوسنا إذا استكملت وقويت وبطلت علاقتها بالبدن ورجعت إلى ذاتها الحقيقية وذات مبدعها تكون لها من البهجة والسعادة ما لا يمكن أن يوصف أو يقاس به اللذات الحسية»[1].

---

(١) الأسفار الأربعة ج٥، الباب العاشر في تحقيق المعاد الروحاني، الفصل الأول في ماهية السعادة الحقيقية.

وقال أيضا في سياق هذا البحث: (الوجود الجسماني يصحبه الموت والغفلة والهجران والفوت سواء كان هذا الوجود من طرف المدرك المشتاق أو في طرف المشتاق إليه لما فيه من قلة الحضور والوجدان وبقدر تعلق الشيء سواء كان مدركا أو مدركا، كان الحضور أقل والإدراك أنقص حتى أن شعورنا بذواتنا حين فارقنا البدن كان أشد لأن حضورنا لنا أتم وأوكد، وأكثر الخلق لاستغراقهم بأبدانهم المادية وشواغلها نسوا أنفسهم»[1)].[2]

دليل من القرآن:

[قلنا: إن جميع أصحاب الأديان والعقلاء والفلاسفة بل وحتى القائلين بالتناسخ، متفقون على أن الروح موجود حي، ومع ذلك نرى من المناسب هنا أن نورد أدلة وشواهد قرآنية لتوضيح المطلب على نحو لا تبقى معه شبهة لأحد.

قال تعالى في سورة الزمر الآية ٤٢: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ والآية الكريمة تدل بوضوح على أن الله جل وعلا يحتفظ بالأرواح خلال فترة التوفي في عالم خاص.

وقوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ٩٩ـ١٠٠: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وقوله تبارك وتعالى في سورة البقرة الآية ١٥٤: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾.

---

(١) الأسفار الأربعة ج٥، الباب العاشر في تحقيق المعاد الروحاني، الفصل الأول في ماهية السعادة الحقيقية، سعادة القوى.

(٢) كشف الأسرار (فارسي) ص٣٠ ـ ٣٨، عربي ص٦١ ـ ٦٢، المعاد ص٦٤ ـ ٦٥.

وقوله في سورة آل عمران الآية ١٦٩: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وقوله في سورة مؤمن (غافر) الآيات ٤٥ ـ ٤٦ : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

وقوله في سورة الممتحنة الآية ١٣: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ حيث اعتبرت الآية أن اليأس من أصحاب القبور هو شيمة أهل الكفر (بمعنى أنه لا ينبغي لغيرهم ذلك)][1].

العلاقة بين تجرد النفس والمعاد الجسماني:

بقي أن نذكر ما هي علاقة القول بتجرد النفس بالمعاد الجسماني؟ يقول السيد الإمام قدس سره ما مفاده أننا لو قلنا بعدم التجرد فيلزم من ذلك إنكار بعض الضروريات ومنها المعاد الجسماني، أما في المقابل لو قلنا بالتجرد فلا يلزم إنكار ضرورة بل يثبت الكثير من الضروريات ومنها المعاد الجسماني.

[لو أن شخصا أنكر التجرد بقول مطلق، يلزمه ذلك إنكار الكثير من الضروريات من بينها المعاد الجسماني. والغريب أن بعضهم زعم أن القول بالتجرد ووجود المجردات هو الذي يستلزم إنكار ضروريات جمة. إلا أننا كلما تأملنا في لوازم القول بالتجرد لم نجد فيها ما يؤدي إلى إنكار ضروري من ضروريات الدين، على خلاف إنكار التجرد فإنه يستلزم حقيقة إنكار ضروريات كثيرة من الدين. إذ لا سبيل لمن يريد أن يعتقد بالمعاد الجسماني إلا القبول بتجرد النفس. فلو أن شجرة أحرقت حتى تحولت إلى رماد ثم أعيد زرعها من ذلك الرماد فهل ثمة قائل بأن هذه الشجرة هي نفس الأولى؟! كلا، فالمادة وإن

---

(١) كشف الأسرار (فارسي) ص٣٨- ٣٩، (عربي) ص٦٣ ـ ٦٤، المعاد ص٨٥.

كانت واحدة غير أن هذه الشجرة ليست نفس سابقتها. وعليه فإن قلنا بأن الهوية الإنسانية بظاهرها وباطنها وكل ما يتعلق فيها مقصورة على هذا البدن، لا طريق لنا بعد ذلك إلى إثبات المعاد الجسماني.

وصفوة القول أن القول بالمعاد الجسماني يستلزم سلوك المنهج الذي قال به الآخوند قدس سره].[١]

(١) تقريرات اسفار امام خمينى ج٣، ص٥٤ ـ ٥٨، المعاد ص٢٩٦.

خلاصة الدرس السادس والعشرون:

ـ الأديان بأسرها قائلة (بوجود المعاد)، والبرهان قائمٌ على أن ثمة عالماً آخر ما وراء عالم الطبيعة.

ـ الإيمان بالمعاد قضية فطرية شأنها شأن سائر أصول الدين.

ـ بقاء الروح من ضروريات الفلسفة ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام ولم يختلف في ذلك وقد أكدها القرآن الكريم.

ـ إنكار تجرد النفس يستلزم إنكار الكثير من الضروريات منها مسألة المعاد الجسماني.

أسئلة حول الدرس: ؟؟؟

١ ـ من أدلة المعاد «أن هذا العالم قاصر عن معاقبة المجرم الظالم بما يستحق». وضح ذلك.

٢ ـ أذكر رأي فلاسفة الإسلام في مسألة بقاء الروح.

٣ ـ أذكر بعض الأدلة القرآنية على بقاء الروح.

للمطالعة

❖ قررنا أن ننصحك يا إمامنا:

كان الإمام يجيب بمودة بالغة على بعض الرسائل الكثيرة التي كان يبعثها محبوه إلى مكتبه، وننقل هنا نموذجا منها هو رسالة بعثها إليه عدد من الأطفال وأجاب عليها بنفسه وبخط يده:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على إمامنا العزيز، نحن طلبة الصف الخامس الإبتدائي (جهاد) في مدرسة الفاطمية. وقد قرأنا في كتاب التربية الدينية الرسالة التي بعثها الإمام محمد التقي عليه السلام لوالي سيستان ونصحه فيها، لذلك قررنا أن نكتب لك رسالة ننصحك فيها: ولكننا لا نستطيع أن ننصحك يا إمامنا، فأنت عظيم بعيد عن كل المعاصي.

يا إمامنا، نطلب منك ـ نحن الأطفال الصغار ـ ومن أعماق قلوبنا طلبا نرجو أن نكون جديرين بأن تلبيه لنا وهو أولاً أن تكتب يا أبانا الكبير ويا شيخ جمران ويا روح الله جواب رسالتنا بخطك الجميل وتنصح فيه معلمينا.... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❖ جواب الإمام يا ليتكم كنتم قد نصحتموني:

«أبنائي الأعزاء، قرأت رسالتكم الودية، ويا ليتكم ـ أيها الأعزاء ـ كنتم قد نصحتموني فيها فأنا محتاج لنصيحتكم. أرجو أن تدرسوا بنشاط وحيوية وتقوموا إلى جانب ذلك بالواجبات الإسلامية فهي التي تربي الإنسان، وأن تتحلوا بالأخلاق الفاضلة، وتحرصوا على طاعة آبائكم وأمهاتكم وتسعوا للفوز برضاهم عنكم، وتولوا معلميكم مزيداً من الاحترام، اجتهدوا في أن تكونوا أفرادا نافعين للإسلام وللجمهورية الإسلامية ولوطنكم، أسال الله تعالى لكم ـ يا قرة عيوننا ـ السلامة والسعادة والرقي في العلم والعمل. وسلام عليكم جميعا».

٢٩/٢/١٤٠٣هـ

روح الله الموسوي الخميني

قبسات من سيرة الإمام الخميني رحمه الله

الحياة الشخصية ص ٢٣٠ ـ ٢٣١

الدرس السابع والعشرون

المعاد

كيفية المعاد (هل المعاد روحاني أم جسماني أم كلاهما؟):

إن إثبات كيفية المعاد من الأبحاث التي وقع فيها الكلام مطولا، ولعل إثبات المعاد الروحاني لم يستغرق مقدارا كبيرا بقدر ما استغرقه إثبات المعاد الجسماني، قد تطرق إمامنا الراحل قدس سره إلى هذا البحث في مواطن عديدة وحذا حذو العلماء، ونحن لكثرة ما ذكر رضوان الله عليه قد اخترنا من هذه البحوث أوجزها كما وأسهلها كيفا بحيث لا تضر بالمطلوب وتحقق الغرض فإليكها معدة منظمة.

تبدل الأبدان في الأخبار:

يذهب إمامنا الراحل قدس سره إلى أن البدن المعاد هو نفس البدن بعينه الذي كان معه في الدنيا، غاية الأمر أنه يختلف بإختلاف النشأة والمرحلة في الكم والكيف بما يناسب مرتبة الكمال.

[وكما قلنا،فإن البدن الإنساني يعاد بعينه في الآخرة، وهي النشاة المختلفة في مراتب وشدة الوجود عن هذه النشأة، وما يؤيد ما ذهبنا إليه في تبدل الأبدان، الرواية الآتية الواردة في صفات أهل الجنة وأهل النار، ففي صفة أهل الجنة:

«أنهم جرد مرد أبناء ثلاثين سنة، وأن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة. وفي صفة أهل النار: أن ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل البريدة الربذة»[1].

---

(١) الأسفار الأربعة ج٩، السفر الرابع، الباب ٨، الفصل ٣.

وفي رواية: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وسبعون ذراعا، وإن مجلسه في جهنم ما بين مكة والمدينة»[١]. وفي رواية أخرى: «إن الكافر يسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس»[٢]. إلى غير ذلك من أوصاف الفريقين في الآخرة][٣].

التفاوت بين الجسم الدنيوي والجسم البرزخي:

[والآن نشرع ببيان نكتة تتعلق بالأجسام المثالية والأجسام الطبيعية، فنقول: لا يمكن الإلتزام بأن الأجسام المثالية (البرزخية) مغايرة للأجسام البدنية، كلا! إنها هي بعينها، ولكن الغافل يحسب أنهما شيئان اثنان. فما سوف يوجد في ذلك العالم (المثال) هو عين هذا البدن، مثل رجل كان قبل عشرين عاما طوله متر واحد والآن طوله متران، كان بلا لحية والآن له لحية كثة وطويلة. فهل نقول بأن هذا غير ذاك؟! لسنا ندعي هنا أن هذا الجسم هو ذلك الجسم بنفس حدته وشدته أو طراوته ونعومته، بل نقول أن أصل البدن والجسمية ـ بدون ملاحظة الكيف والمقدار ـ ما يزال محفوظا. إن الجسم في حال ترق في جسميته بين عالمي الطبيعة والآخرة. وهذا الجسم بعد كونه جسما طبيعيا يحل ضيفا على النشأة البرزخية، وسوف يكون أصفى هناك منه هاهنا، ومعنى الترقي في الجسمية هو أن يصير الجسم أكمل وأصفى. إن هذا الجسم الطبيعي هو الذي سيصبح بعينه جسما برزخيا، غير أن حكم الجسم الطبيعي بما هو طبيعي لن يبقى محفوظا له في عالم البرزخ، ولن تحفظ له سوى أحكام أصل الجسمية حيث كان نفس الجسم الأول لا غير][٤].

---

(١) الأسفار الأربعة ج٩، السفر الرابع، الباب ٨، الفصل ٣.

(٢) الأسفار الأربعة ج٩، السفر الرابع، الباب ٨، الفصل ٣.

(٣) تقريرات اسفار امام خمينى ج٣، ص٢٠٣ - ٢١٥، المعاد ص٣١٥.

(٤) تقريرات اسفار امام خمينى ج٣، ص٢٣٦-٢٣٨، المعاد ص٣٠٣-٣٠٤.

المعاد الروحاني قبل القيامة:

[النفس لا تفسد بفساد البدن وخرابه ومفارقتها إياه، بل تبقى في عالم آخر لا يقبل الفناء. وهذا هو (المعاد الروحاني) الذي يحصل للأنفس والأرواح قبل يوم القيامة إلى أن تتعلق إرادة الحق تعالى بعودتها إلى الأبدان][١].

شبهات المعاد الجسماني:

الشبهة الأولى: شبهة الآكل والمأكول

بيان الشبهة: **[ويقال في تقرير هذه الشبهة أنا لو فرضنا وجود طائفة من الناس يتغذون على بدن الإنسان (أكلة لحوم البشر مثلا)، وفرضنا أن بدن أحد هؤلاء تشكل بالكامل ـ حتى نطفته ـ من خلاصة أبدان الآخرين، حينئذ كيف لنا أن نتصور المعاد الجسماني لإنسان كهذا؟ وأين سيكون موقع أجزاء البدن المأكول بعد الحشر، في بدن الآكل أم في بدن المأكول؟**

جواب الشبهة على مسلك الملا صدرا قدس سره

جواب الشبهة: **وتندفع هذه الشبهة بسهولة على مسلك الآخوند قدس سره، وذلك أننا قلنا أن المعاد لا يتحقق بالأجزاء المتفسخة من البدن، بل أن بدنا لطيفا هو الذي سيحشر مع الروح بعد أن تنشأه النفس. نعم القائلون بالمعاد على حد فهم العامة يتعين عليهم الإجابة عن هذه الشبهة. وذلك أنهم ذكروا أمورا غريبة من قبيل وجود ذرة من البدن اسمها (عجب الذنب) وهذه الذرة لا تتحلل أبدا وتبقى إلى حين الحشر.**

ولم يعلم من كلام هؤلاء أن الإنسان هل هو عبارة عن تلك الذرة الموجودة في نهاية العمود الفقري أم لا؟! والأولى الإعراض عن هذه التقولات وعدم الإعتناء بها أصلا][٢].

---

(١) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٢٠٠، المعاد ص ٣٢٩.

(٢) تقريرات اسفار امام خميني ج٣، ص٦٠٣، المعاد ص٣٢١.

الشبهة الثانية: شحة المواد اللازمة للإحياء المجدد

بيان الشبهة: [وتقرير هذه الشبهة أن القول بخلق أبدان لجميع النفوس الإنسانية بأعدادها الغفيرة جدا (مضافا إلى نفوس الحيوانات على ما اخترناه من قابليتها للحشر)، يواجه مشكلة أخرى وهي عدم كفاية المواد الموجودة في الأرض لتأمين هذا العدد الهائل من الأبدان المراد حشرها في المعاد الجسماني.

النفس حافظة لوحدة البدن:

جواب الشبهة: ويندفع هذا الإشكال على طبق مسلك الآخوند قدس سره بأنه قد تقرر في محله أن البدن المادي للإنسان ليس له تعين وتحصل بذاته، وهو بنفسه مبهم غير متعين، وأن مواد البدن تتناقص باستمرار بواسطة التحللات، ومن ثم تحصل الأجزاء الجديدة من بدننا بواسطة التغذي على المواد الخارجية، وهكذا يحفظ البدن، وحفظ هذا البدن المتبدل باستمرار يكون بواسطة النفس الإنسانية الحافظة له (كما بينا سالفا).

وعليه فبدن الإنسان جسم مبهم وغير متعين، ولا يصير متعينا إلا بواسطة النفس، على نحو تكون النفس هي الحافظة له في كل نشأة يمر بها. وبحيث أن من يراه في النشأة اللاحقة يقول عنه أنه نفس ذاك الجسم الذي رأيناه في النشأة السابقة، فلا مجال للشبهة على مسلك الآخوند قدس سره][1].

الشبهة الثالثة: أين تكون الجنة والنار؟

بيان الشبهة: [من أقوى الشبهات في باب المعاد الجسماني هو السؤال عن مكان الجنة والنار، فالمنكرون للمعاد الجسماني يتساءلون: أين يقع مكان الجنة والنار؟ إن كانتا فوق الأفلاك حيث لا خلأ ولا ملأ، فهذا غير معقول لأنه لا مكان ولا جهة هناك. وإن كانتا على وجه الأرض فلماذا لا نرى أثرا لهما؟ وإن

---

(١) تقريرات اسفار امام خمينى ج٣، ص٥٩٤- ٥٩٥، المعاد ص٣٢٣- ٣٢٤.

كانتا بين طبقات السماوات يلزمنا القول إما بوجود الخلأ بين الأفلاك وهو محال، أو بالتداخل بين الجنة والنار من جهة والأفلاك من جهة أخرى، وهو مردود أيضا لاستلزامه تداخل الأجسام.

جواب الشبهة بناء على تعدد العوالم:

جواب الشبهة: إن ذلك العالم فوق الزمان والمكان، إنه عالم تام، والعالم التام لا مكان له مثلما أن عالم الطبيعة ليس له بمجموعه مكان. إذ المكان أمر نسبي يحصل بالمقايسة. فإذا كان هناك شيئان في عرض واحد فإن الإشارة الحسية لأي منهما تكون ممكنة باعتبار عدم تداخل الأجسام المادية، فنقول أن هذا هنا وذلك هناك. وحيث أن عالم الطبيعة ليس له خارج إطاره شيء آخر في عرضه كي يقاس ويقارن به، فلا معنى حينئذ أن نقول لكتلة عالم الطبيعة أنها هنا او هناك. وهكذا الأمر يصدق مع عالم الآخرة وزيادة. فإن عالم الآخرة ليس له جهة خارجية مثله مثل عالم الطبيعة، ويزيد عليه بأنه ليس له جهة داخلية أيضا وذلك لأن موجودات هذا العالم ليست مادية فلا تزاحم بينها إذن. ومثاله الصور الذهنية حيث لا يمكننا الإشارة الوضعية إلى أي منها لأنها لا مكان لها فلو أوجدت في ذهنك صورة ذهنية لجنة عرضها السماوات والأرض، وأنا تصورت في ذهني جنة أخرى بهذه السعة أيضا، لما حصل تزاحم بين الجنتين. هكذا هو الأمر في عالم الآخرة وما يتعلق به من جنان ونيران، إذ ليس هناك طرف ولا جهة فلا معنى إذن للمكان][1].

---

(١) تقريرات اسفار امام خميني ج٣، ص٥٩٥- ٥٩٦، المعاد ص٣٢٥- ٣٢٧.

اعتقادات خاطئة بشأن المعاد الجسماني:

يبين السيد الإمام قُدّسَ سِرّهُ بطلان بعض العقائد بشأن المعاد الجسماني وما يلزم منه من أمور باطلة إذ يقول في هذا المقام:

[ونتعرض الآن لبيان بعض العقائد الباطلة عند العوام حول المعاد الجسماني والجسم الأخروي، فنقول: إننا لو فتحنا قلوب بعض العوام وفتشنا عن العقائد الكامنة فيها لوجدنا أن طائفة منهم يعتقدون في قرارة أنفسهم بأن الأبدان البرزخية عبارة عن قوالب جاهزة أعدها الله سبحانه وتعالى من قبل وادخرها في مخزن اسمه (عالم البرزخ) ـ كما يفعل صناع الكوز وآنية الفخار ـ، ومن ثم فإذا خرجت الروح من البدن المادي يصار بها إلى ذلك القالب المعد لها سلفا. ويعتقد هؤلاء أيضا أنه عندما تحصل مساءلة القبر يؤتى بالروح من قالبها المثالي وتدخل في قالبها القديم ـ البدن الذي في القبر ـ حتى تنتهي المساءلة ويواجه الميت ضغطة القبر، ومن ثم تعاد روحه من حيث أتي بها. ويفهم هؤلاء من الحديث الشريف «القبر إما حفرة من حفر النيران أو روضة من رياض الجنة»[1] أن الإنسان يعذب في القبر ببدنه الدنيوي مع اعترافهم بأن هذا البدن يتفسخ ويتحلل ويتحول إلى تراب.

ما هذه التقولات؟ لو فتح باب من أبواب الجنة على قبر مادي من قبور الدنيا، فهل يبقى العالم على هذا النحو، أم أن العطر والريحان القادم من ذلك العالم سيملأ الأرض بطولها وعرضها بحيث لا يطيقه أحد؟ وهكذا ما لو فتحت نافذة من جهنم.

ما هذه التناقضات؟! كيف يمكن إرادة هذا القبر المادي ومع ذلك يقال إن قبر المؤمن ما بين المشرق والمغرب؟ إن لدينا في قم وحدها أكثر من مئة ألف

---

(١) الكافي ج٣، باب ما ينطق به موضع القبر، ح٢ / الخصال، باب الثلاثة ١٠٨ مع الإختلاف في المصدر من تقديم وتأخير.

قبر من قبور المؤمنين فكم يحتاج إليها مساحة إذا كان كل واحد منها ما بين المشرق والمغرب؟ وهل المراد من عذاب القبر تعذيب العظام المتهرئة والمستحالة إلى تراب؟! لاشك أن الأمر ليس كذلك، وكل هذه الترهات غريبة عن الدين أجنبية عنه وهو عنها براء][1] .

---

(١) تقريرات اسفار امام خمينى ج٣، ص٢٣٨- ٢٣٩، المعاد ص٣٢٧-٣٢٨.

خلاصة الدرس السابع والعشرون:

ـ البدن الإنساني الموجود في الطبيعة يعاد بعينه في الآخرة.

ـ الجسم يصبح أكثر كمالاً وصفاءاً عندما يحل ضيفاً على النشأة البرزخية.

ـ النفس لا تزول بعد أن يضمحل ويتلاشى البدن بل تبقى في عالم آخر غير قابل للفناء، وهذا هو (المعاد الروحاني).

ـ المعاد ليس من إعادة (المعدوم)، بل عودة (النفس الموجودة).

ـ النفس الإنسانية تشخص البدن وتخرجه من إبهامه وهي الحافظة له على مراحل مروره بالنشئات المختلفة.

???

أسئلة حول الدرس:

ـ وضح كيفية المعاد الجسماني (بإختصار) من كلام الإمام رضوان الله عليه.

ـ بين شبهة الآكل والمأكول، والجواب عنها.

ـ وضح شبهة (شحة المواد اللازمة للإحياء المجدد) والجواب عنها.

ـ كيف تجيب عن هذا السؤال (أين تكون الجنة والنار)؟

للمطالعة

❖ أدعو الله لكُنَّ بحسن العاقبة:

كان الإمام يتولى وكالة النساء في إجراء عقود الزواج، فكانت بعضهن يشترطن لإعطاء الوكالة له أن يشفع لهن يوم القيامة، وأمثال هذا الشرط، وكان يجيبهن بعد قليل من التأمل بالقول: «إنني أدعو الله لكن، أما هذا الشرط فليس صحيحا، إنني أدعو الله لكن بحسن العاقبة وسعادة الدنيا والآخرة، ثم يوصيهن قائلا: «عليكن بالاجتهاد في التكيف والإنسجام مع أزواجكن، لكي تكون حياتكن المشتركة هانئة ـ إن شاء الله ـ ».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه

الحياة الاجتماعية ص١٠٦

الباب الثاني: منازل الآخرة

<u>الدرس الثامن والعشرون</u>

منازل الآخرة (١)

منازل الآخرة:

إن للآخرة منازل متعددة يمر عليها الإنسان وتبدأ بما بعد الموت من عالم القبر وتستمر إلى بقية المنازل المقرر على الإنسان المرور عليها وبها.

فهي تمثل منازل، ولبعض هذه المنازل عقبات ومراحل تختلف باختلاف طبيعتها وخصوصيات المارِّ عليها .

وقد أطلق عليها منازل باعتبارها سفر، فطبيعة السفر يمر على منازل ومحطات بين كل مسافة، فيسمى مكان التوقف في السفر منزلاً، إلاَّ أن هذه المنازل تختلف بطبيعتها عن منازل سفر الدنيا . فهي بالنسبة للبعض راحة وسعادة، وللبعض الآخر عناء وشقاء وطول مسافة .

ويبدأ هذا السفر بأول منزلٍ من هذه المنازل وهو الموت وله عقبات كسكرات الموت والعديلة عند الموت، ثم يأتي دور المنزل الثاني وهو القبر ويمر على عقبات أيضاً منها : وحشة القبر وضغطة القبر وسؤال منكر ونكير، وبعد هذا يشتد هذا السفر شيئاً فشيئاً فتبدأ أهوال البرزخ الذي وردت في حقه التحذيرات والأهوال، وفيه عقباتٌ كثيرة منها : عقبة الأعمال والعبادات ومظالم العبادات وحقوقهم وغيرها، ويستمر هذا إلى بعث القبور، وبحلول وقت البعث يبدأ منزل جديد من منازل القيامة وهو الفزع الأكبر ويوم الأهوال العظيم فيبدأ البعث والنشور ونشر الصحف فمنزل الميزان ووزن الأعمال ومنزل الحساب، فبعدها منزل حاسم وهو الصراط ومن هذا المنزل تقسم الخلائق إلى الجنة أو النار.

معنى الموت:

وهو الإنتقال من عالم الدنيا عن طريق فصل الروح عن الجسد، أو فقل هو فقد الحياة الدنيوية وآثارها من الشعور والإرادة عما من شأنه أن يتصف بها، أو كما تعرفه الأبحاث العقلية بأنه مفارقة النفس للبدن بانقطاع تعلقها التدبيري أو بتعبير الحديث النبوي أنه الإنتقال من دار إلى دار .

إن المتصور للموت بأنه عدم فهو مشتبه قطعا أو مخطئ معاند ومخالف للعقل والنقل، لأن الموت استمرار لحياة أخرى تناسب ذلك العالم المنتقل إليه، فإن الروح موجودة وإنما يقع الموت على البدن لا الروح، وكما يعبر الإمام القائد الخامنئي دام ظله بـ(الموت هو الدخول في مرحلة جديدة وليس فناء للإنسان) (من النقاط الأصلية والأساسية في الرؤية الإسلامية مسألة استمرار الحياة وديموتها بعد الموت) ويذكر في موضع آخر (إن الموت ليس نهاية الحياة وإنما هو بوابة الحياة الأبدية، وبداية النشأة الأخرى)، وبهذا الإنتقال من عالم الدنيا إلى عالم القبر (البرزخ) يدخل الإنسان عالما آخر وحياة جديدة أرقى وأكمل من عالم الدنيا الدنيء المقيد بالمادة، وما يحصل فيه هو انعكاس لإيمان الإنسان وعمله في عالم الدنيا، فلابد أن نعي أهمية الموت في سعي الإنسان نحو الكمال.

حقيقة الموت:

إذا عرفت معنى الموت والذي هو عبارة عن عملية إنتقال يتبين أن الموت لا يعني العدم والإنتهاء، بل هو مواصلة الحياة بأسلوب آخر يناسب ذلك العالم وهو سعي نحو الكمال والرقي، وعالم ما بعد الموت هو أرقى وأكمل من عالم الدنيا.

[الموت ليس بهلاك، الموت هو الحياة، وذلك العالم هو عالم الحيوان بينما هذا عالم ميت. لا تخافوا من الموت ولا ينبغي أن نخاف، الذي يجب أن يخاف من الموت هم أولئك الذين يظنون أن الموت فناء وهلاك وزوال][1].

---

(١) صحيفه امام ج٧، ص١٨٤، المعاد ص١٩٩.

عالم البرزخ (عالم القبر):

الفرق بين القبر المادي وعالم القبر:

[سئل الإمام الصادق عليه السلام عن القبر ما هو؟ فأجاب عليه السلام: القبر هو البرزخ[١].

إن الاتجاه الذي يحفر عليه القبر وطريقة الحفر وأمثال ذلك تعدّ من الأحكام الفقهية للقبر المادّي الموجود في عالم الدنيا، ولا ربط لهذه الأمور بذاك العالم والنشأة الأخرى. ولكن باعتبار أن هذا البدن الذي استحال الآن جماداً كان فيما سبق بدناً لانسان مسلم وكان بينهما نوع ارتباط وعلاقة، فإنّ له الآن حرمة شرعية، وبالتالي فإنّ للقبر الذي أصبح الآن بيتاً لذاك الجماد المحترم، احتراماً بالتبع، لا يعني أبداً أن هذا القبر هو دار سؤال المؤمن ومستقّره الأخير. إن القبر الذي يحصل فيه السؤال والجواب والألم والغم أو البهجة والسرور ليس موجوداً في نشأة الطبيعة بل في نشأة البرزخ وعالم المثال.

وما دامت النفس موجودة في البرزخ وعالم القبر، يظلّ لديها أنس واهتمام بدار الطبيعة، بحيث ان سعة وضيق هذا العالم تابعان لصدر ونفس الانسان سعة وضيقاً، لكن القبر الذي طوله متران وعرضه نصف متر ليس هو ما قيل عنه أنّه ما بين المشرق والمغرب، وليس هو القبر الذي لو فتحناه لوجدنا فيه التنائن التي وصفتها الرواية: «إنه يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً... لو أن تنيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً»[٢].

فلو كان هذا التنين وأمثاله موجوداً في هذا القبر المادي ويتنفس فيه ليل نهار لزم أن لا يبقى على وجه الأرض أثر لزرع وثمر. إنّ أيّا من الروايات الواردة

---

(١) (قلت لأبي عبدالله: وما البرزخ ؟ قال عليه السلام: القبر من حين موته إلى القيامة) فروع الكافي ج٣، كتاب الجنائز، باب ما ينطق من موضع القبر، ح ٣، بحار الأنوار ج٦.

(٢) الكافي ج٣، باب المسألة في القبر، ح٧، ورواه كل من المفيد والطوسي قدس سرهما في أماليهما من رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر / بحار الأنوار ج٦، ص٢١٩، كتاب العدل والمعاد، الباب الثامن، ح ١٣.

في باب القبر، عمّن كشفوا لنا أسرار الغيب، لا تناسب أحكام الدنيا وخصائصها وظروفها (ومن أراد فليراجع كتاب حق اليقين وعلم اليقين للفيض الكاشاني قدس سره للإطلاع على بعض هذه الأخبار)[١].

والحاصل أنه يمكن أن يفهم من الأخبار نفسها أن القبر أين، وأن البدن الذي فيه هو أي بدن. فقد ورد في بعض الأخبار أن الأرواح في عالم القبر على صورة الأبدان[٢]، وهذا البدن هو نفس البدن الذي قلنا أنه (الجسم الألطف) الذي يوجد على أثر استحالة البدن الدنيوي وتغيّره بالحركة الجوهرية.

ثمة روايات كثيرة دالّة على أن عالم البرزخ متعيّن في القبر، وقلنا أن البرزخ هو عبارة أخرى عن بقاء الأنس بالطبيعة... كما أن التوقف في عالم القبر مختلف حسب درجة أنس الأفراد بدار الطبيعة][٣].

حقيقة عالم البرزخ:

[عالم القبر ليس سوى العالم الحاصل بعد الموت. سئل الإمام الصادق عن القبر فأجاب عليه السلام: (القبر من حين موته إلى يوم القيامة).[٤] وذلك هو البرزخ.

البرزخ في اللغة هو الشيء المتوسط بين أمرين. إننا نقول عن البرزخ أنه باب من الجنة على القبر وذلك لأن رائحة الآخرة والجنة تأتي إلى القبر عبر البرزخ. وفي عالم البرزخ يكون قبر المؤمن أوسع مما بين المشرق والمغرب، وليس مراد الأخبار من عالم القبر تلك الحفرة التي تشق في الأرض، بل عالم البرزخ الذي ألمحنا إليه، ولهذا ورد في الأدعية والأخبار: «أعوذ بك من سؤال البرزخ».[٥]

---

(١) علم اليقين ج٢، المقصد الرابع، في العلم باليوم الآخر.

(٢) (انهم في الجنة على صور أبدانهم...) فروع الكافي ج٣، علم اليقين، ج٢.

(٣) تقريرات فلسفه امام خمينى (فارسي) ج٣، ص٥٩٩-٦٠٠، المعاد ص٢٣١-٢٣٣.

(٤) راجع هامش رقم ١ ص ٢٩٧.

(٥) مفاتيح الجنان، الرابع من الأدعية العامة لشهر رجب (وتول أنت نجاتي من مساءلة البرزخ).

ولو كانت حقيقة القضية كما يتوهمها أكثر العوام ـ ومنشأ قسم من هذا التوهم بعض مجالس العزاء ومنشا القسم الآخر منه مجهول ـ ومفاد هذا التوهم أن الناس يعذبون في قبورهم هذه إلى قيام الساعة، أقول لو كان الأمر كذلك، لزم مباركة عمل (بهلوي) بهدم قبور الناس، إذ في الواقع يكون قد خلصهم من عذاب القبر!

البرزخ هو العالم المتوسط بين هذا العالم وعالم القيامة].[1]

مدة البرزخ:

[لا يعلم كم طول مدة البرزخ إلا الله، وربما طالت ملايين السنين].[2]

ضغطة القبر وعذابه:

[لو وفدت على برزخك قبل إصلاح نفسك ـ لا سمح الله ـ فالله وحده يعلم على أي حال ستكون! إن الصورة التي ستكون عليها مما يعجز عن تصورها أهل هذا العالم فضلاً عن إدراك كنهها.

ويقيناً أنك تقيس ما تسمعه من ظلمة القبر وعذابه بما تراه في هذا العالم من ظلمات وأنواع عذاب، والقياس هنا باطل دون ريب وشك.

لنا الله مما صنعناه لأنفسنا باختيارنا. إن عذاب القبر نموذج من عذاب الآخرة، الله يعلم أي عذاب هو، مضافاً إلى أن المستفاد من بعض الروايات أن لا شفاعة من عذاب القبر[3]، وكان الله بعون المذنبين].[4]

---

(١) تقريرات فلسفه امام خمينى فارسي ج٣، ص٢٤٠، المعاد ص٢٣٣.

(٢) آداب الصلاة (فارسي) ص٣٦، المعاد ص٢٣٥.

(٣) (قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إني سمعتك وأنت تقول كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم. قال: صدقتك، كلهم والله في الجنة. قال قلت: جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبار. فقال عليه السلام: أما في القيامة فكلهم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي، ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة) راجع هامش رقم ٣٧٩.

(٤) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٩٥، المعاد ص ٢٤٠-٢٤١.

مقارنة عذاب القبر بأمور الدنيا:

[العياذ بالله تعالى من عذاب القبر وضغطته، ومن زحمة البرزخ وعذابه الذي ليس له مثيل في هذا العالم لكي يقاس به. إن النافذة التي تفتح من جهنم على القبر لو فتحت على هذا العالم لأهلكت كل من فيه، بجميع ما فيه].(١)

سوء الخلق موجب لعذاب القبر:

[الباعث على هلاك الإنسان والموجب لعذابه في القبر وفي الدارين، سوء خلقه مع أهل بيته وجيرانه أو زملائه في العمل والتجارة، وذلك وليد زيادة قوتي الغضب والشهوة].(٢)

تجسم أعمال الخير في القبر:

[في كتاب الكافي الشريف بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا دخل المؤمن [في] قبره، كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مطلٌ عليه، ويتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبرِّ: دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه»(٣)].(٤)

---

(١) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٤٨١، المعاد ص ٢٤١.

(٢) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٢٥، المعاد ص ٢٤١.

(٣) الكافي ج٢، باب الصبر، ح ٨.

(٤) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٢٦٤-٢٦٥، المعاد ص ٢٤٢.

خلاصة الدرس الثاني والعشرون:

- منازل الآخرة تبدأ بعد الموت وأولها عالم القبر والبرزخ.

- الموت ليس بفناء وهلاك وزوال بل هو الحياة الحقيقية.

أسئلة حول الدرس:

١ ـ ما الفرق بين القبر المادي الظاهري وعالم القبر (البرزخ)؟

٢ ـ وضح مسألة تجسم الأعمال.

٣ ـ هل يمكن تصور ضغطة القبر (وضح ذلك).

٤ ـ ذكر الإمام رضوان الله عليه أن سوء الخلق موجبٌ لعذاب القبر وأن علته الأساسية هي قوتي الغضب والشهوة، كيف يمكن التخلص من هذه الرذيلة الأخلاقية؟

للمطالعة

❖ الإمام وذكاؤه السياسي:

في أحد الأيام، طلب أميني رئيس الوزراء آنذاك ـ ترتيب لقاء خاص له مع الإمام، فأجاب الإمام:

(أنا لا أعقد لقاء خاصاً مع أي مسؤول، فليأت للقائي في جلستي العامة).

وقد كنت حاضراً في ذلك اللقاء حيث جاء أميني مع مرافقيه، وعاملهم الإمام ببساطة كأي شخصٍ آخر، وكان قد اشتهر عن الشاه في ذلك الوقت قوله: العلماء هم الرجعية السوداء.

وفي هذا اللقاء وقبل أن يبدأ أميني بالكلام بادره الإمام قائلاً:

(يجب إزالة ما قاله الشاه عن العلماء وعليه الاعتذار منهم..).

ثم أضاف:

(لماذا أصبحت الجرائد في عهد صدارتكم تتهجم على المقدسات الدينية والأحكام الإلهية؟ ولماذا ازداد عدد النساء السافرات؟!).

فاستاء أميني من احتجاج الإمام، وقال: أما بالنسبة لما نقل لكم عن الرجعية السوداء، فقد نقلوا لكم خبراً غير صحيح. فقاطعه الإمام وأراه جميع الدلائل، وقال:

(أنا لا أتفوه بكلمةٍ من دون دليل).

ثم حذر الإمام الشاه، فقال (مهدداً):

(قولوا للشاه بأن العلماء هم الرجعية الحمراء).

فوعد رئيس الوزراء من جانبه بإجراء إصلاحات بشأن الجرائد وظاهرة النساء السافرات.

ذكريات مشرقة

مجموعة خواطر مدونة لأحد تلامذة الإمام الخميني رضوان الله عليه ص ٦١ ـ ٦٢

منازل الآخرة (٢)

يوم القيامة:

إن ليوم القيامة أسماء عديدة وصفات يتميز بها ذلك اليوم، وقد ذكر القرآن الكريم أسماء كثيرة ولكل اسم معنى وحدث متعلق بذلك اليوم ونحن نذكر بعضها ضمن كلمات إمام الأمة العظيم قدس سره.

يوم كشف السرائر:

[القيامة هي يوم بروز الحقائق، يوم انكشاف السرائر ويوم تجسم الأعمال والأخلاق ويوم الوصول إلى الحساب ويوم الذلة في المواقف][1].

يوم الحسرة:

[القيامة يوم الحسرة، والندم فيه لا ينفع ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] الله وحده يعلم أي حسرة وندامة تكون في هذا اليوم، نحن لا نفقه ـ اليوم ـ من حسرات ذلك اليوم إلا وجودها، أما ما هي حقيقة تلك الحسرة فلا... إنها حسرة ليست لها نهاية، وندم لا آخر له][3].

---

(١) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٩٥، المعاد ص ٣٤٦.

(٢) سورة مريم: ٣٩.

(٣) شرح حديث جنود العقل والجهل (فارسي) ص٥٣، المعاد ص ٣٤٦.

يوم الندامة:

[لا سبيل إلى تدارك ما فات في ذلك اليوم، ولا يبقى سوى الحسرة والندامة التي لا حد لها ولا نهاية: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾] (١).

يوم تبدل الأرض:

[﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ (٢)، و﴿أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (٣) لو لم تبدل أرضك في ذلك اليوم أرضاً أخرى ولم يشرق عليها نور ربها، فإن الظلمات والكدورات والمتاعب والمصاعب والعذاب والذلة والمعاناة سوف تجتمع عليك، وتلك شقاوة لا سعادة معها، وظلمة لا نورانية وراءها، وخوف لا أمان بعده وعذاب لا راحة معه] (٤).

هوان يوم القيامة:

[أنت لا تعلم الهوان الذي ينتظر الإنسان في ذلك اليوم. لا يعلم إلا الله ما هي الظلمات التي بانتظار اذلاء ذلك اليوم. إنه اليوم الذي يقول فيه الكافر حسب التعبير القرآني ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (٥). وبعدها لن ينفعه شيء أبدا!] (٦).

---

(١) آداب الصلاة (فارسي) ص ٩٢، المعاد ص٣٤٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٣) سورة الزمر: ٦٩.

(٤) آداب الصلاة (فارسي) ص ١٥٣، المعاد ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٥) سورة النبأ: ٤٠.

(٦) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٤١، المعاد ص ٣٤٧.

الصراط:

الإنسان على الصراط:

[نحن الآن على الصراط؛ الصراط يمتد من الدنيا إلى العقبى، ونحن الآن في وسطه سائرون، وما أن يزاح هذا الستار، حتى يتبين أن صراط جهنم المحفوف بالنيران يمر من هنا أيضا. يجب أن تعبروا من هنا، هذه هي الدنيا، تحيطكم بالفساد والباطل الذي حقيقته النار، ويجب أن تعبروه بسلام][١].

السعادة مرتهنة بالصراط المستقيم:

[هذه الدنيا، دار عبور وليست دار قرار، إنها صراط يجب علينا أن نطويه مستقيما، فإذا تسنى لنا القيام بذلك حق لنا أن نردد مع سائر أولياء الله مقولة: «جزنا وهي خامدة»[٢]. وفي ذلك السعادة الحقيقية، وإلا فلو تزلزلت أقدامنا وزاغت أرجلنا عن جادة الصواب، فإن هذا الزيغ والإنحراف سوف يتجسم في ذلك العالم، ويكون سببا في انحرافات ومصائب أعظم][٣].

شرط اجتياز الصراط:

[إنه صراط ممتد إلى جهنم، ولو استطعتم السير فيه باستقامة، فسوف يتسنى لكم اجتيازه بسلام، إن جهنم هي الصورة الباطنية لدنياكم هذه، فلو واصلتم السير باستقامة، دون أن تنحرفوا ذات اليمين وذات الشمال، بلغتم المقصد، وطويتم الصراط مستقيما، وإلا فإن الانحراف يمينا معناه جهنم وكذلك الانحراف نحو جهة الشمال][٤].

---

(١) صحيفه امام ج١٨، ص٥٠١، المعاد ص ٣٥٦.

(٢) علم اليقين للفيض الكاشاني ج٢، ص ١١٨٤.

(٣) صحيفه امام ج٣، ص٢٣٥، المعاد ص ٣٥٩.

(٤) صحيفه امام ج١٢، ص٣٦٧، المعاد ص ٣٥٩.

الصراط محفوف بالنيران:

[الصراط يمر من جوف جهنم وليس من فوقها، إنه أشبه بجسر يغرق فيحاط بالماء. إن جهنم تحيط بالصراط وليست تحته، وعلى المؤمن إذا أراد أن يجتازه أن يمر من خلالها، لابد للإنسان كافرا أو مؤمنا أن يسير على هذا الصراط، غاية الأمر أن جهنم تخاطب المؤمن وتدعوه للمرور عليها بسرعة، إذ أن نور المؤمن يكاد أن يطفئ نار جهنم. وفي رواياتنا عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام ـ وإن كان الحكم شاملا للأولياء أيضا ـ أنهم قد اجتازوا الصراط قبل أن تستعر نيران جهنم، «جزنا وهي خامدة»][1].

اجتياز النار بسلام:

[الأنبياء يجتازونها [النار] بسلام، لأن النار تنطفي، بإزائهم «جزنا وهي خامدة»، مثلما حصل مع إبراهيم عليه السلام حيث صارت النار بردا عليه وسلاما، وكذا المؤمنون يعبرون بسلام، النار ليست مطفأة، لكنها لا تلحق بهم ضررا].[2]

الرحم والأمانة حافتا الصراط:

[بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حافتا الصراط يوم القيامة، الرحم والأمانة، فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة، نفذ إلى الجنة؛ وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم، لم ينفعه معهما عمل وتكفأ به الصراط في النار»[3].

ومنه يعلم أن صورة الرحم والأمانة في ذلك العالم تتجسد في حافتي الصراط، فيعينان صاحبهما على اجتياز النار، أما التارك لهما فلن ينفعه عمله، ومصيره جهنم وبئس المصير].[4]

---

(١) صحيفه امام ج١٢، ص٢١١-٢١٢، المعاد ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٢) صحيفه امام ج١٨، ص٥٠١، المعاد ص ٣٦١.

(٣) الكافي ج٢، باب صلة الرحم، ح١١.

(٤) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٤٧٧- ٤٧٨، المعاد ص ٣٦١.

الزاد والراحلة لاجتياز الصراط:

[خصال الإنسان زاده وراحلته في السفر نحو الآخرة، وهمة الرجال هي المطية لهذا السفر المحفوف بالأخطار، وهذا الطريق المظلم والصراط الأحد من السيف والأدق من الشعر، والنور لهذا الطريق المظلم هو نور الإيمان والخصال الحميدة، فإذا تكاسل السالك وضعفت همته عجز عن مواصلة المسير، وأقبل على النار وأرغم أنفه بالتراب ووقف على حافة الهاوية، ومن يعجز عن العبور من هذا الصراط، لن يكون قادرا على اجتياز صراط الآخرة][١].

صحيفة الأعمال:

هناك بعض الأمور متعلقة بصحيفة أعمال العباد من كيفية كتابتها وإحضارها وقوانين تثبيت الأعمال فيها، فإننا ننقل بعضاً من مقاطع كلام السيد الإمام قدس سره المرتبطة بهذا الشأن.

إحصاء الأعمال جميعا:

[نحن حاضرون عند الحق تعالى، وكل شيء منا مسجل في صحيفة أعمالنا، حتى خلجاتنا النفسانية، وعلينا أن نستعد لذلك][٢].

اعمالكم في محضر الحق:

[إن لحظات عيونكم، وخواطر أوهامكم، وجميع أفكاركم الباطنية، حاضرة عند الرب تعالى ومثبتة في صحف الأعمال وسجلاتها، وكل ما وقعت عليه عينك في لحظة من اللحظات على خلاف ما هو مُقرٌ شرعاً، تجده مثبتا عليك لأنه كان في محضر الرب][٣].

---

(١) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٩٨، المعاد ص ٣٦٢.

(٢) صحيفه امام ج ٢٠، ص١٢٥، المعاد ص ٣٦٥.

(٣) صحيفه امام ج ١٢، ص٣٥٨، المعاد ص ٣٦٥.

صحيفة الأعمال هي العالم بأسره:

[جميع أفعالكم وأقوالكم مسجلة ومثبتة عليكم، وكل العالم يشارك في عملية الحفظ والتثبيت، وعلينا أن نستعد ليوم السؤال][1].

كتابة أعمال الآخرين في صحيفة عمل المرء:

[ورد في الحديث أن حسنات المغتاب تنقل إلى صحيفة أعمال الشخص الذي اغتيب، وسيئات الأخير تنقل إلى صحيفة أعمال الأول[2]، فأردت أن تلحق به ضررا لكنك ألحقت الضرر بنفسك! فأعلم أنك غير قادر على مناضلة الرب! الله قادر، بواسطة غيبتك أن يكرم شخصية الذي اغتبته في نظر الناس، ويحط من شأنك في أعينهم، ونفس الشيء يجريه عليك مع الملائكة الكروبيين، فيملأ صحيفة أعمالك بسيئات الآخرين، فتفتضح في عالم الملكوت، ويملأ صحيفة أعمال من اغتبته بالحسنات فيصير معززا مكرما أمام الملائكة في ذلك العالم][3].

---

(١) صحيفه امام ج١٥، ص٧٥، المعاد ص ٣٦٥.

(٢) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله، ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي فإني لا أرى فيها طاعتي، فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيها طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هذا كتابي، فإني ما عملت هذه الطاعات، فيقال لأن فلانا اغتابك فدفعت حسناته إليك). بحار الأنوار ج٧٢، ص٢٥٩، ومستدرك الوسائل ج٩، ١٣٢ من أبواب أحكام العشرة، ح٣٠.

(٣) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٣١٣، المعاد ص ٣٦٧.

صحيفة الأعمال يوم القيامة:

[لا تغفلوا أبدا فالله حاضر في كل مكان، ومحيط بكل الأمور، وكل أعمالنا تكتب وتدون ويصار بها إلى حضرة الرب، فإذا ما حل يوم القيامة نشرت صحف أعمالنا ونحن إليها ناظرون][1].

خذ كتابك بيمينك:

[في ذلك العالم، توضع صور أفعالنا وصحف أعمالنا بأيدينا ويقال لنا حاسبوا أنفسكم بأنفسكم][2].

عرض صحف الأعمال على النبي ﷺ:

[النبي الأكرم ﷺ يرنو بعينه إلى هذه الأمة، وعليه تعرض صحائف أعمالنا، وينبغي لنا أن نبذل وسعنا في تحصيل رضا الله سبحانه وتعالى][3].

عرض صحائف الأعمال على صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف:

[بمقدورنا تشخيص واقع صحائف أعمالنا قبل إرسالها إلى محضر الرب تعالى وقبل عرضها على صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف][4].

---

(١) صحيفه امام ج١٨، ص٣٧٩، المعاد ص ٣٦٧.

(٢) آداب الصلاة (فارسي) ص ٣٤، المعاد ص٣٦٨ إشارة للآية ١٤ من سورة الإسراء.

(٣) صحيفه امام ج٨، ص٢٧، المعاد ص ٣٦٨.

(٤) صحيفه امام ج٩، ص٤٤١، المعاد ص ٣٦٨.

خلاصة الدرس التاسع والعشرون:

ـ الدنيا بداية الصراط المستقيم الإلهي، وإن جسر جهنم ممتدٌ من الدنيا إلى جهنم ونحن الآن في وسط الطريق (أي على الصراط).

ـ اجتياز الصراط مرهون بالزاد والراحلة والعمل الصالح وبالخصوص الأعمال الواردة كصلة الرحم وأداء الأمانة.

ـ صحيفة الأعمال في إحصاء الأعمال جميعاً حتى الخلجات النفسانية والأفكار الباطنية، وهي في محضر الله تبارك وتعالى وتعرض على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وبالخصوص إمام العصر والزمان عجل الله فرجه.

أسئلة حول الدرس:

١ ـ أذكر بعض أسماء يوم القيامة مع ذكر الشواهد القرآنية على ذلك.

٢ ـ تحدث عن الصراط (بشكلٍ مختصر).

٣ ـ كيف يمكن كتابة أعمال الآخرين في صحيفة عمل المرء؟

للمطالعة

❖ لذة العبادة في أيام الشباب:

قبل مرض الإمام الأخير، كان أحد الإخوة الحرس ينـام خلـف بـاب غرفتـه، فـسألته يومـاً عـن مشاهداته خلال الليالي التي قضاها للحراسة في هذا المكان فقال: كان الإمام يـستيقظ عـادة قبـل أذان الفجر بساعتين، وفي إحدى الليالي انتبهت إليه وهو يبكي بصوتٍ عالٍ فبكيتُ لبكائِهِ. وعنـدما خـرج لتجديد الوضوء انتبه لوجودي فقال لي: «يا فلان، اعرف نعمة الشباب ما دمت شاباً واعبد الله، فلـذة العبادة هي في أيام الشباب، وإذا شاخ الإنسان يضعف عن العبـادة وعـن الإقبـال عليهـا وإن رغـب في ذلك».

قبسات من سيرة الإمام الخميني رحمه الله عليه

الحالات العبادية والمعنوية ص١٤٢

منازل الآخرة (٣)

الجنة والنار:

أقسام الجنة والنار:

[إن أغلب ما ورد في الكتاب الكريم وأحاديث الأنبياء والأولياء عليهم السلام من وصف الجنة والنار، فالمقصود منه (جنة ونار الأعمال) اللتان أعدتا جزاءً على خير الأعمال وشرها. وثمة أيضا إشارة خفية إلى (جنة ونار الأخلاق) وهما أهم الجميع].[1]

طباع أهل الجنة:

[إن أهل الآخرة في حال وئام وسلام مع بعض، قلوبهم عامرة بالحب لله ولعباد الله، إن حب الله يستتبع حب كل من يؤمن بالله لأن محبة عباد الله ظل لمحبة الله][2].

جهنم من ضروريات الأديان السماوية:

[إن وجود جهنم وعذابها الأليم يعد من الضروريات لدى جميع الأديان، وهي أيضا من واضحات البرهان، وقد اطلع أصحاب المكاشفة وأرباب القلوب على أمثلة لها في هذا العالم][3].

---

(١) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ١٣، المعاد ص ٣٧١.

(٢) الجهاد الأكبر (فارسي) ص ٣١-٣٢، المعاد ص٣٨٥.

(٣) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٢٤، المعاد ص ٣٨٦.

جهنم العقائد:

[نعوذ بالله، أن تنتهي بنا عواقب المعصية إلى ملكات وأخلاق ذميمة ظلمانية، وربما تسببت في زوال الإيمان وموت الإنسان كافرا، إذ جهنم الكفار وأصحاب العقائد الباطلة أشد أذى وصعوبة وظلاما وإحراقا من سائر النيران][1].

نار تحرق القلوب:

[أخبرنا الله تعالى في كتابه المنزل بأوصاف النار، وذلك في قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[2]، وتحيط بالقلوب وتصهرها. لا توجد نار حارقة للقلوب سوى النار الإلهية الربانية][3].

تجسم الأعمال:

تجسم الأعمال والأخلاق:

[يُعد تجسم الأعمال وتجسم الأخلاق ونظائرهما من الأمور والمسائل المسلمة عند أهل النظر والتحقيق][4].

تجسم الأعمال والعقائد والأخلاق:

[لن يرى الإنسان من العذاب والعقاب في العوالم الأخرى إلا ما قد أعده بنفسه لنفسه، وكل ما يصدر منه في هذا العالم من أعمال صالحة وأخلاق حسنة وعقائد حقة، فسوف يرى في العالم الآخر صورته بالعيان مشفوعا بالكرامات الأخرى التي يتفضل بها الحق تعالى عليه][5].

---

(١) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٢١، المعاد ص ٣٩٢.

(٢) سورة الهمزة: ٦-٧.

(٣) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٣٩، المعاد ص ٤٠٢.

(٤) صحيفه امام ج١٧، ص١٨٥، المعاد ص٤٠٢.

(٥) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٤٦٢، المعاد ص ٤٢٥.

تجسم الأعمال في القرآن الكريم:

[ولقد أميط اللثام في القرآن الكريم عن هذه الحقيقة الغيبية بتعابير مختلفة، منها قوله تعالى في الآية (٣٠) من سورة آل عمران: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.

والآية الشريفة أعلاه كالصريحة في رؤية الإنسان أعماله في ذلك اليوم، صالحة كانت تلك الأعمال أم طالحة، ويؤكد هذا المضمون قوله تعالى في ذيل الآية ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ أي مسافة بعيدة.

ويقول تعالى في سورة الزلزال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

وظاهر الآيات بل صريحها أن الناس يرون أعمالهم في تلك النشأة. وعموما فإن تمثل الأعمال بصور غيبية من المسلمات لدى أهل المعرفة][2].

تجسم الأعمال روائياً:

[عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من صلى الصلوات المفروضات في أول وقتها فأقام حدودها رفعها الملك إلى السماء بيضاء نقية، وهي تهتف به: حفظك الله كما حفظتني واستودعك الله كما استودعتني ملكا كريما، ومن صلاها بعد وقتها من غير علة ولم يقم حدودها رفعها الملك سوداء مظلمة وهي تهتف به: ضيعتني ضيعك الله كما ضيعتني، ولا رعاك كما لم ترعني... الحديث».[3]

ويستفاد من هذا الحديث الشريف مضافا إلى إقرار وجود الصورة الملكوتية للعمل، إن هذه الصورة تتسم بخصائص وشؤون الموجود الحي. وهذا المطلب

---

(١) سورة الزلزلة: ٦-٧-٨.

(٢) شرح حديث جنود العقل والجهل (فارسي) ص٢٨١-٢٨٢، المعاد ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٣) الأمالي (المجالس) للصدوق مجلس ٤٤، ثواب أداء الصلاة في أول وقتها، ح ١١، وفي المصدر (فلم يقم) ونسخة الوسائل (ولم يقم).

مؤيد بضربٍ من البرهان، وتدل عليه أيضا الأخبار الدالة على أن لجميع الكائنات نوعَ حياة ملكوتية، وأن عالم الملكوت حافل بالعلم والحياة بشتى أرجائه وأنحائه: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[(١)].

وفي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدم أمامه كلما يرى المؤمن هولا من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع ولا تحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله عز وجل حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيحاسبه حسابا يسيرا ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: يرحمك الله، نعم الخارج خرجت معي من قبري ومازلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله حتى رأيت ذلك فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقني الله عز وجل منه لأبشرك»[(٢)].

والدلالة واضحة في هذا الحديث أيضا على تجسم الأعمال وتمثلها في النشأة الآخرة، ومن هنا أورد الشيخ الأجل بهاء الدين قدس سره قوله في ذيل الحديث الشريف فيه دلالة على تجسم الأعمال في النشأة الأخروية، وقد ورد في بعض الأخبار تجسم الإعتقادات أيضا.

فالأعمال الصالحة والإعتقادات الصحيحة تظهر صورا نورانية مستحسنة موجبة لصاحبها كمال السرور والإبتهاج. والأعمال السيئة والاعتقادات الباطلة تظهر صورا ظلمانية مستقبحة توجب غاية الحزن والتألم كما قال جماعة من المفسرين عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾، ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ *

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٢) الكافي ج٢، باب إدخال السرور على المؤمنين، ح ٨، وفي المصدر (كلما رأى).

وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾، ومن جعل التقدير «ليروا جزاء أعمالهم» ولم يرجع ضمير (يره) إلى العمل فقد أبعد».[١] انتهى كلامه رفع مقامه الشريف.

وفيما يرتبط بما نحن بصدده هنا يوجد كلام غريب صدر عن بعض أجلة المحدثين[٢] نميل إلى عدم ذكره.

وهو ناشئ عن توهم المنافاة بين القول بتجسم الأعمال والقول بالمعاد الجسماني، مع أن هذا الأمر يعد من الأمور المؤكدة. وأن كلمة (التمثل) الواردة في الحديث الشريف تماثل (التمثل) الوارد في قوله تعالى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا﴾[٣] والدال على أنه تمثل لها حقيقة على هيئة وصورة جسمانية وليس على سبيل الرؤيا والخيال، وعلى أية حال فإنه مما لا يستحسن صرف الآيات والروايات عن ظاهرها مع مطابقه للبرهان القوي المقرر في محله لمجرد أنها لا تنسجم كثيرا مع طريقة تفكير عقولنا أو لمطابقتها لمنهج الحكماء والفلاسفة.

والأفضل في حال كهذه هو التسليم في الفناء الأقدس لحضرة الحق وأوليائه المعصومين عليهم السلام.

ويعلم إذن أن كل عمل مقبول في فناء الحضرة المقدسة فإن له صورة حسنة بهية مناسبة له من حور وقصور وجنات عاليات وأنهار جاريات وليس في صقع الوجود موجود يتحقق على سبيل الجزاف، بل كل شيء بعلاقة وسبب وارتباط ومقدار غايته أن عقول غير الكمل من الأولياء قاصرة عن إدراك معاني هذه الأمور، وعلى العموم فإن المطلب خاضع لميزان عقلي وبرهان حكمي.

وبعد أن يتضح أن الحياة الأخروية ولذاتها منوطة بنوع الأعمال التي ترتفع صورها إلى ذلك العالم، وتلك الأعمال هي العبادات التي اطلع عليها أهل هذه

---

(١) الأربعون حديثاً للشيخ البهائي قدس سره، شرح الحديث ٣٣.

(٢) راجع مرآة العقول ج٩، كتاب الإيمان والكفر، باب إدخال السرور على المؤمنين عليهم السلام، ح ٨.

(٣) سورة مريم: ١٧.

الملة بالكشف التام المحمدي، وأن كمال وحسن الأعمال منوط بتحقق النيات وصفاء القلوب وحفظ الحدود والعمل الذي يفتقر إلى كل هذه الشروط أو بعضها يسقط عن درجة الاعتبار، بل ستكون له صورة قبيحة ومشوهة يواجهها الإنسان في العالم الآخر كما علم ذلك عن طريق الأخبار والآثار. فيلزم ـ إذن ـ على جميع المؤمنين بعالم الغيب وأخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام وأهل الكشف والعرفان ممن يتوقون إلى الفوز بالسعادة الأبدية والحياة الخالدة، يلزمهم العمل على إصلاح فعالهم وأعمالهم بما أوتوا من قوة وإرادة على ترويض الذات، وآنذاك إذا تحقق لهم مهمة إصلاح الظاهر وتطبيق صورته على واقع القواعد الإجتهادية وآراء الفقهاء قدس سرهم، يتعين السعي لإصلاح السيرة والباطن، وليكن جادا في استحضار القلب على الأقل في حدود الفرائض، ومن ثم ليحاول تتميم النقص وجبرانه بواسطة النوافل، وقد ورد في أحاديث شريفة ما مضمونه أن النوافل سنت لتتميم النقص الحاصل في الواجبات.

ففي العلل بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنما جعلت النافلة ليتم بها ما يفسد من الفريضة».[1]

وروى الشيخ بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يرفع للرجل من الصلاة ربعها أو ثمنها أو نصفها أو أكثر بقدر ما سها، ولكن الله تعالى يتم ذلك بالنوافل»[2]].[3]

---

(١) علل الشرائع ج٢، باب ٢٤، ح ٤.

(٢) تهذيب الأحكام ج٢، كتاب أحكام السهو، ح٢.

(٣) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٤٣٧-٤٤٠، المعاد ص ٤٢٦-٤٣٠.

نماذج من تجسم الأعمال:

أ ـ أمثلة لتجسم الأعمال السيئة:

١ـ تجسم الغضب:

[روي عن باقر العلوم عليه السلام أنه قال: «إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم...».[١]

ولعل هذه الجمرة التي يوقدها الشيطان في قلب ابن آدم تكون صورتها في ذلك العالم، عالم بروز السرائر والكشف عن الحقائق، على هيئة ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[٢] وباطنها حقيقة نار الغضب الإلهي، وهي أشد النيران إحراقاً وإيلاماً، تنبثق من باطن القلب وتسري إلى ظاهر ملك البدن].[٣]

٢ـ تجسم استعمال الأعضاء في غير طاعة الله:

[أورد المحدث الجليل المجلسي قدس سره في كتابه مرآة العقول، وفي ذيل شرحه للحديث الشريف: «كنت سمعه وبصره»[٤] ما ملخصه أن من لم يصرف جوارحه في طاعة الله لن تكون له جوارح روحانية وبالتالي لن يقدر على جواب مساءلة القبر لأن المعول عليه هناك هو الجوارح الروحانية».[٥]

وورد في بعض الأحاديث الشريفة عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة،

---

(١) أصول الكافي ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب ح ١٢.

(٢) سورة الهمزة: ٦-٧.

(٣) شرح جنود العقل والجهل (فارسي) ص ٤٣٧-٤٤٠، المعاد ص ٤٣١-٤٣٢.

(٤) الكافي ج٢، باب من أذى المسلمين واحتقارهم، ح٨.

(٥) مرآة العقول ج١٠، ص٣٩٢.

فإذا رآها قال: ما أحسنك، ليتك لي. فتقول: أما تعرفني؟ أنا سورة كذا وكذا ولو لم تنسني رفعتك إلى هذا)[١)]. [٢]

٣- تجسم الغيبة:

[لهذه الموبقة الكبيرة في عالم الغيب وخلف أستار الملكوت، صورة قبيحة مشوهة توجب مضافا إلى قبحها فضيحة صاحبها في الملأ الأعلى ومحضر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين. والصورة الملكوتية للغيبة هي ما أشار إليه الباري عز وجل في كتابه الكريم. وورد ذكرها في الروايات تصريحا وتلويحا، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.[٣]

إننا في غفلة عن حقيقة أن أعمالنا ستعود إلينا بعينها في العالم الآخر على صور وهيئات مناسبة لها. وهذا العمل (الغيبة) صورته أكل لحم الميت، وشأن صاحب هذا العمل شأن الكلاب المسعورة التي تفتك بالموتى وتنهش لحومهم، وهذه الصورة هي التي ستعاد إلى المغتاب في جهنم.

وفي رواية لما رجم رسول الله ﷺ الرجل في الزنا، قال رجل لصاحبه: (هذا أقعص كما يقعص الكلب، فمر النبي معهما بجيفة، فقال: انهشا منها، قالا: يا رسول الله، نهش جيفة؟! قال: ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه).[٤]

بلى، لقد صدق رسول الله ﷺ إذ هو يرى بنور البصيرة والشهود أن عمل هذين أنتن من تلك الجيفة وأفظع وأفضح. وفي رواية أخرى ما مضمونه أن

---

(١) الكافي ج٢، باب من حفظ القرآن ثم نسيه، ح ٢، في المصدر بإضافة (ما أنت ما أحسنك؟).

(٢) آداب الصلاة (فارسي) ص ١٨-١٩، المعاد ص ٤٣٢.

(٣) سورة الحجرات: ١٢.

(٤) المستدرك، كتاب الحج، الباب ١٣٢، من أبواب أحكام العشرة في السفر، ح١٦، تنبيه الخواطر (مجموعة ورام ج١).

المغتاب يأكل يوم القيامة من لحمه، وفي الوسائل نقلا عن مجالس صدوق الطائفة قدس سره بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن مواعظه لنوف البكالي قال: اجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار، ثم قال: يا نوف كذب من زعم أنه من ولد حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة».[1]

هذا ولا منافاة بين مفاد هذه الروايات الشريفة، فمن الممكن وقوع كل منها، فقد يأكل المغتاب لحم الميت وقد يأكل من لحم نفسه، وقد يتمثل في جهنم على صورة كلب يأكل لحوم الموتى أو ميت تنهش لحمه كلاب النار. فالصور هناك تابعة لجهات الفاعلية وربما كان لوجود واحد صور متعددة].[2]

٤ـ تجسم حب الدنيا وحب النفس:

[أكبر خطر يواجهه الإنسان في لحظات فراق الدنيا والتوجه إلى مستقره الأبدي هو ابتلاؤه بحب النفس وبتبعه حب الدنيا بشتى أبعاده وجوانبه. ففي ساعة الإحتضار والفراق قد تنكشف للإنسان جملة من الأمور منها أنه يرى بالعيان كيف تنتزعه الإرادة الإلهية من أحضان محبوبه ومعشوقه ــ الدنيا ـ فتعتريه نقمة وسخط على ربه جراء ذلك، وهذه العاقبة السيئة هي من آثار حب الدنيا ومخلفات هوى النفس. وقد أشارت الروايات إلى شيء من ذلك.

عن شخص متدين موثوق قال: وقفت على رأس رجل يحتضر، فكان يقول: (إن الظلم الذي يلحقه الله بي ليس له مثيل، إنه ينتزعني من بين أحبابي وأولادي الذين صرفت عمري في تربيتهم والحنو عليهم)، فنهضت ــ والكلام للشخص ـ فإذا بالمحتضر قد مات. بعض العبارات التي نقلتها لا تختلف إلا

---

(١) أمالي الصدوق مجلس ٣٧، فضائل علي، ح٩، الوسائل باب١٥٢، من أبواب أحكام العشرة،ح١٦.

(٢) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٣٠٣-٣٠٤، عربي ص ٣٥٠-٣٥٢، المعاد ص ٤٣٢-٤٣٤.

يسيراً مع ما يقوله ذلك العالم المتعبد. وعلى أي حال، فإن ما قلناه من الخطورة بحيث أن مجرد احتماله يعد على جانب من الأهمية يوجب التفكير بهذا الأمر بمنتهى الجدية].[1]

٥ـ تجسم وقوع المرء أسيرا لهوى نفسه:

[لو يزاح الستار لانكشفت حقيقة أسرنا وصورة تكبيلنا بقيود الشهوات النفسانية وسلاسل الهوى، وربما كانت السلسلة التي يقال أن ذرعها سبعون ذراعا، وذلك القيد المذخور لنا ليست سوى صور تجسيمية لأسارتنا ورقنا وعبوديتنا للهوى والشهوة والغضب.

وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾[2] ويقول في مكان وموقف آخر: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.[3]

إن ما يصل إلينا في ذلك العالم ليس سوى صور أعمالنا، فعليك بكسر قيود الشهوة وأغلال الهوى وإجلاء صدأ القلوب لتحرر من هذه الأسوار وتنطلق وتعيش حرا في هذا العالم، لكي تعيش حرا في العالم الآخر، وإلا فإنك سوف ترى لا محالة صورة هذا هناك، فاعلم أنها لا تطاق].[4]

---

(١) صحيفه امام ج١٦، ص٢١٥-٢١٦، رسائل الإمام رضوان الله عليه العرفانية إلى ابنه السيد أحمد الخميني رحمه الله، المعاد ص ٤٣٥.

(٢) سورة الكهف: ٤٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٤) الأربعون حديثاً (فارسي) ص ٢٥٧، المعاد ص ٤٣٥.

ب ـ أمثلة لتجسم الأعمال الحسنة:

٦ـ تجسم العبادات:

[تعد المناسك عموماً والصلاة خصوصاً والفرائض منها على وجه التحديد سر السعادة الأبدية والحياة الأخروية وهي منبع الكمال ورأس مال الإنتقال إليها.

وحسب مفاد روايات كثيرة واردة في أبواب متفرقة ومؤيدة بضرب من البرهان وبمشاهدة أهل الكشف والعيان، فإن لكل واحدة من العبادات المنقولة صورة غيبية بهية، وتمثالاً ملكوتياً أخروياً من شأنه أن يصاحب الإنسان في جميع مراحل النشأة الغيبية، ويغيثه في جميع الشدائد].(١)

٧ـ تجسم قراءة القرآن:

[في الكافي الشريف بإسناده عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا سعد تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق...».(٢)

وقال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا جمع الله ـ عز وجل ـ الأولين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم ير قط أحسن صورة منه فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا هذا منا، هذا أحسن شيء رأينا... ».(٣)

والأحاديث بهذا المضمون كثيرةٌ جداً، وهي تشكل دليلا قاطعا على صحة مدعى أهل المعرفة بأن لموجودات هذا العالم صورا في العالم الآخر].(٤)

---

(١) سر الصلاة (فارسي) ٢٥، المعاد ص٤٣٦.

(٢) الكافي ج٢، كتاب فضل القرآن، في تمثل القرآن وشفاعته لأهله، ح١.

(٣) الكافي ج٢، كتاب فضل القرآن، في تمثل القرآن وشفاعته لأهله، ح١٤.

(٤) آداب الصلاة (فارسي) ص٢٠٩-٢١٠، المعاد ص ٤٣٧-٤٣٨.

٨ ـ تجسم التسليم أمام الحق:

[ونتيجة لتسليم الإرادة أمام الحق تعالى فإنه ـ جل وعلا ـ يجعل إرادة عبده نافذة، ويصنع منه مثلا له يقول للشيء كن فيكون بمجرد إرادته لذلك الشيء مضاهيا بذلك قدرة الباري عز وجل، غير أن هذه من هذه.

وقد روى بعض أهل المعرفة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ما موجزه أن ملكا يأتي إلى أهل الجنة فيستأذن للدخول حاملا معه رسالة من جانب الحق تعالى إلى أهل الجنة فيها:

«من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت أما بعد فإني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا ويكون».[١]

وذلك هو السلطان الإلهي الذي يمنحه الرب لعبده بإزاء إفناء إرادته في إرادة الله وترك الأهواء النفسانية والتمرد على طاعة إبليس وجنده].[٢]

الشفاعة:

لقد اختلف في مرقع إدراج بحث الشفاعة، فبعضهم يدرجه في التوحيد ضمن رد الشبهات وأن الشفاعة لا تعني الشرك وبعضهم يذكرها ضمن شبهات العدل وأنها لا تنافي العدل الإلهي والبعض الآخر يذكرها مع مقامات الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام في أصل النبوة أو الإمامة، أما البقية فيذكرونه ضمن أبحاث المعاد باعتبارها منزلاً من منازل الآخرة وأن وقت زمانها متأخر ونحن نذكرها هنا كما وعدناكم سابقا في مباحث التوحيد.

---

(١) تفسير القرآن الكريم ج ٥ للملا صدرا قدس سره نقلاً عن الفتوحات المكية لابن عربي، علم اليقين ج٢ باختلاف يسير.

(٢) آداب الصلاة (فارسي) ص٣٢-٣٣، المعاد ص ٤٣٦-٤٣٧.

معنى الشفاعة:

[دعاء النبي أو الإمام أن يغفر الله ذنب هذا الشخص وهي رتبة يعطيها الله للشفيع][1].

إن مفهوم الشفاعة في الإسلام من المفاهيم المتسالم عليها إذ ثبوتها بالقرآن الكريم والسنة المطهرة فإذا ما تحققت شروطها وقعت ولا يبقى عائق للإيمان بها سوى رفع الشبهات المطروحة وردها وقد تطرق السيد الإمام قدس سره لبعضها وأجاب عنها فإليك بعضها.

شبهات وردود:

(قد ذكر السيد الإمام قدس سره هذه الشبهات وأجوبتها في كتابه كشف الأسرار).

١ـ طلب الشفاعة من الأموات شرك

الجواب:

قد تقدم في مباحث التوحيد أن مثل هذه الشبهات هي أوهن من بيت العنكبوت، وهي لا تستلزم الشرك بل هي مفهوم قرآني قد أكد عليه الكتاب العزيز زاده الله عزة وشرفا وكذا الروايات من الفريقين، فقد تحمل بعض علمائنا الأعلام عناء استخراج هذه الروايات من الفريقين فجزاهم الله خيرا، كما تقدم أن التعامل مع الأموات بأنهم مضوا وانتهى الأمر هو من الأخطاء الفاحشة لمن يعتقد بها، بل أن الأرواح ـ وكما هو الثابت ـ موجودة وليست معدومة، ولو سلمنا بعدم تأثيرهم فما الذي يجعل التوسل والشفاعة شركاً؟ ألا يكون قمة التوحيد لأنه طاعة لأوامر الله عز وجل؟

وقد أجاب السيد الإمام قدس سره بـ**[أن الشفعاء بعد رحيلهم من هذه الدنيا ليسوا أمواتا بل بينا[2] أن حياة الأموات أي أرواحهم، وخلودها في ذلك العالم وإحاطتها بهذا العالم من الأمور المسلمة في كل من الفلسفة القديمة والفلسفة الأوروبية الروحية. وعلى فرض أن النبي والإمام يصيران بعد الموت ـ حسب تعبيرهم ـ**

---

(١) كشف الأسرار ص ٩٣.

(٢) كشف الأسرار ص٥٧ إلى ٦٣، وقد تقدم إثبات ذلك في مباحث إثبات المعاد.

كالخشب والحجر وسائر الجمادات فلماذا يكون طلب الشفاعة شركا غايته يكون عملا لا طائل منه](١).

٢ـ طلب الشفاعة تدخل الغير في الأعمال الإلهية وهذا شرك

الجواب:

وهذا كسابقه لأننا عندما نأتي ونذكر المعيار للفرق بين العمل الإلهي وعمل المخلوقات نجد أن العمل الإلهي هو العمل والفعل الغير مستند على أحد بينما عمل المخلوق هو المستند على غيره، وإن كان عمل المخلوق يرجع للعمل الإلهي إلا أنه لا على نحو الإستقلال، فإذا لم يكن على نحو الإستقلال فما هو الداعي لكونه شركا؟

[والجواب أن الشفاعة ليست عملا إلهيا لأنها في الحقيقة دعاء النبي والإمام أن يغفر الله ذنب هذا الشخص وهذا عمل العبد لا الله وقد أوضحنا سابقا(٢) الميزان والفرق بين العمل الإلهي وعمل الخلق وقلنا إن الأعمال التي يؤتى بها من دون إستناد إلى أية قوة مكتسبة من الغير هي الأعمال الإلهية ومعلوم أن الشفاعة أمر يقع بإذن الله وهي رتبة يعطيها الله للشفيع](٣).

٣ـ الشفاعة والوساطة تنافي مقام الألوهية ويكون الله على قول المؤمنين كمعلم المكتب ما لم تتدخل الواسطة لا يتراجع عن عمله.

الجواب:

إن هذا المستشكل أراد تنزيه الله سبحانه وتعالى بحسب نظره القاصر فوقع في نسبته للنقص والجهل وعدم الحكمة في أفعاله، فإنه قاس الخالق بالمخلوق وما هو المتعارف فيما بين الناس، بينما الأمر ليس كذلك فرحمة الله عزوجل أوسع من رحمة عباده بل هو المعطي لعباده الرحمة، فقياس المعلم

---

(١) كشف الأسرار ص ٩٣.

(٢) كشف الأسرار ص ٥٤.

(٣) كشف الأسرار ص ٩٣.

على الله تبارك وتعالى عن ذلك قياس مع الفارق، بل لا يوجد ما هو صالح لجهة اشتراك للقياس، ولا يستطيع هذا المستشكل الفرار من الإقرار بالشفاعة إذ أن العالم قائم على الأسباب والمسببات والشفاعة أحد الأسباب .

[أن الإشكال بهذا الحد كلام لا دليل عليه وقول لا فائدة منه إذ بناء عليه يجب أن لا يعلم الله العباد لأن التعليم شغل معلم المكتب فيجب إذن أن نعتبر جميع الشرائع والأديان لغوا وأن نرفع اليد عن أوامر الأنبياء ﷺ بل يجب أن لا نعتقد بوجود الله لأن معلم المكتب موجود. ثم إن المتدينين يقولون لكم أنتم أيضا تعتبرون الله مثل معلم مكتب عنيد فإذا أراد أن يضرب أحدا يضربه بلا رحمة ولا عفو][1].

---

(١) كشف الأسرار ص ٩٤.

خلاصة الدرس الثلاثون:

ـ ركز القرآن الكريم وأحاديث الأنبياء والأولياء عليهم السلام على وصف الجنة والنار وهما من ضروريات الأديان السماوية.

ـ تجسم الأعمال من المسلمات قرآنياً وروائياً وقد ذكرت الروايات نماذج من تجسم الأعمال السيئة والحسنة.

ـ الشفاعة لا تعني التصرف والتدبير المستقل التام بل هي الإعتقاد بالتصرف والتدبير بإذن الله تبارك وتعالى وهي لا تستلزم الشرك، بل هي عين التوحيد.

أسئلة حول الدرس: ؟؟؟

١ ـ أحد أوصاف النار بأنها حارقةٌ للقلوب أذكر الآية على ذلك مع توضيحها بكلام الإمام رحمه الله عليه.

٢ ـ كيف يمكن الإستدلال بالآية ٣٠ من سورة آل عمران. على مسألة تجسم الأعمال؟

٣ ـ أذكر نموذجين لكلٍ من تجسم الأعمال الحسنة والأعمال السيئة مع الدليل.

٤ ـ وضح شبهات الشفاعة، مع الإجابة عنها.

المطالعة

❖ لم يخش سوى الله جل وعلا:

كنا نشاهد ـ نحن الملازمون للإمام ـ تضرعه وبكاءَهُ ومناجاته لله في الأسحار حتى في الليلة التي نقلناه للمستشفى لإجراء العملية الجراحية في اليوم التالي، فقد استيقظ على وفق برنامجه المعتاد وأقام نافلة الليل وقد تم تصوير ذلك عبر كاميرا مخفية، وتم عرض الفيلم عبر التلفاز باستثناء قسم منه حذف لمصلحة معينة، وهو القسم الذي يُصور حالته وهو يبكي بحرقة ويتضرع لله جل جلاله، وإنني أرجو أن يُبث هذا القسم أيضاً لشعبنا العزيز لكي يعرف عياناً أن هذا الزعيم الجليل الذي أخرج من قلبه كل خوفٍ وتحدى وحده العالم الإستكباري برمته دون أن يخشى أحداً، كيف يقف في الأسحار متضرعاً لله وهو يرتعش من خشيته ويبكي بحرقةٍ والدموع تنهمر من عينيه بغزارة!

كنا نشاهده عن قرب وهو في هذه الحالة الروحانية الخاصة من التضرع عندما كنا نضطر لأن نكون على مقربةٍ منه في هذه الأوقات السحرية لأسباب ترتبط بمهامنا العلاجية ولكن دون أن يشعر بنا.

قبسات من سيرة الإمام الخميني رضوان الله عليه
الحالات العبادية والمعنوية ص١٥١ ـ ١٥٢

الملحقات

- الملحق الأول: دعوة إلى التوحيد

- الملحق الثاني: خاص بالإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف

الملحق الأول

دعوة إلى التوحيد

رسالة قائد الثورة الإسلامية الأكبر ومؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخميني قدس سره إلى الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف

الصادرة بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ق

المقدمة

تكشف دراسة الحوادث والوقائع التي شهدتها سيرة الإمام الخميني قدس سره والتحليلات التي وردت بشأنها، حقيقة واقعية لا يمكن إنكارها، وهي أن شخصية الإمام شخصية إلهية مقتفية لمنهج الأنبياء عليهم السلام، وإن من غير الممكن مقارنتها بأي من الرموز الثورية والسياسية والدينية والعلمية المشهورة التي عرفها التاريخ الحديث.

ولا يمكن معرفة وتقييم شخصية الإمام الراحل قدس سره إلا بعد الدراسة المعمقة والشاملة لمختلف أبعاد الثورة الإسلامية في إيران وتأثيراتها العالمية. فالدور الإلهي وأشكال الهداية النبوية التي مارسها الإمام تجاه هذه الثورة إيجادا وتنمية وقيادة أمر مشهود وفي غاية الوضوح

ومن الخطوات النبوية التي اتخذها الإمام الراحل قدس سره في أواخر حياته المباركة، إرسال رسالته إلى السيد غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتي السابق.

وقد تم تدوين الرسالة بعيد انتهاء حرب الأعوام الثمانية التي فرضها العراق على الجمهورية الإسلامية، وفي تلك الفترة سعى المراقبون السياسيون المرتبطون بالاستكبار العالمي ووسائل الدعاية التابعة لدنيا الكفر، إلى تصوير موافقة إيران على القرار الدولي رقم ٥٩٨ بأنها ناتجة عن تزعزع القناعات الاعتقادية لدى المسؤولين التنفيذيين، وخفوت بريق شعارات الثورة الإسلامية، فروّجوا لهذا الادعاء بكثافة، فيما عمد أعداء الإسلام إلى إنعاش قلوبهم بأماني تحجيم الثورة الإسلامية داخل حدود إيران وانحسار تأثيراتها الخارجية.

في ظل تلك الظروف، جاء خبر إرسال رسالة سرية من قائد الثورة الإسلامية إلى زعيم الاتحاد السوفيتي وبواسطة وفد يرأسه عالم إسلامي معروف، فشدّ الخبر أنظار الشعوب واستحوذ على اهتمام القادة السياسيين والمفكرين والمحللين.

رئيس الوفد الذي حمل الرسالة هو آية الله جوادي آملي دام ظله تلميذ الإمام الخميني رضوان الله عليه، ويضم الوفد في عضويته المساعد السياسي لوزير الخارجية، وسيدة هي عضوة في مجلس الشورى الإسلامي، وقد وصل موسكو في اليوم الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام ١٤٠٩ للهجرة النبوية، وألتقى في الساعة الحادية عشر صباحا من اليوم التالي الزعيم السوفيتي في قصر الكرملين. وأضافت التركيبة الخاصة للوفد علامة استفهام أخرى في أذهان الرأي العام الذي إنشدّ مرة أخرى إلى الثورة الإسلامية وقائدها الكبير متسائلا عن ماهية هذه الرسالة.

قادة الكرملين طرحوا احتمالات متعددة في الإجابة على التساؤل الخاص بمحتوى الرسالة، لكن الاحتمال الوحيد الذي لم يخطر في أذهانهم هو احتمال أن تكون الرسالة مشتملة على دعوة إلى التوحيد؛ والى الإسلام المحمدي الأصيل من ذاك الموحد العظيم إلى زعيم الكرملين.

واقتداء بسيرة الأنبياء جعل الإمام الخميني قدس سره دعوته التوحيدية موجهة أولاً إلى مركز قوة الإلحاد، وكان واثقا من أنها ستنتشر إلى أطراف وأكناف هذا المركز. ورغم أن ساسة الكرملين قد تعاملوا مع رسالة الدعوة التوحيدية هذه تعاملا سياسيا، إلا أن نشر نص الرسالة من قبل وسائل الإعلام العالمية، ونشرها لعدد من التحليلات بشأنها قد حقق جانبا من الآثار التي أرادها الإمام قدس سره.

وعلى الرغم من إخفاء محتوى الرسالة التاريخية هذه عن أبناء الشعب السوفيتي من قبل قادة الكرملين ووسائل إعلامه وإصداره أوامر بمنع انتشارها في الجمهوريات التي يقطنها المسلمون في الاتحاد السوفيتي السابق، إلا أن الشباب المسلمين في تلك الجمهوريات استقبلوا رسالة الإمام بتفاعل لا يمكن وصفه، الأمر الذي ساهم بدور مهم في زيادة تطلع مسلمي تلك المناطق نحو الإسلام، حيث قام شبابها المسلمون بتكثير مئات آلاف من نسخ هذه الرسالة بصورة سرية وتوزيعها في كافة أرجاء الاتحاد السوفيتي.

واليوم وبعد مضي بضعة أعوام على صدور هذه الرسالة الإلهية، تحققت نبوءات الإمام الواردة فيها بشأن «الهزيمة الحتمية الكاملة للماركسية» وبشأن «التغييرات الداخلية في القوة الشرقية الكبرى والبلدان المرتبطة بها».

إن سبيل الخلاص الذي عرضه هذا القائد الرباني رضوان الله عليه على غورباتشوف يتضمن الحل الناجح للمشاكل والأزمات الناتجة عن منهج الماركسية، وهو في نفس الوقت يضمن إلى جانب ذلك حفظ الاقتدار السياسي والكرامة الوطنية للشعوب السوفيتية؛ ولقد حذر الإمام قادة الكرملين من الانخداع بـ «الجنان الخضر للعالم الغربي» والسقوط في فخاخ «الشيطان الأكبر»، ولكن مع الأسف فقد شاهدنا وقوع قادة الكرملين في الفخاخ الغربية تلك.

إن الرسالة التاريخية للإمام الخميني قدس سره هي بحد ذاتها أحد مصاديق تصدير الثورة، ولكن ليس بالمعنى المحرف الذي يتضمن التدخل في شؤون شعوب البلدان الأخرى، بل بمعناه الحقيقي الذي يتضمن الإجابة على التساؤلات الفكرية لعطاشى المعارف الإلهية، أولئك الذين أخضعوا على مدى سبعين عاما لتعليمات وأفكار تخالف فطرتهم.

على أمل مجيء ذلك اليوم الذي تتهشم فيه الحجب الدعائية للعالم الغربي، لتستطيع شعوب المعسكر الغربي أيضا، سماع دعوات «الرسالة الإلهية» التوحيدية التي صدع بها ذاك القائد المحمدي الكبير قدس سره.

الشؤون الدولية في مؤسسة الإمام الخميني الثقافية

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

فخامة السيد غورباتشوف[1] رئيس المجلس الأعلى لإتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية

بعد الإعراب عن الأماني بالتوفيق والسعادة لكم وللشعب السوفيتي، فقد رأيت من الضروري التذكير ببعض القضايا انطلاقا من أن تصديكم للقيادة قد ولد إحساسا بأنكم قد أصبحتم في حالة

---

(١) «ميخائيل غورباتشوف» من مواليد عام (١٩٣١م) دخل في عضوية «الحزب الشيوعي» عام (١٩٥٢م) وأصبح عضواً في لجنته المركزية عام (١٩٧١م)، وله من العمر أربعين سنة. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح عضواً استشارياً في الهيئة السياسية للحزب «بليت بورف» ثم أصبح عضواً أصلياً فيها بعد عام من ذلك، وذاع صيته على المستوى العالمي باعتباره أصغر أعضاء الهيئة السياسية سناً، وكان له آنذاك ٤٩ عاماً.

ومع موت «بريجنيف» أخذ نجم غورباتشوف بالصعود والتألق في هرم الحزب الشيوعي السوفيتي، فقد كان يحظى باهتمام خاص من قبل «يوري اندربوف» رئيس منظمة الـ «ك، ج، ب» والزعيم السوفيتي السابق (ما بين عامي ١٩٨٢ ــ ١٩٨٤م) ولذلك فقد تمكن من الوصول إلى المناصب الحساسة وأصبح الرجل الثاني في الحزب في عهد «اندربوف» الذي لم يستطع أن ينفذ السياسات الجديدة التي كان يزمع تنفيذها حيث توفي بصورة مفاجئة، لكنه رشح غورباتشوف لخلافته مصرحا في وصيته السياسية بذلك من أجل تنفيذ تلك السياسات؟ وهذا ما لم يتحقق بسبب الضغوط التي مارسها الرعيل القديم من خط «بريجنيف» فمنعوا من استلام غورباتشوف السكرتيرية العامة للحزب، وانتخبوا «جرنينكو» زعيما للاتحاد السوفيتي باعتباره آخر ممثل للجيل القديم في الهيئة السياسية للحزب.

وبموت «جرنينكو» في آذار عام ١٩٨٥ زالت عمليا العقبة الأخيرة عن طريق غورباتشوف فأصبح السكرتير العام للحزب الشيوعي. وفي أيلول من عام ١٩٨٨، أصبح رئيسا للاتحاد السوفيتي أيضاً بعد إزاحته لـ «اندريه غروميكو» فعمد إلى تنفيذ السياسة الجديدة التي كان اندربوف ينادي بها، وقام بازاحة الجيل القديم من الكوادر القيادية العليا، وبذلك غير تركيبة الكرملين، ثم شن حملات انتقادية عنيفة ضد عهد بريجنيف، وقام بعمليات فضح لا سابق لها ضد العهد الستاليني و«الستالينية» فظهرت مرحلة جديدة من تاريخ الماركسية ميزتها سياسات «البروستريكا» الاصلاحية والاجواء السياسية المفتوحة «الغلاسنوست» وشكلت هذه المرحلة أهم تحول شهدته الحضارة الغربية في نهاية القرن العشرين.

وقد شهدت هذه المرحلة الكثير من التحولات الفكرية السريعة والتغييرات السياسية والاجتماعية، انتهت بتاريخ (٢٥ آذار ١٩٩١) عندما ألقى غورباتشوف خطابه الذي أعلن فيه «موت» الاتحاد السوفيتي وسقوط الماركسية والمعسكر الشرقي؛ ثم ذكر العالم بالسر الأساسي لجميع الأخطاء السابقة فقال في عبارة واحدة: «كنا في الماضي غافلين عن عامل هو ميول الناس الفطرية والمعنوية نحو الدين».

جديدة تتسم بإعادة النظر والتغيير والتعامل الجديد في تحليل الحوادث السياسية العالمية، لاسيما المرتبطة بالقضايا السوفيتية، عسى أن تكون جرأتكم وشجاعتكم في التعامل مع حقائق الواقع العالمي منبعا لإحداث تغييرات؛ وسببا لقلب المعادلات الحاكمة فعلا في العالم.

وعلى الرغم من أن تفكيركم وقراراتكم الجديدة قد تكون محصورة في إطار أسلوب جديد ــ وحسب ــ لحل المشكلات الحزبية؛ وإلى جانبها حل بعض أزمات شعبكم؛ إلا أن هذا المقدار ــ بحد ذاته ــ جدير بأن تقدر فيه شجاعتكم في إعادة النظر بالمذهب الفكري الذي سجن الثوريين في العالم بين أسواره الحديدية لسنين متمادية.

وإذا فكرتم بما فوق هذا المقدار؛ فإن القضية الأولى التي ستكون ـ يقينا ـ سببا لنجاحكم هي أن تعيدوا النظر في سياسة أسلافكم المتمحورة حول محاربة الله واستئصال الدين من المجتمع[1] فهذه

---

(١) تصدرت محاربة الأفكار والعقائد الدينية واستئصال آثارها في المجتمعات، السياسات التي أخذت التيارات الشيوعية بتنفيذها فور تأسيسها للدول الشيوعية، وقد تنوعت كثيرا أساليب هذه المحاربة للقيم الدينية متناسبة مع خصائص وأوضاع المجتمعات المختلفة، وهي وإن شهدت فترات من الضعف والشدة إلا أنها على كل حال لم تتوقف أبدا.

في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي السوفيتي الذي عقد في آذار عام ١٩١٩ تمت المصادقة على قرار تضمن الفقرة التالية: «يجب تشكيل تنظيمات تربوية محاربة للدين وعلى نطاق واسع». وجاء في البيان الختامي للمؤتمر الثالث عشر للحزب الذي عقد في (١٩٤٢) ما يلي: «يجب إيقاف كافة الاجراءات ضد الأحكام الدينية للشعب عن طريق إداري ــ كإغلاق الكنائس والمساجد وسائر المعابد الدينية ــ فيما يجب أن يكون الإعلام المكافح للدين قائما على أساس توضيح مادية الطبيعة والحياة الاجتماعية الإنسانية». وعلى هذا الأساس جاء في صحيفة «الشباب» التي يصدرها الحزب الشيوعي السوفيتي (العدد الخامس في حزيران ١٩٤٢) ما يلي: «إن أفضل أساليب محاربة الدين في الوقت الحاضر هو الدعاية المستمرة والواسعة لفلسفة المادية العلمية». وتقول نفس هذه الصحيفة في عددها الصادر بتاريخ (١٨ أكتوبر ١٩٤٧) ما نص ترجمته: «إن الحزب لا يمكنه أن يظل محايدا تجاه القضايا الدينية. ولهذا فهو يدير الاعلام الموجه ضد الميول الدينية، لأن الحزب مؤيد للعلم، والدين معاد للعلم».

وحقيقة الأمر هي أن «مكافحة الدين» اكتسبت مفهوما عقائديا مع إنتصار ثورة أكتوبر الشيوعية عام (١٩١٧) فالماركسية اعتبرت الدين أفيون الشعوب، وأنه من اختراع الفئة الحاكمة ووسيلتها في «استحمار» الشعوب؛ وعليه كان من الطبيعي أن تظهر حالة محاربة الشخصية العريقة للمسلمين في عهد الإمبراطورية

السياسة ــ بلا شك ــ هي التي أنزلت أكبر وأهم ضربة على جسد الشعب السوفيتي؛ واعلموا أن التعامل مع القضايا العالمية لا يمكن أن يكتسب الصبغة الواقعية إلا من خلال هذا الطريق.

ومن الممكن أن يبدو العالم الغربي أمامكم وكأنه جنان خضر. فهذا نتيجة للأساليب الخاطئة والسياسات المنحرفة لأقطاب الشيوعية السابقين في المجال الاقتصادي؛ ولكن الحقيقة هي في مكان آخر.

إنكم إذا أردتم أن تحصروا جهودكم لحل العقد المستعصية في الاقتصاد الاشتراكي والشيوعية ــ في هذه المرحلة ــ باللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية، فاعلموا أن نتيجة ذلك لن تنحصر في العجز عن معالجة شيء من آلام شعبكم، بل ستتجاوز ذلك إلى إيجاد حالة تستلزم مجيء من يعالج آثار

السوفيتية مستندة إلى مقولة ماركس الشهيرة «كلما تقدم العلم خطوة، تراجع الله مثلها». ويقول قائد الثورة البلشفية «لينين» في إحدى خطاباته «إن الماركسية تعتبر كافة الأديان الجديدة والمؤسسات الدينية أدوات بأيدي الرجعية البرجوازية، وترى أن هدفها هو استغلال وخداع الطبقة العاملة». وضمن هذا المنهج الفكري، كان الماركسيون يرون أن قضية المسلمين هي من بقايا العهد الرأسمالي الذي سبق الشيوعية، فابتدعوا أساليب خاصة لمحاربتها، وأبرزها هي:

١ ــ إبادة العامل الإسلامي «الغريب» وإخراجه من الفاعلية في شؤون الحياة.

٢ــ تذويب العنصر الإسلامي في المجتمع السوفيتي عن طريق الإدارة السوفيتية أو الروسية.

وقد سنحت لـ «استالين» أفضل فرصة لإبادة مجتمع المسلمين. يقول مؤلف كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» وهو من المحققين السوفيت المشهورين إن الحكومة السوفيتية كانت عازمة على تغيير بنية بعض الشعوب وإتهامها بالخيانة خلافا لكل الأدلة والقرائن الموجودة؛ وكان الهدف هو معاقبة المسلمين بصورة جماعية عن طريق حل الأجهزة الإدارية في المناطق التي يسكنونها ونفيهم إلى آسيا الوسطى أو إلى سيبيريا، والشعوب «المتهمة» التي تمت معاقبتها هي: ألمان الفولغا، والقلموقيون البوذيون، والشعوب الإسلامية الخمسة (تتار القرم، والقراشاي، والبالكار (أتراك شمال القفقاز) والججن، والانيكوش).

والى جانب تدميرهم للشخصية التاريخية للمسلمين داخل الاتحاد السوفيتي؟ شن الروس حربا شعواء ضد الثقافة الإسلامية على الصعيد العالمي، ومن مظاهر هذه الحرب طباعة ونشر الكتب المعادية للدين وعلى نطاق واسع في البلدان الإسلامية، وكذلك تأسيس الأحزاب الشيوعية فيها.

ومن أواخر الجهود الشيوعية لتدمير المسلمين هو احتلال أفغانستان الذي كان يمكن أن يشكل بوابة لضرب البلدان الإسلامية لو كان كتب للماركسية البقاء.

أخطائكم؟ لأن العالم الغربي مبتل أيضاً بنفس ما ابتليت به الماركسية اليوم من وصول مناهج تعاملها مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية إلى طريق مسدود، بل وهو مصاب بمشاكل أخرى أيضا، والفرق هو في الصور والظواهر.

حضرة السيد غورباتشوف...

الواجب هو التوجه نحو الحقيقة...

إن مشكلة بلدكم الأساسية لا تكمن في مشكلة الملكية والاقتصاد والحرية؛ بل إن مشكلتكم الأساسية هي فقدان الإيمان الحقيقي بالله؛ وهي نفس مشكلة العالم الغربي التي قادته إلى الانحطاط وإلى الطريق المسدود، أو ستجره إلى ذلك؛ إن أزمتكم الحقيقة تكمن في محاربتكم الطويلة والعقيمة لله مبدأ الوجود والخلق.

حضرة السيد غورباتشوف...

لقد اتضح للجميع أن البحث عن الشيوعية يجب أن يتوجه ـ من الآن فصاعدا ـ إلى متاحف التاريخ السياسي العالمي!! أما لماذا؟! فلأن الماركسية لا تلبي شيئا من احتياجات الإنسان الحقيقية، لماذا؟ لأنها مذهب مادي؟ ومحال إنقاذ البشرية بالمادية من الأزمة التي خلقها فقدان الإيمان بالمعنويات، وهو الذي يمثل العلة الأساسية لما تعانيه المجتمعات الإنسانية شرقية كانت أم غربية.

حضرة السيد غورباتشوف...

من المحتمل على نحو «الإثبات» أن لا تكونوا معرضين عن بعض جوانب الماركسية، ومن المحتمل أن تظهروا عبر مقابلاتكم ـ مستقبلا ـ إيمانكم الكامل بها، ولكنكم أنفسكم تعلمون على نحو «الثبوت» حقيقة أن الواقع غير ذلك.

لقد وجّه الزعيم الصيني الضربة الأولى[1] للشيوعية، وها أنتم تنزلون الثانية، ويبدو أنها القاضية؟ فلم يعد اليوم ـ في عالمنا المعاصر ـ شيء باسم «الشيوعية»، ولكني أطلب منكم ـــ بصورة

---

(١) من الحقائق التي لا يمكن إنكارها، حقيقة أن إدارة الصين قد تحولت ومنذ عام (١٩٤٩) إلى إدارة وفق منهج (ماركس، لينين، ماو)، ولكن في عام (١٩٥٣) وبعد موت استالين ظهر انشقاق في المعسكر الشيوعي

مؤكدة ــــ أن تحذروا الوقوع في سجن الغرب والشيطان الأكبر[١] وأنتم تحطمون جدران أوهام الماركسية.

آمل أن تنالوا الشرف الحقيقي لإنجاز مهمة استئصال آخر الأعشاش المتهرئة لحقبة السبعين عاما من انحراف العالم الشيوعي، استئصالها من وجه التأريخ ومن بلدكم.

اكتسب صبغة عقائدية واضحة بين جناح الصين وجناح الاتحاد السوفيتي، فقد بدأ «ماو» مناظرة فكرية مع الزعيم السوفيتي «خروشوف» أدت إلى توجيه اتهام للاتحاد السوفيتي بالتراجع عن المتبنيات الفكرية؟ فيما إتهم الروس ــ بالمقابل ــ «ماو» بأنه «مجنون نووي» وأنه يسعى إلى تجديد النظر في الماركسية من أجل تحقيق أهدافه السوفينية.

من جانب آخر أدخل «ماو» خليطا من الأعراف الأسيوية ــ الصينية على النظرية الماركسية، معبرا في الحقيقة عن نمط من محاولات تطبيق «العقيدة» على الخصائص الوطنية المميزة، قال «ليوشاوشي» رئيس الجمهورية الصينية في مقابلة مع صحفي أمريكي (عام ١٩٦٦م): إن «ماوتسي تونغ» قد أوجد شكلا صينيا ـ أسيويا للماركسية وان انجازه الرئيسي هو تغيير الماركسية من شكلها الأوروبي إلى شكل أسيوي، وهو أول من نجح في هذا المجال».

لقد أثبت «ماو» عدم قبوله بأي تراجع عن طريق تحقيق شعاراته من خلال تأكيده على أن الماركسية هي «أقل المناهج العمالية العالمية نقصا» وهذه النظرة وإلى جانب مبدأ «مواجهة الإمبريالية الأمريكية» و«الإشتراكية الإمبريالية السوفيتية» أدت إلى نوع من العزلة السياسية للصين على الصعيد الدولي ونزوعها إلى فرض عزلة على نفسها من خلال سياسات عديدة أهمها ركن التنمية الداخلية.

ولهذا وبدأ من عام ١٩٥٦م، ظهرت تغييرات كثيرة في العقيدة الماركسية بدأت بإعلان «ماو» عن مبدأ «دع مائة وردة تتفتح، ودع مائة تيار فكري تنهض للتنافس فيما بينها»، وإستمرت بظهور حركات من قبيل «الحركة الكبرى إلى الأمام» و«الكفاح التعليمي الاشتراكي» و«الثورة الثقافية» و«مكافحة الثوريين للبراغماتيين».

وكانت نتيجة سياسة «دع مائة وردة تتفتح» هو ظهور نغمة الحريات الاجتماعية في مجالات العلوم والفن والأدب والاجتماع، وهذه بدورها أوجدت نوعا من التفكير الحر في الجامعات انقلب ضد منهج «ماو».

(١) أول من إستخدم هذا المصطلح لتوضيح الصفات الشيطانية والاستكبارية للحكومة الأمريكية هو الإمام الخميني رحمه الله حيث ورد ذلك ـ للمرة الأولى ـ في خطابه الذي ألقاه بعد يوم واحد من احتلال وكر الجاسوسية الأمريكية في إيران (السفارة الأمريكية في طهران) ضمن توضيحه لحديث مروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فوصف الحكومة الأمريكية بأنها «الشيطان الأكبر»، وكرر هذا الوصف أربع مرات في الخطاب المذكور الذي ألقاه بتاريخ (٥ نوفمبر ١٩٧٩م).

إن الحكومات الحليفة لكم والتي تخفق قلوبها لمصالح أوطانها وشعوبها لن تكون على استعداد ــ بعد الآن ــ لهدر ثرواتها ــ بكلا نوعيها الجوفي وغيره ــ من أجل إثبات نجاح الشيوعية بعد ما وصل صرير تهشم عظام الشيوعية إلى أسماع أبناء تلك البلدان.

السيد غورباتشوف...

عندما ارتفع نداء «الله أكبر» وإعلان الشهادة برسالة خاتم الأنبياءﷺ من مآذن المساجد في بعض جمهورياتكم، فجر دموع الشوق في أعين أنصار الإسلام المحمدي الأصيل كافة؟ الأمر الذي ألزمني أن أذكركم بضرورة إعادة النظر في الفلسفتين المادية والإلهية.

لقد وضع الماديون[1] في فلسفتهم تجاه قضايا الكون، «الحس» معيارا للمعرفة؟ فاعتبروا الشيء غير المحسوس خارجا عن دائرة العلم، واعتبروا الوجود قرين المادة الملازم لها، فما لا مادة له لا

---

(١) المقصود من الفلسفة هو طبيعة نظرة الإنسان إلى عالم الوجود وطبيعة تفسيره لموجودات العالم والعلاقات فيما بينها وماهية مبدأها ومنتهاها، وهي لا تخرج عن قسمين رئيسيين: الفلسفة المادية والفلسفة الإلهية.

١ ــ فعلى أساس الأولى ينحصر عالم الوجود بالمادة وخواصها وآثارها وكيفية ارتباطها، وعلى هذا الأساس يكون ظهور كافة الظواهر الوجودية التي يجب أن تفسر على ضوء خواص المادة.

أما الأمور المجردة وما وراء الطبيعة فهي ــ وفق هذه الفلسفة ــ من ابتداع الوهم والخيال، فما من شيء خارج المادة وآثارها. ونتيجة هذا النمط من التفكير هي أن لا بداية ولا نهاية لهذا الوجود المادي فلا غاية له ولا هدف، وأن الصورة الحالية للعالم ناتجة من الفعل ورد الفعل الحادث في المادة على نحو الصدفة، وستزول في يوم ما بنفس الطريقة وتظهر صورة أخرى، والإنسان أيضاً غير مستثنى من هذا الحكم، فهو يأتي إلى الدنيا بدون هدف، ويرحل عنها بدون غاية، وأن البحث عن الكمال والرقي للإنسان خارج إطار المادة وحياتها المحدودة هو ضرب من الخيال لا أكثر.

٢ــ أما على ضوء الفلسفة الإلهية، فان نظام الوجود لا ينحصر بالمادة والأمور المحسوسة، بل إن العالم والوجود حقيقة تشمل المادة وغيرها، فهناك عالم فوق الطبيعة والمادة، منزه عن خواصها وأثارها، لا تطاله التغييرات الحاصلة في عالم الطبيعة.

وعلى رأس وجود كافة الموجودات (المادية وغير المادية) هناك «مبدأ» وجوده مستغل وغني عن الغير وهو حاو لجميع الكمالات بصورتها المطلقة، في حين أن جميع الموجودات الأخرى غير مستقلة ـ في الخواص والكمالات، وفى الوجود والبقاء ــ فهي محتاجة في كل ذلك لذاك «المبدأ».

وجود له. وعليه، اعتبروا ـ طبعا ـ أن عالم الغيب ـ كوجود الله تبارك وتعالى والوحي والنبوة والمعاد ـــ ضربا من الأساطير. في حين أن معيار المعرفة في الفلسفة الإلهية يشمل «الحس والعقل» فيدخل «المعقول» (المدرك بالعقل) دائرة العلم حتى لو انعدم إدراكه بالحس، لذا فإن الوجود يشمل عالمي الغيب والشهادة؟ فبالإمكان أن يكون «لما لا مادة له» جود، وكما أن الوجود المادي يستند إلى «المجرد»[1]، كذلك حال المعرفة الحسية فهي مستندة على المعرفة العقلية[1].

وعليه فإن جميع الموجودات ـــ ومنها الإنسان ـــ متحركة نحو المقصد الذي هو معاد الجميع حيث تبدأ نمطا آخر من الحياة، وعلى هذا الأساس فللعالم هدف وكذلك حال الإنسان. والعالم ليس أعمى ولا أصم، ولم يوجد من خلال الصدفة، ولن يزول بصدفة ولا يتغير بها، فالحاكم على أنحاء الوجود، هو علم وحكمة وارادة ذات مطلقة هي العالم المطلق والقادر المطلق والحكيم المطلق.

(١) يتم إدراك الإنسان للعالم الخارجي عن طريق الحس، حيث يدرك الحس المعاني الجزئية وينقلها إلى الذهن الذي يلاحظ الأمور الجزئية المشتركة وينتزع المعنى المشترك من تلك المصاديق، ويوجد بالتالي المفهوم الكلي من خلال ذلك.

فمثلا من خلال إدراك الحس لأفراد «الإنسان» ـــ وهم المصاديق الجزئية نظير، علي، حسن... الخ التي ينطبق كل منها على فرد واحد في الخارج ـــ يقوم الذهن فيما بعد بانتزاع المفهوم المشترك من هذه المصاديق وهو مفهوم «الإنسان» ثم يحمل هذا المفهوم على أولئك الأفراد فردا فردا، فيقول: علي إنسان، حسن إنسان... الخ، وهكذا الحال مع سائر المفاهيم الكلية الأخرى.

ومثل هذا المفهوم الكلي الذي يمكن أن يصدق على جميع الأفراد الخارجيين ويشكل المفهوم المشترك بينهم، يسمى «الكلي»، أما الذي له وجود في الخارج فهو المصاديق الجزئية. فالإنسان في الخارج تلازمه دائما المادة ولوازمها كالشكل والمقدار وما إلى ذلك، وطبيعي أن المادة ولوازمها تصدق ـ بالصورة الخاصة ـ على فرد واحد فقط، وصدقها على فرد آخر يستلزم مادة أخرى بخصوصيات أخرى، إذن فالمصاديق الخارجية هي جزئية على الدوام، في حين أن المفهوم المشترك لنفس هذه المصاديق الخارجية يمكن أن يكون موجودا في الذهن بالمادة ولوازمها. إذن فـ «الكلي» هو معنى عقلي يحصل بنوع من التجريد والانتزاع الذهني من المصاديق الخارجية.

وعليه، فالذهن ينتزع المعاني الكلية والمعقولة من تلك الأمور الجزئية التي يدركها الحس والتجارب التي يوجدها في الذهن على نحو هو في الواقع نوع من التصوير، فمثلا من خلال ترتب الأمور المتوالية والحكم بعدم تواليها على نحو الصدفة يحصل الذهن على أصل «العلية». وعليه فالقوانين الكلية هي في الواقع «حكم» يحصل من إيجاد الإرتباط المنطقي بين الأمور الجزئية وكشف الروابط الحقيقية والذاتية فيما بينها.

والقرآن الكريم ينتقد أساس التفكير والفلسفة المادية ويرد على الذين يتوهمون عدم وجود الله استنادا على أنه لو كان موجودا لشوهد ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢]، يرد عليهم قائلا ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٣].

القوانين الكلية هي عقلية إذن، لأن عمل الحس ينحصر في تصوير الأمور الجزئية، كما أن التجربة توضح فقط توالي الأمور وترتب الأمر الذي نسميه «أثرا» و«معلولا» على الأمر الذي نسميه مؤثرا أو علة. وبعبارة أخرى فإن الحس والتجربة تبين فقط أن هذا الأمر يحدث بعد هذا الأمر، أما الحكم بأن هذا هو علة ذاك، وانتزاع القانون الكلي من ذلك، فهو أمر عقلي وليس من عمل الحس.

(١) إن امتلاك الحس وأدواته يمثل شرطا أوليا وأساسيا للمعرفة والادراك وكسب العلم بالدائرة الخارجية عن الإنسان، فالحس هو الذي يأخذ المواد الأولية من المحيط الخارجي وينقلها إلى الذهن، فالبصر مثلا ينقل أشكال الأشياء ومقاديرها؛ أما ايجاد الارتباط المنطقي المعقول بين تلك المواد الأولية واستخلاص النتيجة منها فهو أمر لا يستند إلى الحس، لأن غاية عمل الحس هو أن ينقل إلى الذهن توالي وتعاقب الأمور المختلفة التي يراها ويسمعها ويحس بها.

أما الذي يحكم بشأن هل إن الرابطة بين هذه الظواهر المتوالية والمتعاقبة ذاتية أم واقعية، فهو خارج عن الحس الذي لا شأن له بإصدار مثل هذا الحكم. فمثلا: الحس يدرك أثر الشفاء بعد إستخدام الدواء، وتعاقب هذا الأثر بعد كل استخدام للدواء، يوجد من خلال التكرار ــ تجربة في الذهن، فيظهر في الذهن الحكم بأن الدواء هو علة الشفاء، ولكن هذا الحكم ــ وكما هو بديهي ـ لا يتحصل ما لم يكن هناك في الذهن قياس خفي يقول بأن ترتب أثر الشفاء على استخدام الدواء ــ مكررا ــ لا يمكن أن يكون أمرا واقعا على نحو الصدفة. وعليه فــ «الدواء هو سبب وعلة الشفاء».

إذن فالنتيجة الحاصلة من المقدمات التي أوجدها الحس، تستند إلى أمور عقلية وأحكام كلية صادرة عن العقل، ثم وبعد إعداد التجربة من خلال الحس، تعد هذه الأمور والأحكام العقلية مقدمة أخرى تكون نتيجتها هي صدور ذلك الحكم؟ وبعبارة أخرى، ففي أنواع القياس البرهاني إذا فرضنا أن صغرى القياس منتزعة من الخارج بواسطة الحس، فيجب أن تضم إلى كبرى القياس الكلية ـ والتي هي حكم عقلي ـ لكي يمكن استخلاص النتيجة.

ولولا وجود القوانين العقلية الكلية ــ ومنها البديهيات الأولية (كاستحالة اجتماع النقيضين مثلا) ــ وكذلك القياسات الخفية، لظلت معلومات الإنسان على شكل ركام من المواد الأولية التي لا يكون بينها في الذهن أي ارتباط وبالتالي لا تحصل منها نتيجة.

(٢) سورة البقر، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

الملحق الثاني

ملحق خاص بالإمام المنتظر صاحب العصر والزمان ﷻ

أوصاف وخصوصيات صاحب العصر والزمان ﷻ

رقابة الإمام على العالم

نحن نفخر بأنَّ الأئمة المعصومين ﷺ بدءً من علي بن أبي طالب ﷺ، وانتهاءً بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان ﷻ الحي الناظر على الأمور بقدرة الله عز وجل هم أئمتنا.

واسطة الفيض وبركات الحق تعالى

إنَّ ولي الله الأعظم وبقية الله في أرضه ﷻ هو واسطة الفيض، وعناية الحق تعالى، وإنَّ دعائه المبارك سبب لهداية أمَّة جده رسول الله ﷺ.

هيمنة خاتم الولاية العامَّة على جميع الموجودات

كما أنَّ للرسول الأكرم ﷺ بحسب الواقع ولاية على جميع الموجودات في عالم الوجود، كذلك للإمام المهدي ﷻ ولاية على ذلك أيضاً، لكن الرسول خاتم الرسل وخاتم الولاية العامّة بالأصالة، والإمام المهدي خاتم الولاية العامّة بالتّبع.

سرمدية الأسرار الإلهية

لو علمنا بأسرار (ليلة القدر) و(نزول الملائكة) فيها والأسرار المتعلّقة بالإمام ولي الله الأعظم صاحب الزمان ﷻ ـ لأنَّ هذا المعنى ينطبق عليه أيضاً ـ فسوف تُذلل جميع الصعاب أمامنا.

سلطنة الإمام ﷻ وإحاطته بجميع تغيرات وتقلّبات عالم الطبيعة

بما أنَّ (ليلة القدر) هي موضع الاهتمام التام لولي الله الكامل، وظهور سلطنته الملكوتية، فسوف تحدث عند حلولها تغيّرات وتحوّلات في عالم الخلق، ناتجة عن الوجود الملكوتي للروح القدسية للولي الكامل وإمام العصر وقطب عالم الإمكان ـ مولانا وسيدنا وإمامنا وهادينا بقية الله في الأرضين،

الحجة بن الحسن العسكري أرواحنا فداه ـ أي إنّه يمتلك إرادة في إبطاء أو تسريع حركةِ أيّ جزئية من جزئيات الطبيعة، وتوسعة وتضييق أيّ رزقٍ، وهذه الإرادة هي إرادة الحقّ تبارك تعالى، وظلُّ وشعاعُ إرادته الأزلية، وتابعة لأوامره الإلهية.

الإنسان الكامل عصارة جميع الموجودات

لقد ذكروا أنّ كلمة (العصر) في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾؛ تعني الإنسان الكامل، الذي هو إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ أي عصارة جميع الموجودات، وإنّ القَسَم بعصارة جميع الموجودات؛ يعني القَسَم بالإنسان الكامل.

وارث النبوّة وعصارة الخلق

إنّ صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هو إمام الأمّة وعصارة الخلق، ووارث الأنبياء عليهم السلام.

ذخيرة الله للإنسانية

علينا بتهيئة أنفسنا من أجل ظهور الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، علماً أننا ليس لنا الحقّ في جعل عنوان (ولي الفقيه) مقاراناً لوجوده الشريف، فضلاً عن أننا لا نستطيع أن نقول هو الأول لأننا لا نتمكن أن نجعل له ثاني، بل إننا لا نستطيع أن نجعل له وصفاً، سوى أنّه المهدي الموعود، الذي ادّخره الله تعالى للبشر.

راية الحرية الإنسانية

إنّ الإمام بقية الله أرواحنا فداه هو ذخر الإمامة، وأوحد العدالة الأزلية، والراية الكبرى لتحرر الإنسانية من قيود ظلم وجور القوى المستكبرة.

صحيفة عرض الأعمال على الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

إنّ ما نقوم به من معاصي يُخجل صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فعندما تُحمل له سجلات ذنوبنا ـ التي تقوم بحملها ملائكة الله تعالى ـ ويَنْظر بما كُتب فيها من معاصي شيعته ـ ونحن من شيعته ـ فسوف يؤلمه ذلك.

زوال الخلافات في زمن ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

إننا نأمل أن تكون لدينا قوّة إسلامية عادلة، تلجأ الى منطق العدل، لا منطق السيف... ولهذا ينبغي علينا البحث عن هذه القوّة التي يتّفق عليها جميع أفراد البشر.

لقد وعدنا الله تعالى بأنّ الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه سوف يظهر يوماً من الأيام لتزول خلافاتنا هذه، وتشمل الكل إخوّة واحدة، ولا يبقى مكان لمنطق البطش والطغيان.

وجود المعصية في زمان الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

لا يمكن أن يتحقق الصواب مباشرةً من دون وقوع الخطأ؛ حتى في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد وقعت أخطاء أيضاً.

ولهذا علينا أن لا نتوقع أن نُصبح يوماً من الأيام فنجد كل شيء على ما يرام، وحتى عندما يريد صاحب الزمان عجل الله فرجه أن يجري العدالة بكل ما أوتي من قوَّة حين ظهوره، يتعذّر على النظام أن يكون بالصورة التي لا يُرتكب فيها أي خطأ ـ وإن كان ذلك سراً ـ من قبل أي أحد، لقد ورد في الروايات ما هو قريب من هذا المعنى، كمضمون الرواية التي تشير إلى أنّ بعض فقهاء عصره يقومون بمخالفته. بناءً على ذلك، فمن الخطأ أن نعتبر ما يرتكبه القاضي أو القائد الفلاني ـ من أصحاب الاتجاهات المنحرفة ـ من أخطاء، من الأمور التي يمكن أن تشكِّل خطراً كبيراً على النظام.

ولهذا فإنّ ما كان يرتكبه بعض القضاة والقادة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام من أخطاء، أمرٌ لا محيص منه.

تكفير علماء الدين للإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

سوف يأتي اليوم الذي يظهر فيه ولي الله الأعظم صاحب الأمر عجل الله فرجه ليصدع بصوت العدالة في الكعبة المكرّمة، وينادي على خلاف ما يرغب به الظلمة والكافرون الذين منهم علماء الدين ممن يقوم بتكفيره، ويتخذ من الظالمين عوناً له.

تهيئة الأرضية لإشاعة الفساد

إنَّ الفساد كان موجوداً في السابق، ويوجد الآن، وسيوجد في المستقبل، نعم، سوف تـدير الحكومـة في زمان الإمام صاحب العصر عجل الله فرجه قوّة واحدة، تقوم بنشر العدالة الاجتماعية في جميـع أنحـاء العـالم، وهذا لا يعني أنَّ طبيعة الناس سوف تتغير، بل إنَّ الناس هم الناس، منهم الصالحون، ومنهم الطالحون، إلا أنَّ الطالحين سوف لا يتمكّنون من القيام بارتكاب الجرائم.

الجهاد والتضحية من أجل إصلاح العالم

إنَّ من الخطأ أن تتوقعوا أن كل الأمور تصبح طبقاً للإسلام والأحكام الإلهيـة في ليلـة وضحاها، فلم يكن قد حصل أن حدثت مثل هذه المعجزة على امتداد التاريخ الإنساني، وسـوف لـن تحـدث في المستقبل أيضاً، حتى مع ظهور مصلح العالم، فهو لا يقوم بإصلاح العالم في يوم واحـد، بـل لابـد مـن مساعي حثيثة وتضحيات؛ من أجل القضاء على الظلمة وإقصائهم.

الإمام المهدي عجل الله فرجه مُنفّذ الشريعة ومجدّدها

عندما نتكلم عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي يمثّل القوة التنفيذيـة للإسـلام، ونقـول: سـوف يُنـشر العدل في زمانه، وهو المعـنى المـذكور في الأخبـار الـواردة علـى لـسان الرسـول صلى الله عليه وآله والأئمـة عليهم السلام كقوله صلى الله عليه وآله: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً».

كذلك نقول ونكرر القول فيما يتعلق بذلك: بأنَّ الأنبياء لم يوفّقوا لتنفيذ أهدافهم، وسوف يأتي الله تعالى بشخص في آخر الزمان يقوم بتنفيذها، إلا أنَّ بعض المخدوعين إمّا ينـوون خدمـة الأجانـب أو يقومون بتأويل الأقوال ـ علـى أسـاس غـير علمـي ـ كمـن يقـول: إنّ الإمـام المهـدي عجل الله فرجه يقـوم بإكمال الشريعة.

وإنّنا نرى أنَّ ما يقوله هؤلاء، كلام ممجوج جداً؛ لأننا نعتقد بـأنَّ الإمـام المهـدي عجل الله فرجه هـو أحـد الأشخاص التابعين للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو قرّة عـين رسـول الله صلى الله عليه وآله، الـذي يقـوم بتنفيـذ أحكامه التي جاء بها صلى الله عليه وآله.

معنى «يأتي بكتاب جديد»

عندما يظهر الإمام الحجة ﷺ، يأتي بأحكام غير هذه الأحكام التي حصلنا عليها عن طريق الاجتهادات الناقصة، وغير الأصول التي أجريناها في الفقه، أو الأمور التي تحقّقت عن طريق الآراء الظنية للمجتهدين، فهو (يأتي بكتاب جديد) لأنّه لا يعمل على طبق الأسلوب الذي اتخذه الفقهاء في استنباطاتهم.

نداء التوحيد من بيت الله

لقد نادى إبراهيم الخليل عليه السلام في أول الزمان نداء التوحيد، ونادى بهذا النداء حبيب الله ـ محمد ﷺ ـ وكذلك في آخر الزمان سوف ينادي به ولده وقرّة عينه المهدي الموعود عجل الله فرجه من الكعبة المكرمة كما ذُكر على لسان الأديان وبإتفاق المسلمين...

انتظار الفرج، انتظار لقدرة العالم الإسلامي

إننا جميعاً ننتظر فرج الإمام المهدي ﷺ، فينبغي أن نعمل ونسعى خلال هذا الانتظار؛ لأنّ انتظار الفرج، هو انتظار لقدرة الإسلام، وعلينا أن نبذل جهودنا من أجل تحقق هذه القدرة في العالم، وتهيئة مقدمات الظهور ـ إن شاء الله تعالى ـ.

رفع الظلم والجور من علامات الظهور

سوف نطبِّق الإسلام المحمّدي الأصيل في هذا البلد ـ إنّ شاء الله تعالى ـ وكذلك سيقوم بذلك مسلمون العالم في بلدانهم، ليكون العالم عالماً إسلامياً، بحيث لا يبقى مكانٌ للتوسّل بالقوّة والظلم والجور، ويكون ذلك مقدمة لظهور صاحب الأمر عجل الله فرجه.

تقوية الإيمان من علامات الظهور

لقد شمل الله تعالى هذا الشعب برعايته، وعزّز الإيمان في قلوب أفراده، وهذه إحدى علامات ظهور الإمام بقية الله الأعظم عجل الله فرجه.

نقطة انطلاق الثورة الإسلامية العالمية

إنَّ ثورة الشعب في إيران هي نقطة انطلاق للثورة العالمية الإسلامية الكبرى تحت لواء الإمام الحجة عجل الله فرجه، التي سوف يهبها الله تعالى لجميع شعوب العالم الإسلامية وغير الإسلامية، ويجعل فرج الإمام عجل الله فرجه وظهوره على أثر ذلك.

أتمنّى أن تكون هذه الثورة، بارقة أمل إلهية، وشرارة تولّد انفجاراً عظيماً بين أوساط الشعوب التي ترزخ تحت الظلم، لتنتهي بطلوع فجر الثورة المباركة للإمام بقية الله أرواحنا فداه.

تصدير الثورة يمهّد الأرضية لظهور منجي العالم

سوف نقطع ـ بحول الله تعالى ـ الأيادي الغازية والجائرة لجميع الظلمة في البلدان الإسلامية، ونقضي على سيطرة وتسلّط وظلم الطامعين من خلال تصدير ثورتنا، الذي تعتبر في واقع الأمر تصدير للحقّ، وبيان لشريعة الرسول صلى الله عليه وآله، التي نقوم من خلالها بتمهيد الطريق ـ بعون الله تعالى ـ لظهور منجي البشرية ومصلحها، من أجل تحقيق إمامة الحق المطلقة لصاحب الزمان عجل الله فرجه.

النهضة والتحرّك الشامل للمستضعفين

لقد أصبحنا نلمح اليوم ـ أكثر من ذي قبل ـ المستقبل المأمول لصدور الثورة الإسلامية في عالم المستضعفين والمظلومين، وبدأت هناك حركة نشطة لمستضعفي ومظلومي العالم ضد المستكبرين والجبابرة، وهي آخذة في الاتساع، ولقد بدأت ملامح الأمل واضحة للأيام المقبلة، وأصبح الوعد الإلهي يقترب أكثر فأكثر، وكأنّما قد إستعد العالم لطلوع شمس الولاية من أفق مكة المكرّمة وكعبةِ آمال المحرومين وحكومة المستضعفين.

إنَّ أملنا هو أن ينتفض المسلمون والمستضعفون في العالم ويأخذوا حقَّهم من المستكبرين، ويهيّأوا الأرضية لتعجيل فرج آل محمد صلى الله عليه وآله.

التصدّي للظلم ووحدة المسلمين

إنَّ وقوف الإنسان بوجه الظلم وتصدّيه للظالمين، وتوجيه الضربات لهم، وتضييقه الخناق للحيلولة دون ازدياد ظلمهم، أمرٌ يستحق التقدير.

إننا مكلّفون أيّها السادة! فليس الأمر كما يعتقد البعض من أنَّ علينا الجلوس في بيوتنا، والقبض على السُبحة وترديد قول: (اللهم عجّل فرجه) باعتبارنا ننتظر ظهور الإمام صاحب الزمان ﷺ، بل إنَّ تعجيل الظهور لابد أن يتمّ من خلال أعمالكم، فعليكم تهيئة الأرضية لقدومه، ولا يكون ذلك إلا باجتماع المسلمين ووحدتهم، وهذا هو الذي يؤدي إلى ظهور الإمام ـ إن شاء الله تعالى ـ.

تأسيس الحكومة الشاملة، كمقدّمة لولاية المستضعفين

على الجميع أن يلتفّوا حول راية الإسلام الخفّاقة، وينهضوا لنصرة محرومي العالم ضد أعداء الإسلام، ويتّجهوا نحو تحقيق حكومة إسلامية وجمهوريات حرّة ومستقلة، تقوم بشلّ حركة جميع مستكبري العالم، وتجعل ولاية الأرض إرثاً لجميع المستضعفين.

نحن ننتظر مجيء اليوم الذي وعدنا به الله تعالى، والذي من خلاله يتحقق اتساع الدولة الإسلامية وانتشار العدالة الإسلامية في جميع أرجاء العالم؛ لأنَّ العدالة الإسلامية لا تتحقق إلا بعد أن تحكم جميع الدول على طبق الموازين الإسلامية، ونأمل أن يُعمْل على تهيئة هذا الأمر بالتدريج، إلى أن يصل الوقت الذي تنتشر فيه العدالة الإسلامية في كل أرجاء المعمورة، وتصبح جميع الحكومات حكومات عادلة.

حاكمية العدل الإلهي في العالم

نحن المنتظرون، مكلّفون بالإستعداد لتهيئة الأجواء لقدومه المبارك ﷺ، ليتسنى لنا تحكيم العدل الإلهي من خلال السعي والإجتهاد في بلدنا المتعلّق بصاحب العصرﷺ، وتجنُّب التفرقة والنفاق والخداع، مع الأخذ بعين الإعتبار رضا الله تعالى، والإمتثال للقانون من قبلنا جميعاً، والسعي من أجل تقدّم الثورة الإسلامية من خلال التحلّي بالمحبّة والأخوة والمساواة، والإعتقاد بأنَّ الله تعالى مطلّع على جميع حركاتنا وسكناتنا، وعلينا كذلك أن نتجنّب مخالفة القوانين الإسلامية.

أتمنّى للجميع أن يكونوا من أنصار الإمام المهدي ﷺ، وأن نعمل سويّةً تحت لواء الإمام صاحب العصر ﷺ، بما كلّفنا به الإسلام والقرآن، ونعكس المحتوى الواقعي لهما، ونضع الألفاظ في معانيها الحقيقية.

القيام لله، ونهج الإمام عليه السلام وشيعته

لعلّ تعبير (القائم) الذي خُصّ به الإمام صاحب الزمان عليه السلام، يرتبط بقول الله تعالى في الآية الشريفة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾؛ أي أنّه يجب على الجميع القيام؛ باعتبار أنّ أعلى قيام هو القيام الواحد. ذلك القيام المتمثّل بقيام الإمام الغائب عليه السلام، الذي لابد أن يتبعه كل قيام؛ لأنّه (قيامٌ لله).

إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾؛ أي ـ يا محمّد صلى الله عليه وآله ـ قل لأمّتك، إنّما أعِظُكُم بواحدةٍ، وهذه الموعظة هي القيام لله، فقوموا لله، وإنّ الإمام المهدي عليه السلام يقوم لله، وإنّ القيام والإخلاص لله يكون من قبله لا من غيره، إلا أنّ على الشيعة المحترمين أن ينصروه؛ وذلك بأن يقوموا لله، ومن أجل الله.

آراء وشبهات حول انتظار الفرج

عدم الاقتصار على الانتظار فقط

أتمنى أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه الوعد الإلهي المحتوم ـ إن شاء الله تعالى ـ ويرث المستضعفون الأرض، فإنّ هذا هو وعد الله تعالى الذي لا يتخلّف، إلا أننا هل ندركه حين ظهوره أو لا ندركه فإنّ ذلك بيد الله تعالى، وربما تتهيأ الأسباب في برهة قليلة من الزمن، وتكتحل عيوننا بطلعته البهية.

إنّ ما يقع على عاتقنا من تكليف في هذا العصر هو أمر مهم؛ فنحن جميعاً ننتظر الوجود المبارك للإمام المهدي عليه السلام، إلا أنّه لا يصحّ أن ننتظر فقط؛ لأنّ الكثيرين يعملون بصورة لا يمكن أن نطلق عليها انتظاراً.

استنتاجان خاطئان حول انتظار الفرج

إنّ ما أريد أن أبيّنه لكم اليوم هو استنتاجات تتعلق بانتظار الفرج، وسوف أتعرض إلى بعضها؛ فمن جملتها أن البعض يعتقد أن انتظار الفرج هو الجلوس في المسجد أو الحسينية أو المنزل، والقيام بالدعاء والتوسّل إلى الله تعالى بتعجيل فرج صاحب الأمر عليه السلام، ويعتبر هؤلاء أفراد صالحين بما أنّهم يمتلكون مثل هذا الاعتقاد.

بل إنَّ منهم ممن كان ينتظر الإمام صاحب الزمان ﷺ ـ كأحد الرجال الصالحين ممن تعرّفت عليه مسبقاً ـ قد اشترى فرساً، وكان يمتلك سيفاً أيضاً لهذا الغرض؛ فإنَّ مثل هؤلاء كانوا يعملون بتكاليفهم الشرعية، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إلا أنَّ خطأهم هو عدم قيامهم بأي عمل آخر سوى ذلك، ولم يكونوا يفكروا بالقيام بعمل مؤثرٍ يخدم هذا الأمر الهام.

أما البعض الآخر فقد كانوا يؤمنون بانتظار الفرج، إلا أنَّهم يقولون إننا غير مسؤولين عمَّا يحدث في العالم، أو ما يجري لشعوبه أو شعبنا؛ بل إنَّما علينا القيام بتكاليفنا الخاصة، و ـ إن شاء الله تعالى ـ سوف يظهر الإمام المهدي ﷺ فيتصدّى للأمور، ويقوم بإصلاحها.

ويعتقدون كذلك أن تكليفهم هو القيام بالدعاء للإمام ﷺ ولتعجيل فرجه وحسب، وغير مكلَّفين بما يجري في العالم، أو في بلدهم، وهؤلاء أيضاً كانوا يُعدّون من الصالحين.

الردّ على هذه الاستنتاجات وبيان عدم صحّتها إنَّ البعض يعتقد «أنَّ الإمام صاحب الزمان ﷺ لو تيقّن أنَّ الوقت قد حان لظهوره فسوف يظهر».

ولقد كان يقول أحد العلماء: «إنَّ قلبي لم يحترق على الإسلام أكثر من صاحب الزمان ﷺ فهو ينظر إلى ما يجري في العالم من فساد، وهو يتكفل بذلك، فما الداعي لأن أقوم أنا بذلك»!

وهذا منطق الأشخاص الذين يريدون الهروب من المسؤولية، وإنَّ الإسلام بريء منهم، ولا يحسب لهم أي حساب؛ لأنَّهم يرغبون بالتخلّي عن الحقّ، واختلاق الأباطيل؛ ولهذا تجدهم يقومون بجمع روايتين من هذا المكان وروايتين من مكان آخر من أجل مخالفة الحقّ فمثلاً يقولون: «يجوز التواطؤ مع كلّ السلاطين والدعاء لهم»، مع أنَّ هذا يخالف القرآن الكريم، ومن يعتقد بذلك فكأنه لم يقرأ القرآن الكريم؛ لأنَّ من المفترض أنْ تضرب الروايات بعرض الجدار وإن بلغت المئة لأنَّها تعارض القرآن الكريم، وكذلك تعارض سيرة الأنبياء، بل ينبغي أن لا نُطلق عليها عنوان الرواية.

ولو تطَّلعون لرأيتم أنَّ هناك روايات كثيرة تنهى عن التودد للسلاطين الظلمة كقول الإمام موسى بن جعفر ﷺ لصفوان الجمّال: «من أحبَّ بقاؤهم فهو منهم ومن كان منهم كان ورد النّار»، وهل يمكن أن يرغب المسلم ببقاء أحد الظالمين القتلة؟ أو يتودد لظالم يقوم بقتل الناس أو العلماء؟ مع أنَّ الحديث الشريف يقول: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»، فمن يفعل ذلك هيهات أن يصدق بقوله: «لا إله إلا الله».

أدوات الاستعداد من أجل التصدّي للظلم

إنَّ من الأمور المستحبة التي ذكرتها بعض الروايات ـ ولا أعلم مدى سلامتها من سقمها ـ حيازة المؤمنين للسلاح وهم ينتظرون الإمام المهدي عجل الله فرجه؛ أي أنَّ عليهم تهيئة السلاح وحمله من أجل التصدّي للظلم والجور، لا طرحه جانباً والإقتصار على الإنتظار؛ لأنَّ من أهم الأمور التي كُلّفنا بها هي النهي عن المنكر، فنحن جميعاً مكلّفون بالتصدّي للأنظمة الظالمة، وخصوصاً الأنظمة التي تتعارض مع أساس الإسلام.

إلا أنَّ البعض كان يقول: يجب أن يُملأ العالم بالمعصية لكي يظهر الإمام الغائب عجل الله فرجه؛ وبناءً على ذلك علينا أن لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر، ليتسنى للناس أن تفعل ما بدى لها، فتزداد المعاصي ويقترب فرج الإمام عجل الله فرجه.

الاستنتاج الثالث: الإكثار من المعاصي من أجل تعجيل الفرج

إنَّ الأطروحة التي يعتقد بها البعض هي: وجوب حثّ النّاس للإكثار من المعاصي، بناءً على أنَّ ظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه يتوقف على ذلك، وإلا فما هو الأمر الذي يأتي من أجله الإمام عجل الله فرجه لولا ذلك؟

إنَّهم يعتقدون أنَّ سبب ظهوره هو رفع المعاصي التي يروّجون لها؛ ولهذا فلا بدّ من قيامهم بالمعاصي لكي يظهر!

تجميد الأحكام الإلهية ينافي ضروريات الدين

لاتقولوا اتركوا العمل إلى أن يظهر الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه، فهل يتسنى لكم ـ في أي حال من الأحول ـ أن تؤجلوا أداء الصلاة إلى زمان ظهوره عجل الله فرجه؟

إنَّ الحفاظ على الإسلام هو أوجب من الصلاة، فلا تتكلّموا بالمنطق الذي كان يتكلم به «حاكم مدينة خمين»! حيث كان يقول: لابد أن ننشر الفساد لكي يظهر صاحب الزمان عجل الله فرجه؛ أي أنّه لو لم تزدد المعاصي فلن يظهر الإمام عجل الله فرجه!

فلو كان إعتقادكم كإعتقاد بعض العوام المنحرفين، الذين يقولون إنَّ ظهـور ولي الله الأعظـم ﷺ يتوقف على السعي لتحقيق الكفر والظلم، لينتشر في العالم، وتتـهيأ مقـدمات الظهـور؛ فإنـا لله وإنـا إليه راجعون.

الاستنتاج الرابع: الدعوة لإشاعة الفساد

إنَّ هناك مجموعة، ذهبت بها مذاهب الإنحراف إلى أكثر من ذلك، فقـد كـانوا يقولـون: لابـد مـن الإكثار من المعاصي، ودعوة النـاس لهـا، مـن أجـل أن يُمـلأ العـالم بـالظلم والجـور، ليظهـر الإمـام الغائب ﷺ وهذه أيضاً إحدى المجاميع التي يوجد بينهم أشخاصٌ سذّج، ومنحرفون يثيرون ذلك مـن أجل الوصول إلى أهدافهم.

نشر الظلم من أجل تعجيل ظهور الإمام ﷺ

لو أنَّ الجمهورية الإسلامية يُقدّر لها الزوال ـ لا سمح الله ـ فإنَّ الإسلام ستُصيبه العزلة إلى الأبـد، فلا يتمكن من الحفاظ على رفعته بعد ذلك ـ ما عدى في زمان ظهور الإمام المهدي ﷺ ـــ ولعلكـم تعتقدون خطأً فتقولون كما يقول البعض: لابد لنا من إيجاد حكومة كافرة وظالمة؛ من أجـل أن يـزداد الفساد، ليظهر الإمام المهدي ﷺ!

حسناً، إنَّ هذه هي إحدى التوجّهات، ولعلكم لا تتصوّرون وجود مثل هـؤلاء الأفـراد، مـع أنَّهـم موجودون بل يوجد من يقول بعدم ضرورة وجود الحكومة العادلة، وإذا ما وجـدت الحكومـة فعلينـا التصدّي لها من أجل أن يظهر الإمام ﷺ!

ظهور هذا الفكر في عهد المقاومة

لقد كان البعض من المتنسِّكين الرجعيين، يعتبرون كلَّ شيء حراماً، ولم يكن هنـاك أحـدٌ يـستطيع الوقوف لمعارضتهم؛ وذلك عندما راج شعار فصل الدين عن السياسة، وأصـبح الفقـه مقتـصراً علـى الأحكام الفردية والعبادية في منطق الجهلة، كما أنَّ الفقيه أصبح لا يستطيع الخروج عن هـذه الـدائرة، ولا يُسمح له بالتدخُّل في أمور السياسة والحكومة.

وإنَّ أيّ شخصٍ كان لا يؤمن إيماناً قاطعاً بوجوب الوقوف ضدَّ تلـك الأفكـار، كـان يهـرب مـن ميدان المقاومة؛ استجابةً لضغوط وتهديدات المتنسِّكين الذين كانوا يروّجون إلى أنَّ الشاه هو ظـل الله في الأرض، أو يقولون بعدم إمكانية مقابلة المدفع والمدرَّعة بالأيادي العـزّل، أو يـدَّعون أنَّهـم غـير

مكلّفين بالجهاد والمقاومة، أو يتّخذون من دم من يجود بدمه ذريعة، فيقول قائلهم: من الذي يكون مسؤولاً عن دماء هؤلاء، إلا أنّ ما يُهبّط العزيمة أكثر من ذلك، حملهم للشعار المنحرف الذي يقول: إنّ تأسيس أيّ حكومة قبل ظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه أمرٌ باطل، بالإضافة إلى الكثير من الذرائع الواهية الأخرى.

لقد كنّا نواجه الكثير من المشاكل العصيبة التي لا يمكن التصدّي لها بالنصيحة أو الإضراب أو التبليغ، وقد كان الطريق الوحيد لحلّ ذلك المواجهة والتضحية وبذل الدّماء.

لقد كان المتنسّكون بالأمس يقولون ـ دون أن يشعروا بفداحة قولهم ـ: لا بدّ من فصل الدين عن السياسية، وإنّ التصدّي للشاه حرام، أما اليوم فهم يتّهمون مسؤولي النظام بإنتسابهم للشيوعية، مع العلم أنّهم كانوا بالأمس يعتقدون بأنّ بيع الخمور وإشاعة الفساد والفحشاء والفسق والفجور وتشكيل الحكومة الظالمة، تعتبر من الأمور المفيدة والسبل الممهدة لظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه، ومع أنّهم أخذوا ينادوا ـ يا للمسلمين ـ وذلك عندما يلمحوا مخالفة شرعية تظهر هنا أو هناك، مع أنّ المسؤولين كانوا يرفضون ذلك بشدّة.

ولقد حرّمت بالأمس الطائفة التي تُدعى «الحجّتيّة» المقاومة، وبذلوا كلّ مساعيهم من أجل جعل الإضرابات المتعلقة بزينة النصف من شعبان تصبُّ في صالح الشاه، ومع ذلك فهم يدّعون اليوم أنّهم ثوريون أكثر من أصحاب الثورة الحقيقيين، وإنّ الطائفة التي تُدعى «الولائيين» الذين أراقوا بالأمس ماء وجه الإسلام، وقصموا ظهر الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، بسكوتهم وتحجّرهم، ولم يبق من عنوان الولاية لديهم سوى ما يتعلّق بالتكسُّب والمعيشة، يعتبرون أنفسهم اليوم أصحاب الولاية ووارثيها، ومع أنّهم يتحسّرون على الولاية التي كانت في عهد الشاه.

الإستنتاج الخامس: اعتبار تأسيس الحكومة أمراً باطلاً في زمان الغيبة

هناك مجموعة أخرى كانت تدّعي أنّ تشكيل أيّ حكومة في زمان الغيبة يعتبر أمراً باطلاً؛ وإنّ هذه الحكومة تكون حكومة باطلة ومخالفة للإسلام، فهؤلاء لم يكونوا مخدوعين، بل هم مستكبرون، يعملون على خلاف ما يريده الإسلام، فيستشهدون ببعض الروايات من قبيل: «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله»، فيتصوّرون أنّ المقصود من الراية هي الحكومة، مع أنّ الروايات لا تشير إلى كل راية، بل

إلى الأشخاص الذين يرفعون راية المهدي ﷻ، بعنوان «المهدوية»، فإنَّ مثل هذه الراية هي راية ضلالة.

وعلى فرض ورود مثل هذه الروايات، أفهل تعني أنَّ التكليف يسقط عنا؟؛ أي ألم يكن معناها مخالفاً لضرورة الإسلام والقرآن؛ بإعتبار ذلك دعوة لإرتكاب الذنوب كمقدمة ـ لمجيء أي نبي ـ أو لظهور الإمام ﷻ؟!

محاربة الظلم والمعصية، هدف الإمام المهدي ﷻ

ما هو الهدف من ظهور الإمام الحجة ﷻ، عندما تشع أنواره على وجه البسيطة؟

إنه يظهر لأجل نشر العدالة، وتقوية الحكومة، والقضاء على الفساد.

وهل أنَّ تركنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيامنا بالترويج للفساد على خلاف ما تأمر به الآيات القرآنية الشريفة، يعجّل ظهور الإمام الحجة ﷻ؟ وما الذي يفعله الإمام حين ظهوره؟ وإذا كان الإمام ﷻ يظهر ليسقط التكليف عنَّا ويتحمَّل ما علينا من مسؤوليات، فهل هذا يعني أنَّنا لسنا مكلَّفين بأي واجب؟؛ أي أنَّ البشر ليس عليهم تكليف؛ بل إنَّ تكليفهم يقتصر على دعوة الناس للفساد؟

نستنتج من ذلك إنَّ بعض الجماعات ـ من المخادعين أو السذَّج ـ يعتقد بأنَّ علينا الجلوس والدعاء للظلمة ـ كالطاغية صدام ـ أي أنَّ كلَّ شخص يلعن صدام ـ بنظرهم ـ فقد عمل على خلاف التكليف؛ لأنَّ ذلك يؤدّي الى تأخير ظهور الإمام ﷻ! وإنَّ أي شخص يدعو لصدام، فإنَّه يعمل على زيادة الفساد ليظهر الإمام ﷻ؛ وهذا يعني أن علينا أن ندعو لأميركا والإتحاد السوفيتي، وأذنابهم من قبيل صدام وأمثاله، ليتسنى لهم إشاعة الظلم والجور في العالم، مما يؤدي إلى ظهور الإمام ﷻ!

إذاً فما الذي يفعله الإمام حين ظهوره على حسب ما يعتقده هؤلاء؟ يأتي الإمام ﷻ ليقضي على الظلم والجور؛ أي نفس الظلم والجور الذي ندعو له كي يتحقق، هو ما ينوي الإمام ﷻ القضاء عليه حين ظهوره.

نحن لو كنّا نمتلك القدرة الكافية، فعلينا السعي لإزالة جميع أنواع الظلم والجور الذي يعاني منه العالم، وهذا هو تكليفنا، إلا أننا لا نمتلك القدرة الكافية لتحقيق ذلك، والواقع أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ وهذا لا يعني أن تتخلوا عن مسؤولياتكم، أو لا يقع على عاتقكم تكليف آخر.

المعارضة لسقوط التكليف في أيّ زمان

إنّنا مكلّفون، وإنّ الذين يقولون بأنّ الحكومة ليست ضرورية؛ يهدفون إلى إشاعة الفوضى، مع أنّه لو بقيت إحدى الدول بلا حكومة ولا نظام لمدّة سنة واحدة، فسوف ينتشر الفساد فيها إلى الدرجة التي تمحى معها ملامح تلك الدولة.

إنّ الذين يعتقدون بعدم ضرورة الحكومة؛ يهدفون إلى تحقق الفوضى، وتقاتل الناس فيما بينهم، وظلم بعضهم للبعض الآخر، ظناً منهم أنّ ذلك يعجّل ظهور الإمام الغائب عجل الله فرجه؛ ولذلك هم يسألون ما الذي يقوم به الإمام عجل الله فرجه حين ظهوره؟

ويجيبون على ذلك بقولهم: ليرفع ما قمنا به من فساد!

فلو فعل ذلك شخص عاقل، ولم يكن سفيهاً أو مغرضاً ـ ومع عدم تدخّل يد السياسة التي تنوي خداعنا، وتهدف إلى منعنا من التدخّل بمجريات الأحداث، من أجل أن يأتي الأعداء فيفعلوا ما بدى لهم ـ فإنّ مثل ذلك الشخص يكون متهوراً جداً.

إلا أنّ المسألة هي أن يد السياسة كانت وراء ذلك، حيث قام الأعداء بإقناع الشعوب والمسلمين والمجتمعات العالمية الأخرى بمختلف طبقاتها، من أنّ السياسة ليست من وظائفكم، عليكم بالتوجّه إلى أعمالكم، واتركوا ما يتعلّق بالسياسة لأرباب السياسة.

إذاً فالجهلة والمغرضون يدعون الله تعالى من أجل أن يجعل الشعوب غافلة، ليتركوا السياسة بأيدي الحكومات الظالمة، كأمريكا والإتحاد السوفيتي وأذنابهم؛ ليقوموا بنهب كل ما لدينا ولدى المسلمين والمستضعفين من قدرات، وهم يتمنون أن نبقى مكتوفي الأيدي ونقول: لا ضرورة لوجود حكومة.

إنّ هذا كلام في منتهى الحماقة والغباوة، إلا أنّ البعض يستغلّه في خداع الأشخاص المغفّلين؛ من خلال السياسات، التي تروّج لدعوى أنّ الحكومة من اختصاص أرباب السياسة، وعلى الآخرين

الذهاب إلى المساجد والإنشغال بالصلاة! بإعتبار أن ليس لهم مصلحة في التدخّل في الشؤون السياسية.

الجذور الاستعمارية لترويج فكرة عدم ضرورة الحكومة

إنَّ الذين يقولون أنَّ حصول أي تقدم علمي أو تحقق أي حكومة، يعتبر خلاف انتظار الفرج، لا يفهمون ما يقولون، بل إنَّهم مخدوعون بهذا الكلام، لأنَّهم لا يعلمون أنَّ عدم وجود الحكومة؛ يعني تصارع الناس، وقتل بعضهم البعض الآخر، والتصرّف على خلاف ما تنص به الآيات الإلهية.

ولو فرضنا أنّ هناك مئتين رواية تتحدّث في هذا المجال، فلابد أن نضربها جميعها عرض الجدار؛ لأنَّها خلاف آيات القرآن؛ ولأنَّ مجيء أيِّ رواية تتعارض مع النهي عن المنكر، لابد من ضربها بعرض الجدار؛ مثل هذه الروايات لا يمكن العمل بها. هؤلاء السذّج لا يعلمون ما يقولون، عندما يعتقدون أنّ كلَّ حكومة باطلة!... فلو فرضنا عدم وجود أيادي للسياسة تعمل على ترويج هذه الأفكار من خلف الكواليس، لقلنا أنَّ هذا الفعل ناتج عن عقول الحمقى، إلا أنَّهم يفهمون ما الذي يقومون به، فهم يريدون العمل على تهميشنا.

ضرورة السعي من أجل تهيئة الأرضية للعدالة في العالم

طبعاً إننا لا نستطيع أن نملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ولو كنّا قادرين على ذلك لفعلنا، وبما أننا لا نقدر، فلابد من ظهور الإمام ﷺ.

إنَّ العالم اليوم يضجُّ بالظلم، وإنّكم تقطنون في بقعة من هذا العالم المليء بالظلم، إلا أننا قادرون على التصدِّي لهذا الظلم، وعلينا التصدِّي له، وهذا هو تكليفنا، فإنَّ ضروريات الإسلام والقرآن توجب علينا التحرّك من أجل القيام بكلّ شيء، إلا أننا لا نقوى على ذلك؛ ولأننا لا نتمكن من تحقيق كل شيء، فلا بد من ظهور الإمام المهدي ﷺ لتحقيق ذلك، لكن يجب علينا تهيئة الأرضية لذلك.

إنَّ تهيئة الأسباب معناه تواصل العمل، بحيث نعمل كل ما بوسعنا لتهيئة العالم لظهور الإمام المهدي ﷺ.

إنَّ هذه المصائب التي أخذت تحلّ بالمسلمين، وما يثار حولهم من سياسات خارجية، هي من أجل نهب ثرواتهم، والقضاء على عزّتهم، إلا أنَّ الكثيرين يُخدعون بأقاويل أرباب هذه السياسات.

ولعل الكثير منهم الآن يعتقدون بعدم ضرورة الحكومة الآن، وإنَّ زمان تحققها يجب أن يكون عند ظهور القائم عجل الله فرجه، وأيّ حكومة قبل زمان ظهوره فهي باطلة؛ ومعنى هذا الكلام أن تعم الفوضى في العالم، يموج بعضه في البعض الآخر، إلى أن يظهر الإمام الحجة عجل الله فرجه!

والواقع أنَّ تكليفنا هو إصلاح العالم إلى أن يظهر الإمام عجل الله فرجه.

الروايات التي يَستندون إليها في نفي ضرورة تشكيل الحكومة

إنَّ هذا الكاتب الجاهل ـ صاحب كتاب (أسرار ألف سنة) ـ أخذ ينسب أقوالاً واهية للدين والمتدينين في كتيّبه الفاسد، ويستنتج من خلالها نتائج غريبة، حيث يقول فيه: إنَّ ديننا يقول أنَّ كل دولة تقام قبل قيام القائم فهي باطلة، ويستشهد ببعض الروايات مثل: «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله».

ويقول أنّ عمل الحاكم والتعاون معه عديل الكفر ويستشهد بالرواية التي تقول: «سألته عن عمل السلطان فقال الدخول في أعمالهم، والعون له والسعي في حوائجهم عديل الكفر»، ويقول: إنَّ القتال مع غير الإمام كأكل الدم ولحم الخنزير؛ بل يزعم أنَّ هناك حديثاً صحيحاً ينهى عن الحرب مع الأعداء.

إنَّ هذا الكاتب أورد المطالب بصورة متشابكة، وخلط الحابل بالنابل، والصحيح بالسقيم، وأخذ يعترض بلا تعقّل.

إنَّ الأحاديث التي أوردها لا تتعلق بتشكيل الحكومة الربانية العادلة، التي يعتقد بضرورتها كل عاقل، بل إنّ في الرواية الأولى يوجد احتمالان:

أحدهما، أنّها بصدد الحديث عن أخبار ظهور صاحب الأمر عجل الله فرجه، وتتعلق بعلامات الظهور، ومعناها: إنَّ الرايات التي تُرفع قبل قيام القائم بعنوان (الإمامة) تكون باطلة، وإن كانت هذه الروايات قد تعرّضت إلى بعض علامات الظهور أيضاً.

والاحتمال الآخر أن يكون من قبيل التكهُّن بالحكومات التي تتسلم السلطة في العالم إلى زمان تحقق عصر الظهور، أي الحكومات التي لا تقوم بأداء المسؤولية الملقاة على عاتقها، وهذا ما حصل حتى يومنا هذا، فأيّ الحكومات حكمت بالعدل بعد حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يكن حاكمها طاغياً ويحكم بالحقّ؟

الأدلة التي تُثبت قول وفعل الأئمة عليهم السلام على تشكيل الحكومة والحفاظ عليها

ليس هناك تلازم بين رفض أحدهم للوضع الذي تقوم عليه إحدى السلطات الجائرة، أو عدم إمكانية شخص ما على إصلاح تلك الحكومة حتى قيام دولة الحق، وبين اعتقاده بعدم وجوب تأسيس حكومة عادلة، بل لو أنَّ شخصاً له إطلاع ولو بسيطاً عن رواياتنا، سوف يرى أنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ مع أنَّهم كانوا يعتبرون الحكومات التي في زمانهم حكومات جائرة، ومع ما عُرف عنهم من سلوك عند تعاملهم معها ـ لم يألوا جهداً في مجال تقديم الإرشادات من أجل الحفاظ على الأمَّة الإسلامية، وإبداء العون في المجال الفكري والعلمي، بالإضافة إلى أنَّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام كان لهم قدم السبق أيضاً في الفتوحات الإسلامية في زمان خلفاء الجور.

إنَّ ما يصرِّح به المطّلعون ويذكره التاريخ هو أنَّ الحروب المهمَّة والفتوحات البارزة التي حققتها جيوش الإسلام، لم تتحقق إلا على أيدي شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، أو من خلال الدعم البارز لهم.

إنَّكم تعلمون جميعاً أنَّ سلطة بني أميَّة هي من أقبح وأظلم السلطات في الإسلام، والجميع يعلم مقدار العداء وطبيعة الجور الذي كانوا يتعاملون به مع آل الرسول صلى الله عليه وآله وذريّة علي بن أبي طالب عليه السلام، بالإضافة إلى معاملتهم مع علي بن الحسين عليه السلام التي كانت أكثر وأشد جوراً، إلا أنَّه مع ما كانوا يقومون به من وحشية وجور، فإنَّك ترى مقدار المحبَّة التي يتعامل بها الإمام علي بن الحسين عليه السلام معهم.

ففي كتاب الصحيفة السجّادية يقول عليه السلام: «اللّهم صلّ على محمدٍ وآله، وحصّن ثغور المسلمين بعزّتك وأيّد حماتَها بقوّتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك،... وكثّر عدّتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم، ودبِّر أمرهم، وواتر بين ميرِهم، وتوحّد بكافية مؤنهم، واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر».

إلى آخر هذا الدعاء الذي يشغل قرابة الثمان صفحات، ويحمل مضاميناً تتعلق بأفراد الجيش؛ ولهذا فهو يحتاج إلى كتيّب كامل لشرحه.

إنَّ السبب الذي أدّى إلى ضرورة تشكيل حكومة وجهاز تنفيذي وإداري في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يؤدي إلى وجود ضرورة أيضاً لتشكيل حكومة فيما بعدهم من الأزمنة، وكذلك في زماننا.

ومن أجل أن يتّضح هذا المطلب علينا أن نطرح هذا السؤال: هل من الممكن أن تبقى أحكام الإسلام معطّلة، ولا تنفّذ، وهل أنَّ المصلحة لا تقتضي ظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه ـ مع طول مدّة الغيبة التي شرعت منذ بداية الغيبة الصغرى إلى الآن، حيث مرَّ على هذه الفترة أكثر من ألف سنة، ومن المحتمل أن تستغرق مئة ألف سنة أخرى ـ وهل يجوز لأي شخص أنْ يفعل ما بدى له في هذا الزمان؟ وأن تحلّ الفوضى بدل النظام؟

وهل أن القوانين التي بيَّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وبلَّغها وقام بتنفيذها خلال ٢٣ عاماً وتحمَّل من أجلها المشاق العصيبة، مختصة في وقت دون آخر؟ وهل أن الله تعالى أوقف إجراء أحكامه على فترة محدودة تقدّر بمئتي عام؟ وهل أنَّ الإسلام ترك جميع الأمور تجري كيفما تشاء بعد الغيبة الصغرى؟

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

ـ نهج البلاغة.

ـ الكافي الشريف. لثقة الإسلام المحدث الجليل محمد بن يعقوب الكليني قُدِّسَ سِرُّهُ

(دار التعارف للمطبوعات / بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م)

ـ بحار الأنوار. للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي قُدِّسَ سِرُّهُ

(دار إحياء التراث العربي / بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)

ـ وسائل الشيعة. للفقيه المحدث الشيخ الحر العاملي قُدِّسَ سِرُّهُ

(مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م)

ـ التوحيد. للشيخ الجليل صدوق الطائفة قُدِّسَ سِرُّهُ

(مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة التاسعة ١٤٢٧هـ ق)

ـ الحكومة الإسلامية. الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ

(مركز الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ الثقافي، بيروت ـ لبنان)

ـ الأربعون حديثاً. الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ

(دار التعارف للمطبوعات / بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

ـ كشف الأسرار. الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ

(مكتبة الفقيه / الكويت ـ السالمية، دار المحجة البيضاء / بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م)

ـ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية. الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ.

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، ١٣٨٤ هـ ش).

ـ آداب الصلاة. الإمام الخميني قدس سره.

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م).

ـ الطلب والإرادة. الإمام الخميني قدس سره

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الطبعة الثانية، ١٣٨٣ هـ ش / ١٤٢٥هـ).

ـ المعاد في نظر الإمام الخميني قدس سره

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، ترجمة حيدر محمد جواد

دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله / بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).

ـ منهجية الثورة. (مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني قدس سره).

(مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني قدس سره، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م).

ـ شرح دعاء السحر. الإمام الخميني قدس سره.

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره ١٤٢٣ هـ ق / ١٣٨١ هـ ش).

ـ الرؤية الكونية في فكر الإمام الخميني قدس سره.

(مركز بقية الله الأعظم عجل الله فرجه / بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).

ـ تهذيب الأصول. تقرير أبحاث الأستاذ الأعظم الإمام الخميني قدس سره، تأليف: سماحة آية الله الشيخ السبحاني دام ظله

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره / الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣ هـ ق).

ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام

(انتشارات المكتبة الحيدرية / قم ـ إيران / الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ق ـ ١٣٨٣ ش)

ـ فهم القرآن.

(المؤلف: جواد علي كسار / الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ق).

ـ أنوار الهداية. الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه / الطبعة الثالثة ١٤٢٧ هـ ق).

ـ غاية المرام. للمحدث الجليل السيد هاشم البحراني قُدِّسَ سِرُّه

(مؤسسة التاريخ العربي / بيروت ـ لبنان / تحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م)

ـ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول صلى الله عليه وآله.

(دار الكتب الإسلامية / قم ـ إيران / الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ق)

ـ التوحيد عند الشيعة (لزعيمهم الأكبر الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه)

(مركز باء للدراسات / بيروت ـ لبنان / الطبعة الأولى ٢٠٠١ م)

ـ الإمامة عند الشيعة (لزعيمهم الأكبر الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه)

(مركز باء للدراسات / بيروت ـ لبنان / الطبعة الأولى ٢٠٠١ م)

ـ كتاب البيع. الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه / الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ ق).

ـ علم اليقين في أصول الدين. المحدث الكبير الحكيم المتأله الفيض الكاشاني قُدِّسَ سِرُّه

(منشورات بيدار / قم ـ إيران / تحقيق وتعليق: محسن بيدارفر / الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ ق)

ـ امامت وانسان كامل از ديدگاه امام خمينى قُدِّسَ سِرُّه

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه / طهران ـ إيران / الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ ق).

ـ تاريخ الطبري.

(مطبعة بريل بمدينة ليدن / سنة ١٨٧٩)

ـ عوالي اللئالي.

(مطبعة سيد الشهداء عليه السلام / قم ـ إيران / تحقيق: مجتبى العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ق)

ـ مسند أحمد بن حنبل.

(دار صادر / بيروت ـ لبنان).

ـ لب الأثر في الجبر والقدر. تقريراً لمحاضرات الإمام الخميني قدس سره، سماحة آية الله الشيخ السبحاني دام ظله.

(مؤسسة الإمام الصدق عليه السلام / قم ـ إيران / الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ق).

ـ عدل الهى از ديدگاه امام خمينى قدس سره.

(مؤسسة ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره / طهران ـ إيران / ١٣٨٢ هـ ش).

ـ تفسير آية البسملة. الإمام الخميني قدس سره.

(دار الهادي / بيروت ـ لبنان / ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م).

ـ صحيح البخاري.

(دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ـ لبنان / ١٤٠١ هـ).

ـ السنن الكبرى. البيهقي (دار الفكر)

ـ لسان العرب. ابن منظور

(نشر أدب الحوزة / قم ـ إيران / ١٤٠٥ هـ ق)

ـ مناقب آل أبي طالب. ابن شهر آشوب

(المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف ـ العراق / ١٣٧٦ هـ ق)

ـ كنز العمال. المتقي الهندي

(مؤسسة الرسالة / بيروت ـ لبنان / ١٤٠٩ هـ ق)

ـ مستدرك الوسائل. المحدث النوري قدس سره

(مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / بيروت ـ لبنان / الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م)

ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد. العلامة الحلي قدس سره

(مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة / قم ـ إيران / تصحيح وتعليق: سماحة آية الله الشيخ حسن زاده الآملي دام ظله / الطبعة الحادية عشر ١٤٢٧ هـ ق)

ـ كمال الدين وتمام النعمة. الشيخ الجليل صدوق الطائفة قدس سره

(مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة قم ـ إيران/ ١٤٠٥ هـ ق)

ـ تفسير البرهان. العلامة المحدث السيد هاشم البحراني قدس سره

(مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت ـ لبنان / الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م)

ـ من لا يحضره الفقيه. المحدث الجليل صدوق الطائفة قدس سره

(دار التعارف للمطبوعات / بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م)

ـ الوصية السياسية الإلهية. الإمام الخميني قدس سره

(مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره / الطبعة السابعة ٢٠٠٣ م)

ـ الأمالي. للمحدث الجليل صدوق الطائفة قدس سره

(مؤسسة البعثة / قم ـ إيران / الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ق)

ـ تهذيب الأحكام. شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس سره

(دار التعارف للمطبوعات / بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م)

ـ علل الشرائع. للمحدث الجليل صدوق الطائفة قدس سره

(دار الكتاب الإسلامي / قم ـ إيران / الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ق ـ ٢٠٠٤ م)

فهرس الكتاب

الفصل الاول: التوحيد

الباب الأول: إثبات واجب الوجود

الباب الثاني: صفات واجب الوجود

الفصل الثاني: العدل الإلهي

الباب الأول: العدل

الباب الثاني: شبهات وردود

الفصل الثالث: النبوة

الباب الأول: النبوة العامة

الباب الثاني: النبوة الخاصة

الفصل الرابع: الإمامة

الباب الأول: الإمامة العامة

الباب الثاني: الإمامة الخاصة

الفصل الخامس: المعاد

الباب الأول: إثبات المعاد

الباب الثاني: مناازل الآخرة

الملحقات

الملحق الأول: دعوة إلى التوحيد

الملحق الثاني: ملحق خاص بالإمام المنتظر صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

* لقد قرأت سِيرَ الكثير من الفلاسفة والعرفاء وعلماء العلوم العقلية والسياسيين والشيوخ المحنكين والشخصيات البارزة أو عاشرتهم فوجدت أن البون بينهم وبين الإمام الكبير قدس سره شاسعٌ جداً وقد فاقهم في كل بعدٍ من أبعاده المتنوعة .

* يجب أن نكون صريحين في الدفاع عن عقائدنا ومبادئنا كإمامنا الراحل قدس سره وأن لا نسمح بتهميش عقائدنا .

* إن الذي يريد أن يتأسى بالإمام قدس سره فعليه أن يعقل كلماته ويتدبر أحاديثه .

آية الله العظمى الإمام القائد الخامنئي (دام ظله الشريف)



دار الولاية للثقافة والإعلام